مجلة مجمع اللغة العربية



مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد السادس والثمانون

رجب ١٤٢٠هـ / نوفمبر ١٩٩٩م



محررا المجلة :

جمال عبد الحى أحمد

خالد محمد مصطفى



الفهرس

جهود العلامة شوقى ضيف
ومنهجه في كتابه
الوجيز في تفسير القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أبو الأنوار

مدخـــل :

إن الاشتغال بدراسة النص القرآنـــي الكريم علم خاص يحتـــاج إلـــى أدوات خاصة ، وإلى ممارسة تنشـــأ عنهـــا خبرة بل ملكة .

وهناك باحـــث ودراســـات علميـــة واسعة حول العلوم والثقافات والأدوات التي يحتاج إليها مفسر النص القرآني الكريم ، وتعريـــف واســـع بمصـــادر التفسير،وبالأمور التى علي المفسر أن يتجنبها،وتحديد لقواعد ورؤى الترجيح للرأى وهناك مؤلفات معترف بمنزلتها وقيمتها فى علم التفسير .

والأصل العام أن القراءة فى كتب التفسير التراثية والإفادة منهـــا علـــم خاص يتميز فيه خواص الخـــواص .

وقد رأينا أساتذة متخصصين فى علـــم التفسير يقعون فى أخطاء فادحة نبـــه إليها صراحة أئمة التفسير من القدماء.

ومن أبرز العلماء الذين تكلموا فى علم التفسير وتبعاته ، وعللوا لاختلاف المفسرين ما قدمه العلامة ابن تيمية ، وما بذله أئمة العلماء فى مباحث علوم القرآن .(انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قتيبـــة . أ.د محمـــد الســـيد الجلينـــد، وانظـــر:التفســـير والمفسرون. أ.د محمد حسين الذهبي، وانظر : طبقات المفســـرين للحـــافظ شمس الدين الـــداوودي ، وانظـــر : البرهان فى علوم القرآن للزركشـــي ، والإتقان في علوم القرآن للســـيوطي ، ومناهل العرفان فـــي علـــوم القـــرآن

لمحمد عبد العظيم الزرقاني ٠٠٠ وانظر تعليق عبد القاهر الجرجاني حول من يتعاطى التفسير بغير علم : دلائل الإعجاز (ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥) تحقيق محمود محمد شاكر ط .الخانجي ١٩٨٤م) .

ومعلوم أن علم التفسير مر بمراحل وأدوار :

المرحلة الأولي : تبدأ من التفسير فى عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، ثم عصر الصحابة ، ثم التابعين ، ثم تأتى مرحلة عصور التدوين التى عرف فيها أئمة لكل منهم دوره ومنهجه وطريقته ، وظلت موصولة إلى عصرنا الذي نحياه .وضمت التفاسير ــ منذ القدم ــ اتجاهات مذهبية، كالسنة والشيعة باختلاف عقائد أصحابها،والخوارج، والصوفية، وتفسير الفقهاء ومن أشهرهم القرطبي، ثم التفسير العلمي عند القدماء كالإمام الغزالي ، والجلال السيوطي وغيرهما، ثم عند المحدثين، ومن أشهرهم الشيخ طنطاوى جوهري، ثم تفاسير إلحادية تناول بعضها بالعرض والتحليل فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي ، في مؤلفه القيم " التفسير والمفسرون " وكذلك عرّف فضيلته بالتفاسير الأدبية الاجتماعية فى العصر الحديث ، وشيخ هذا الاتجاه الإمام محمد عبده ومن والاه على طريقته ، ثم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وقد ظهرت في الساحة بعد هؤلاء تفاسير متعددة لكل منها قيمته فى اتجاهه .

وتتمثل جهود أستاذنا العلامة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في تفسيره:"الوجيز في تفسير القرآن الكريم" (غرة رجب ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م) ، وكان قد صدر له قبل ذلك تفسير"سورة الرحمن"،وسور قصار(١٣٩٠ هـ) ، وبعد هذا الأخير صدر له عمل كبير القدر هو تحقيق كتاب" السبعة فى القراءات ". لابن مجاهد : أحمد بن موسى التميمي أبو بكر مجاهد (٢٤٥هـ = ٨٥٩م :

٣٢٤هـــ = ٩٣٦م) وصـــدر هـــذا التحقيق عام (١٤٠ هـــ = ١٩٨٨م).

وتحقيق هذا الكتاب عمل جليل، وإذاعته فضل مشهود ، ونفع لا ينقطع مداه، وتيسير لعلم تجب العناية بـــه ، والحفاظ عليه ، فمقامه تقنين وتثبيـــت الحفظ لكتـــاب الله قـــراءةً ونطقًـــا ، والكتاب إلى جانب ذلك سجل الأصوات العربية في قواعد نطقهـــا ومخـــارج حروفها كما هى مقررة فـــى كتابهـــا المعجز الخالد " القرآن الكريم".

والجهد المبذول فـــي هـــوامش الكتاب يمثل موســـوعة علميـــه فـــي التأصيل لـــه والتعريـــف بأعلامـــه ، وتيســـير الفهـــم لســـياقاته المتعـــددة وضبطها، وهو جهد شـــديد الصـــبر واسع العطاء. والمقدمـــة بـــين يـــدى الكتاب غزيرة العلم واســـعة النظـــرة دقيقة العرض فى التعريف والتأصيل لابن مجاهد .

ولايبعد عن مجال فهم القـــرآن ودراسته كتابه الممتع الـــذى صـــدر حديثًا (يناير ٢٠٠٠م) وهو" محمـــد خاتم المرسلين " .

ويشرفني أن أشير بـــين يـــدى هذه الدراسة إلى أنني لم أتنـــاول هـــذا البحث من فراغ، فقد شـــغلت نفســـي دائما بالنظر والدراسة في فهم الـــنص القرآني الكريم منـــذ صـــغري قبـــل دخولي الجامعة طالبًا مبتدئاً ، وكـــان أول نشر لمقـــالاتي فـــى ذلـــك عـــام ١٩٦٩م ، وقد عنيت بنشـــر سلســـلة خاصة تحت عنوان : "مـــن أســـرار الإعجاز فى الأسلوب القرآني الكريم" وما زلت أتابعها كلما تيســـر الوقـــت والجهد،سعيًا إلى نشر مؤلف فى ذلك.

وقد تيسر لى بصـــفة رســـمية أن أقوم لأعوام متتاليـــة بتـــدريس مـــادة دراسات أدبية ولغويـــة مـــن القـــرآن الكـــريم بقســـم الأدب بكليـــة اللغـــة العربيـــــة بجامعـــــة أم القـــــرى ، وفرحت بغير حـــدود لقيـــامي بهـــذا الواجب المشرف ، واقتنيـــت لـــذلك مكتبة كبيرة وافيـــة ، وكانـــت هـــذه المادة مقررة أيضـــا علـــى طـــلاب

كليات الشريعة ، وأصول الدين إلى جانب الكليات الأخرى بالجامعة باعتبارها مقرراً اختياريًا، وقد لاقت بحمد الله رواجًا كبيراً لدى الطلاب .

وما أن جاءت فرصة الاحتفاء والتكريم لأستاذنا العلامة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف حتى وجدتني للوهلة الأولي أختار هذا البحث من بين عطائه المترامى الأطراف .

على أنى أشهد أن منجم الجواهر النادرة ، ومحيط العطاء من المعارف الذى لا ساحل له في العربية بفروعها ، والدراسات الإسلامية بشتى مجالاتها ، إنما هو في أمهات كتب التفسير وعلوم القرآن بل إن فيها ماليس في الكتب المتخصصة في علومها ، ولا سيما ما يتصل بالدراسات النحوية واللغوية والبلاغية التي تقود إلى فقه أنواع الدلالة وضروب الإيحاء بما فيها المستوى الإشاري في اللغة وآدابها .

أبرز خطوط منهجه فى دراسة النص القرآني الكريم فى كتابه: "الوجيز" .

يبدأ عمله فى التفسير بتعريف أهم موضوعات كل سورة ، في تركيز ووضوح بارزين .

ويتضح في جهده استقصاؤه للتفاسير الكبرى ، وتجنبه لسرد آراء المفسرين ، وكذلك عدم النص على آراء النحوية والبلاغية في الصيغ القرآنية، وكذلك القراءات وأسباب النزول ، حيث لكل فن من ذلك كتبه المطولة ، وعدم النص على ذلك لا يعنى التخلي عن الإفادة منها ، وتحرير المراد في ضوء مباحثها ، التي تقود إلى دقة الفهم ، وتحرير المعنى الذي يقتضيه السياق في فهم النص القرآني الكريم .

وكذلك يتجنب تمامًا الإسرائيليات في موضوعات قصص الأنبياء ، ويرى أنه يجب تجنبها تمامًا من التراث التفسيري .

وكذلك نحَّى عن هذا التفسير ما قاله غلاة التشيع والتصوف ، لأن منهجهم لا يوافق الأصول العلمية التي يجب اتباعها في تأويل الآيات طبقًا لمقاييس علوم القرآن وقواعد علم الأصول .

ويلاحظ علي منهجه أنه فى تفسيره " سورة الرحمن وسور قصار" كان يبسط القول ويتوسع في عرض مادته ، ولكنه فى تفسيره" الوجيز " كان يعمد إلى الإيجاز الثرىّ الواضح ، والمستوعب لأطراف أهم ما يقال .

عناصر إضافته :

يتضح لمن يتأمل أعمال أستاذنا في هذا المقام أنها تقوم علي فقه وبصر بأسرار العربية في شتى مجالاتها ، ومعرفة عميقة بأبعاد الدراسات الإسلامية في شتى فروعها، وفى القلب منها المعرفة الدقيقة بمباحث علوم القرآن الكريم .

وقد كان لزاد سيادته الوافر الواسع في ذلك كله آثاره الكبرى فيما قدم فى دراساته للنص القرآني ، وهذا مما يؤكد مقولتى دائمًا : بأن الثقافة العربية الإسلامية طائر لا ينهض إلا بجناحين : هما الدراسات العربية العميقة ، والدراسات الإسلامية المدققة الواسعة معًا ، وبغير ذلك يكب هذا الطائر على الثرى ، إذا كان باحثًا في العربية وحدها دون ثقافة إسلامية واسعة ، أو كان باحثًا في الدراسات الإسلامية دون ثقافة عربية واسعة .

وقد أبدع أستاذنا العلامة شوقي ضيف في مجالين بارزين نتيجة زاده العلمي الخاص بهذين الرافدين .

الأول منهما :

أسلوبه في الأخذ والانتقاء من مصادر التفسير الكبرى ، فعند التحري والنظر فى هذه المصادر نجد أن ما اختاره ، أو ارتضاه منها ، أدخله في نسيج فهمه الخاص ، ولم ينقله نصًّا بل يعرض ما يرضاه منه بعد أن يصبح مادة داخل إطار فهمه ورؤيته ونسيجًا فى لحمة عرضه وتحليله ، وهو في الوقت ذاته ينسب ما يرضاه من آراء ورؤى العلماء لأصحابها علي نحو من

القدرة الفائقة علي الفحص والتحــري في الاختيار وفــى طريقــة التقــديم الجديــد : عرضًا وتحليلاً ورؤية .
والآخر منهما :

الوصول إلى لفتات ورؤى يتميز بها، وهي كثيرة وافرة ، وإن كان قــد وصفها في مقدمة "الوجيز" بانها قليلة في الحين بعد الحين ، ويرى الباحــث المتأمل في دراساته للــنص القرآنــي الكريم : الفهــم المــدقق ، والبصــر المتألق ، والاســتيعاب الــذي يحفــل بشوارد الأسرار واللفتات ، في وجازة شــديدة الوضــوح وســهولة ســخية العطــاء كل ذلــك مــع النظـــرة الواسعة الشاملــة في الاستبصار بفهم القرآن بالقرآن ، ومع وضوح الثقافــة العصرية في الفهم والعرض والتحليل، وعلى سبيــل المثال تتبعــه المتميــز لما يتصل بتكريم العقل، ومنزلة العلم، وإلى جانــب ذلك كله وضــوح آثار التطور العلمي في الدراسات العربيــة والإسلاميــة .

والآن ننتقل من التنظير إلــى التطبيق، ومن الوصف إلى التجســيد ، فيما يتصل بلب لباب منهجه فى الأخذ المبتدع، وفى إضافة اللفتات والــرؤى التى يتسم بها اجتهاده ، وتتنوع فيهــا بصائره :

المثال الأول :

نتوقف مع الآية الســابعة مــن سورة البقرة : " ختم الله على قلــوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوةٌ ولهم عذاب عظيم " .

وسوف نقف مع الآية الكريمة في معنى " الختم " فقط : فــي الكشــاف للزمخشري (٤٦٧هــ ــ ٥٣٨هــ): نجد أنه ذكر في تفسير معنى "الختم " باعتباره مجازًا ، وفي تعليل إســناده إلــى الله تعــالي خمســة وجــوه (٢٦/١ــ٢٨) .

ثم يأتي الفخر الرازى (٥٤٤ هــ ــ ٦٠٤هــ) : فيذكر جملة مسائل ، وفي المسألة الثانية عشرة منها وجوه في فهم معنى"الختم"(١/ ٥٤ وما بعد).

ثم يأتي القرطبي (ت ٦٧١هـــ) فينص على أن أهل المعاني قالوا في وصف الله تعالي قلوب الكفار عشرة أوصاف منها : الختم والطبع والضيق والمرض والريَّن والموت والغشاوة .. إلخ ، وهو مبحث سبق إليه الفخر الرازي ، وأيد كل معنى منها بآية من القرآن الكريم .

ثم وضح القرطبي : أن "الختم" يكون محسوسًا في المعاني السابقة ويكون معنى كما في الآية الكريمة معنا . فالختم على القلوب : عدم الوعي عن الحق سبحانه .

وأنت واجد في هذه الرحلة الطويلة الدقيقة في جنبات هذه التفاسير ونظائرها غزارة المواد العلمية والفكرية ورؤى التحليل الذكي الدقيق المعجب ، بما يؤكد أن جهود هؤلاء الأئمة كانت وما تزال وستظل تمثل قيمة علمية هائلة مترامية الأطراف لا حدود لعطائها ووجوه الإفادة منها والتعلّم عليها .

وفي ضوء العرض السابق فإن اللفتة البارعة المركزة التي قدمها أستاذنا العلامة شوقي ضيف تبقى لها خصوصية في تشخيصها وطريقة عرضها : إنه تبصرَّ كل هذه الينابيع ، وأحاط بأبعادها وروّى رؤاه بزادها ، ولكن زاده من العلم بالعربية وأسرارها ، والدراسات الإسلامية بسعتها ودقتها ، جعله يفهم المعنى من شتى وجوهه ، ويبتدع فيه حتى يخرج سويًّا على هذا النحو الذي استوى فيه المعنى مرضيا شديد الشفافية والغزارة، وهو قوله في " الوجيز " ص٨ " : " الختم فى الآية تمثيل لتصميم الكفار على كفرهم ، وعدم إصغائهم للهدى واتباعه ، وإسناد "الختم " إلى الله للدلالة على أنه لايزول عنهم لتماديهم في الكفر ، فهذا التمادي سببه لا نتيجته " (أى سبب الختم) .

ثم يضيف ما هو من منهجه وهو الاستبصار بالقرآن في كل رؤية، حيث يقول : " والقرآن يكرر أن الإنسان ينال جزاءه ثوابًا وعقابًا حسب اختياره لعقيدته وأعماله، كما في قوله تعالى : " قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها وما أنا عليكم بوكيل " (يونس ١٠٨) .

وهو في هذا الاستشهاد القرآني الأخير استغنى عن ألوان من التأويل في مناقشة المعتزلة وغيرهم في القول بخلق أفعال العباد (الفخر الرازى ١/٥٤ – ٥٥) .

والعناصر الآنفة في استبصار المعنى والكشف عن زواياه المهمة ، لا تجدها بهذه الدقة وذلك الإيجاز الذى يفيض بالوضوح ، فى المباحث المطولة التي تراجعها في الأمهات السابقة، في عشرات الصفحات ، وعديد من المباحث على أهميتها وجلالها مادمنا بسبيل تيسير فهم القرآن لمن يطلب فهمه في دقة وسهولة ووضوح .

وأقرب نص لدى الزمخشرى يتناول فكرة التمثيل في معنى الختم عبارته التي تحتاج إلى مزيد بيان يوضحها ويسهل فهمها ،(وقد وضعته بين أقواس فيها)وهى قوله(١/٢٦) : " وأما التمثيل (فإنه) حيث لم يستنفعوا (بالجوارح) في الأغراض الدينية التي كُلِّفوها وخلقوا من أجلها (كانوا كأنما) ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها (والحجاب عبر عنه) بالختم والتغطية " .

وأقرب نص يمس فكرة السبب والنتيجة في القول الآنف الذكر عند العلاّمة شوقي ضيف هو عبارة الفخر الرازي ، الثقيلة التبعة في الفهم والعرض والتحليل حيث يقول " فإنه سبحانه لما حكم

علـــيهم بـــأنهم لايؤمنـــون (يقصـــد الإشارة إلى الآية السابقة علـــى الآيـــة التي معنا) وهي قولـــه تعـــالى : "إن الذين كفروا سواءٌ علـــيهم أأنـــذرتهم أم لـــم تنـــذرهم لايؤمنـــون "(٦ـــــ البقـــرة) ذكـــر عقبـــه مـــا يجـــرى مجرى الســـبب الموجـــب لـــه ، لأن العلم بالعلة يفيـــد العلـــم بـــالمعلول ، والعلـــم بـــالمعلول لا يكمـــل إلا إذا استُفيد من العلم بالعلة ، فهـــذا قـــول من أضاف جميع المحـــدثات إلـــى الله تعالي " ، ثم ينتقل الفخـــر الـــرازى إلى محاورة المعتزلة فيما قالوه فى هذا السياق (٥٥/١) .

وواضح أشـــد الوضـــوح أن القارئ لا يجـــد فـــى هـــذا العـــرض والتحليل للفخر الرازي ما يأخذ بيـــده إلى ما قاله شوقي ضـــيف ، ومـــا أن تصل إلى المعنى الواضح فيمـــا كتبـــه وقدمه حتى تجد الرؤية محكمة بـــين يديك ، وتحس أنك ظفرت بـــالجوهر المراد في السياق ، وفي الوقت نفســـه وضحت لك المعالجة للقضايا الكبرى التي سكت عنها شوقي ضيف كالجبر والاختيـــار ، وضـــروب التحلـــيلات المجازية من استعارة وتمثيـــل لـــدى الزمخشـــرى ، والتحلـــيلات العقليـــة الجدلية لدى الفخر الرازي .

ومع ذلك كله فإنني أؤكد مرات ومرات أنني لست فى هذه المقارنـــات أقلل بحال من الأحـــوال ممـــا حوتـــه وقدمته الأمهات الكبرى فـــي تفســـير القرآن الكريم ــ فحاشا لله أن أضـــل هذا الضلال ــ فهـــي كنـــز العطـــاء المتصل، ومحيط المعرفة بغير ساحل، بل هي الطريق الذي يصل بنا إلى مـــا بعده ، والمعلم الذي نتتلمذ عليه بكـــل فخر لنا ، وكثيـــراً مـــا نتعثـــر دون الارتفاع إليهم .

وإنما القصد أن هذه الأمهـــات في عطائهـــا لا يحتملهـــا إلا باحـــث متخصص موهوب ، وهو يخرج منها بعطاء واسع المدى مـــن التحلـــيلات والمناقشات والرؤى ، ويعز عليـــه أن يعرض ما أخذ منها من ذاكرته بل هو محتاج عند مجرد عرضه للتعريـــف

بــه إلى كلام خصيصًا لذلك ، يطــول مداه وتثقل تبعته .

وبعد هذا الاحتراس الواجــب أقول : إنك تجد بسهولة براعة الفهــم ودقته ، وسلامة العرض وجدته فيمــا أضافتْه المحاور الموجزة الواضــحة لدى العلامة شوقي ضيف فــي فهــم "الختم " فى الآية الكريمة .

وهذه السمات عندي آيــة مــن آيات عطاء القرآن في كــل عصــر وجيل فهولا ينفد عطاؤه مهما اتسع ما قيل من قبل في محاولة فهمه ، وهــذه آية من آيات عطاء القــرآن الكــريم الموصول المدى إلى أن تقوم الساعة.

المثال الثانى :

نتوقف فيه عند النظــر لــدى كبــار المفسرين في معنى ســجود الملائكــة لآدم فــى قولــه تعــالي : "وإذ قلنــا للملائكــة اســجدوا لآدم فســجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " (٣٤ ـــ البقرة)

نجد الفخر الرازي قــد أطــال وأفــاض فــي تتبــع الموضــوعات ودقائقها، وقد راجعته قراءة ومتابعــة من الآية التاسعة والعشرين ، وهــي قوله تعالى : " هو الذي خلق لكم مــا فى الأرض جميعا ثــم اســتوى إلــى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم " (٢٩ ـــ البقرة) إلى آخر ما كتبه في الآية الرابعة والثلاثين التي معنا الآن . والمــواد العلميــة عنــده تستغرق من صفحات الفخر الــرازي على كبرها ودقــة حروفهــا اثنتــين وتسعين صحيفة .

ورجعت إلى جوهر الفكرة التي دققها صاحب الكشاف في سياق الآية الكريمة : " وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئــونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " (٣١ ـــ البقرة)

يقــول الزمخشــرى : " ثــم عرضهم أى عرض المســميات ... ـــ على الملائكة ـــ وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء علــى ســبيل التبكيت (إن كنتم صادقين) يعني في زعمكم أنــي أســتخلف فــى الأرض

مفسدين سفاكين للدماء ، إرادة للـــرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائـــد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا ، فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمـــل مـــن ذكر المصالح في استخلافهم في قوله تعالى :"إنى أعلم مالا تعلمون " وقوله تعالي : " ألم أقل لكم إني أعلم غيـــب السموات والأرض" استحضار لقولـــه لهم : " إني أعلم مالا تعلمون " إلا أنه جاء على وجه أبسط من ذلك وأشرح " (الكشاف ٦٢/١)

والمحـــور المقابـــل لما ذكره الزمخشرى عند الفخر الـــرازي فـــي مباحثه المطولة هو قوله في ســـطور قليلة : " اعلم أن هـــذا هـــو النعمـــة الرابعة من النعم العامة علـــى جميـــع البشر ، وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا آدم مسجود الملائكة ، وذلك لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً ، ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانيًا ، ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلـــم " (الفخر الرازي ٢٣٠/٢) .

وجاء أستاذنا العلامـــة شـــوقي ضيف بعد استيعابه لهذا العطاء العلمي الواسع ، واستطاع بنفـــاذ بصـــيرته ، وزاده العلمي أن يستخرج رؤية شديدة الوضوح والإحاطة عميقة الدلالة تأخذ بحجز ما ترامي من أطـــراف القـــول وتضيف إليه بالبصيرة النافذة والرؤية الجامعة حيث يقول : " والله جل شأنه بأمره الملائكة الســـجود لآدم جعـــل منزلة علم آدم بالأسماء فوق منزلـــة تسبيح الملائكة بحمده، مما يرفع مكانة العلم وهو ما جعل الإسلام يعانق العلم في جميع عصوره" (الوجيز ص ١٦)

إن قيمـــة المعرفـــة الجامعـــة المستبصرة أنها تهـــدي إلـــى براعـــة التشخيص الذي يســـتوعب أطـــراف المعاني ويعتصر رحيـــق الـــدلالات والإيحاءات، ويأتي في وضوح جامع، وإيجاز على القيمة مفعم الغزارة .

وكما قلت فـــي شـــرح مـــنهج العلاّمة شوقى ضيف إنه يتوقف كثيرًا

أمام عناية القرآن الكريم بالعلم ، وما أكثر السياقات التي ذكرها في ذلك . وهذا أثر من آثار ثقافة العصر المتميزة .

المثال الثالث :

وفيه نتوقف مع الآية الكريمة "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" (٧٢ الأحزاب)

يقول العلامة شوقي ضيف : "عرض الأمانة علي السموات والأرض والجبال تصوير لعدم قابليتها جميعًا لحمل هذه الأمانة العظمى لبيان ثقلها، وأن أعظم ما في الوجود لا يستطيع تحمُّلها ٠٠٠ "(الوجيز ص٧٦٠)

وهذه العبارات الدقيقة أحاطت بتحليلات كثيرة لدى المفسرين لا سيما ما قاله الزمخشري من المجاز في هذا المقام ، وقد أطال في ضرب الأمثلة ، وتحليلها على المستويات التعبيرية التي اختارها لبيان أن الكلام تمثيل .

من ذلك قول الزمخشرى: إن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقَه محالٌ في نفسه غيرُ مستقيم، فكيف صحّ بناءُ التمثيل على المحال ، وما مثال هذا إلا أن تشبّه شيئًا والمشبَّه به غيرُ معقول ٠٠٠٠ " (*) (الكشاف ٣/٢٤٩)

وقد شرح العلامة الزمخشري ذلك فقال: "المُمثَّل به في الآية ، وفي قولهم (يعني فى المثل العربي) : "لو قيل للشحم أين تذهب لقال : أُسوّي العوج " (ثم يقول الزمخشري) : "وتصور مقالة الشحم محالٌ، ولكن

(*)هنا ملاحظة لابدّ من إيرادها ، ذلك أن قول العلامة الزمخشرى فى هذا النص : " إن عرض الأمانة على الجماد وإباءه محال فى نفسه غير مستقيم ، فكيف صحّ بناء التمثيل على المحال ٠٠٠ " (٣/٢٤٩) هذا الكلام منه يستدعي شيئًا من الاستدراك عليه أو ضرورة التنبيه إليه ، وهو أن ما يتصل بفعل الله وقوله لا يُناظر فى طبيعته وقوانينه فعلَ البشر وأقوالهم . فإذا أخبر الله ــ تعالى ــ أنه عرض على السموات والأرض والجبال ٠٠ فليس فى وسعنا سوى الإيمان والتسليم بما أخبر به عن ذاته وفعله– سبحانه– وليس من حقنا ولا فى وسعنا القاصر المحدود أن نقف على كيفيّة العرض منه تعالى ، والإباء منها فالإيمان بالعرض والإباء واقع واجبٌ والسؤال عن كيفيته حمىً ليس من حقنا ولا فى مقدورنا الوصول إليه ، لأنه غيب الله الذي استأثر به.
أما أن يناظر الزمخشرى بين الأساليب – التعبيرية – المستخدمة فى لغة العرب باعتبار أن القرآن نزل بلسان عربى مبين فهذا مباح له. وقد نص على ذلك حيث قال : " وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم (الكشاف ٣/٢٤٩)

الغرض أن السِّمن في الحيوان مما يُحسن قبيحه، كما أن العُجْفَ مما يُقبح حَسَنه فصوَّر أثر السِّمن فيه تصويرًا هو أوقع فى نفس السامع، وهى آنس، وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، وكذلك

تصويرُ عِظَم الأمانة، وصعوبة أمرها، وثقل حملها والوفاء بها " (٢٤٩/٣)

ثم يمضي ليقول المُمَثّل به فى الآية وفى المثل العربي : " مفروض والمفروضات تُتَخيل فى الذهن كما المحققات (وهنا) مُثّلت حال التكليف فى صعوبته ، وثقلِ مَحْمله بحاله المفروضة لو عُرِضت علي السماوات والأرض والجبال لأبَيْنَ أن يَحْمِلنها وأشفقن منها "(٢٤٩/٣ــ٢٥٠) فإذا قست هذا التحليل على سعة علمه

ومَرْمى تدقيقاته بعبارة تفسير " الوجيز " الآنفة الذكر في صدر الكلام للعلاّمة شوقي ضيف وهي : " عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال تصوير لعدم قابليتها جميعًا لحمل هذه الأمانة العظمى لبيان ثقلها، وأن أعظم ما في الوجود لا يستطيع حماها (ص٧٠٦) لوجدت المعنى هنا أشد وضوحًا وتركيزًا وسهولة ، وهو في الوقت نفسه وفّي بعناصر القول عند الزمخشرى على تعدد مراميه ، ولم يُحْترس على شئ منه ، كما فعلنا في الهامش على عبارة الزمخشري الآنفة هناك .

ثم يمضي " الوجيز " مستوعبًا أهم وأبرز ما قيل قبله في الفخر الرازى (٢٣٥/٢٥) وفى القرطبي (٢٥٣/١٤) ومن قبلهما الزمخشري (٢٤٩/٣) ليقول :

" واختلف المفسرون فى تفسير الأمانة، فقيل: هي التكاليف الشرعية، وقيل : هى الصلاة، وقيل : هى طاعة الله، وقيل الإيمان، وقيل : العقل،

ويمكن أن تكون الإيمان، أي توحيد الله وعبادتُه ، وبذلك جاء الرسلُ جميعًا ، ودائما كانت كثرة أقوامهم تكذبهم ، ولا تعتنقه ... وأَولي في رأيي (أي رأي العلامة شوقى ضيف) أن يكون المراد بالأمانة العقل الذي يميز الإنسان من سائر المخلوقات ، والذي من شأنه أن يهديه إلى طريق الهدى ، وبه تكونت أطوار الحياة الإنسانية ، وكل ما يتصل بالإنسان من حضارة وعلوم، وهو ــ أي العقل ــ الذى يميز الإنسان من الجبال وجميع الجمادات والكائنات ... إذ يتيح له أن يفكر حرًّا فى كل شىء ــ عقيدة وغير عقيدة ــ ويختار ما يؤمن به أو يعمله بعد أناة ورؤيَّة عقلية ... " (ص٧٠٦)

ولاشك أن الاحتفاء بالعقل هو احتفاء بالعلم لأن العقل آلته ووعاؤه ، وبغير العلم هو آلة معطلة إلا من هوامش الأمور .

وإذا كانت الإحاطة والارتواء من معارف السابقين والأخذ منها فى ضوء معرفة علمية ذات بصيرة فيما تضيف وتحلل تتضح في هذا العرض، وذلك التحليل، فإن أثر الثقافة الحديثة المعاصرة واضحة أشد الوضوح في هذا الفهم وذلك التحليل؛ حيث اعتبارات العقل بزاده العلمي الممتد إلى آفاق المستقبل .

وهكذا تصبح اللفتاتُ الجديدة ثمرة الثقافة العصرية، وثمرة الشخصية التي أبدعتها بما لها من خصائص ومميزات تتسم بها .

المثال الرابع :

مع سورة الفلق :

" قل أعوذ برب الفلق " .عند تتبع هذه الآية الكريمة في أوسع التفاسير عرضًا وتحليلاً ، وهو التفسير الكبير للفخر الرازي نجد أن المسائل والوجوه التي ذكرت حول هذه الآية بلغت اثنتين وثلاثين مسألة ووجهًا ، وبعد استيعابها نقف أمام ما كتبه العلامة شوقي ضيف فنرى كيف تعامل مع هذه المسائل والوجوه :

" قل " يا محمد وهو خطاب يشمل أمته، " أعوذ " ألجأ إلى واق ، يقال: عاذ إلى فلان وبفلان ."برب أضواء الصباح فتكتسح الظلام كما تكتسح جنود الخير الشرور المحيطة بالإنسان" (الوجيز ص١٠٤٧)

فهو هنا تجاوز المباحث الخاصة بالكشف عن ربط السورة بسورة الإخلاص قبلها، لأن هذه الوجوه محاولة استبصار، وتجاوز كذلك المباحث الخاصة بأسباب النزول، وجدل المعتزلة حولها (الفخر الرازى: ١٨٦/٣٢-١٨٨) ، ثم تجاوز وجوه التعليل فى معنى الاستعاذة وفوائدها فى قوله تعالى :" قل أعوذ " (الفخر الرازي : ١٨٨/٣٢-١٨٩ ، ونظم الدرر للبقاعي ٤٠٦/٢٢-٤٠٨): واتجه إلى الأصل العام في الفهم اللغوي للنص الذي يشمل المعاني التي قالها المفسرون، وكشف عن وجه الخطاب فى خصوصه وعمومه، وأنه يشمل أمة محمد صلي الله عليه وسلم . (*)

ثم قال : (الفلق):الصبح وربه الله . فاستغرق في ذلك جملة مباحث منها ثمانية وجوه في التعليل لتفسير (الفلق) بالصبح ، ثم قال : (وربه هو الله) فاستغرق بذلك خمسة وجوه للتعليل لاختيار لفظ (الرب) دون لفظ (الله) فى هذا السياق.

ثم استغرق في السياق معنى : أن فالق الصبح هو رب الخلق والإيجاد فهو رب جميع الكائنات ، وما الصبح إلارمز قوي وصورة باهرة في استغراق معنى مطلق الخلق والإيجاد ، وهنا استوعب ثلاثة وجوه من التعليل دون أن يرد شيئًا منها (راجع : الفخر الرازي ١٩٠/٣٢-١٩٢)

(*) قال البقاعي في نظم الدرر (٤٠٧/٢٢) : " قل أى لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق ، تعليمًا لهم وأمرًا ، فإنهم كلهم مربون مقهورون لا نجاة لهم فى شىء من الضرر إلا بعصمته سبحانه وتعالي ، فعلى كل منهم أن يفزع أول ما تصيبه المصيبة إلى مولاه القادر على كشفها تصحيحًا لتوكله ، فإنه يرتقى بذلك إلى حال الرضا بمر القضاء ، ولا يأخذ فى الاعتماد على جلادته ، وتدبيره بحوله وقوته فإنه يكون أسوأ الناس حالًا" ،

ثم نأتي للآية الثانية وهى قوله تعالى : " من شر ما خلق "
وقد أدار علماء التفسير فى المطولات لاسيما الفخر الرازي جدلاً عقليا يردون فيه على من ينفقون ، ومن ينسبون خلق الشر إلى الله تعالي ، وهو جدل لا يخدم جوهر الدلالة بقدر ما يثير مباحث كلامية(الفخر الرازى : ٣٢/١٩٢-١٩٣) .

ويأتي العلامة شوقي ضيف فيترك هذه المسائل الشائكة ، والتي لاتوافق فطرة الإيمان ، وإنما أثارها بعض الملاحدة كما وصفهم بذلك الفخر الرازي .
وأستاذنا شوقي ضيف إذ يتجنب مسائل الحوار في ذلك يورد ما لم تورده بعض كتب التفسير الكبرى حيث يقول : " يلاحظ : ابن قيم الجوزية : أن الله أضاف الشر في الآية إلى المخلوقات ، فالشر لايتصل بخلقه ، فخلقه يتنزه عن كل شر ،إنما يتصل بمخلوقاته٠٠٠".
وهو في ذلك سد بابًا لجدل واسع . (الوجيز ص١٠٤٧) ثم نأتي إلى قوله تعالى: " ومن شر غاسق إذا وقب "

فيتجاوز أقوال المفسرين التي هي عند الحصر سبعة أقوال ليعزز المعنى الذي يستوعبها فيقول : " ومن شر غاسق إذا وقب، أي ليل إذا اشتد ظلامه ، لما يكون فيه من السباع والهوامِّ واللصوص٠٠٠ "
ويرجح بدقة العلماء قائلا : "ولعل هذا الرأي أكثر سدادًا " (الوجيز ص ١٠٤٧) .

ولا يخفى في هذا السياق : أن الظلام أشد أعوان العدو على الإنسان، والظلام كما هو حلكة السواد فإنه يشمل مجازاً ــ عندي ــ الجهل والتعمية عن كثير مما ينتفع به حذرًا، فيؤتى الحذر من مأمنه ، وقد راجعت

(نظم الدرر للبقاعى ٤١٠/٢٢) في ذلك فإذا به يقول : "ومن شر غاسق، أى مظلم ··· سواء كان أصلاً في الظلام حسيًّا أو معنويًّا ··· ". وهذا كلام يعزز فكرة المجاز في فهم الظلام .

هنا (في الوجيز) تتجلى ــ كما سبق في الآيات السابقة ــ خاصية عرض اللباب النافع لأصول المعاني المبسوطة في مسائل ووجوه لدى كبار المفسرين كالزمخشري ، والفخر الرازي ، ثم الشيخ محمد عبده ــ مع وضوح النظرة القرآنية الشاملة للموضوع قيد النظر والتحليل (أعني في الوجيز)

يقول أستاذنا العلامة شوقي ضيف في وجازة ووضوح واستيعاب: " أخذ بعض المفسرين بظاهر الآية فقال : إن النفاثات هن النساء الساحرات اللاتي ينفثن أو ينفخن في عُقد خيط راقيات عليه من يردن إيذاءه، والسحر إنما هو تمويه بالتخاييل كمن يرى السراب من بعيد فيخاله ماءً ، وإذا كان جل شأنه ذكره (أي: السحر) بسورة البقرة ، فإنه يحكي بذلك عقيدة المخاطبين . وحاول الزمخشرى أن ينفي عن الآية فكرة السحر، إما بأن المراد بالنفاثات في العقد : الكيّادات، أخذاً مما جاء في وصف النساء بقصة يوسف من قوله تعالى : " إن كيدكن عظيم " (٢٨/يوسف) . وذهب الشيخ محمد عبده في تفسير الآية : إلى أن المراد بالنفاثات : النمّامات ، المقطِّعات لروابط الأسرة بنميمتهنّ ، فشبَّههُنّ الله بأولئك الساحرات المشعوذات···" (الوجيز ص١٠٤٧) ، (وراجع للمقابلة: الكشاف ٢٤٤/٤، والشيخ محمد عبده في تفسير جزء " عمَّ " ص ١٨١ ــ ١٨٢ ط أولى١٣٢٢هــ)

والعلاّمة شوقي ضيف على منهجه في الوجازة الشافية لم يتوسع في عرض لطائف الشيخ

محمد عبده، ومن أطراف توليدات وتنبيهات الإمام محمد عبده قوله : " وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه تلك الطرق الدقيقة(يعني النميمة) التي تصرف الزوج عن زوجته والزوجة عن زوجها ، وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتُعلم وتُطلب له الأساتذة ، ونحن نرى أن كُتبًا أُلِّفت ودروسا تُلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ، وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، وإظهار الأمر في أقبح صورة ٠٠٠ وسياق الآية لايأباه " (تفسير جزء " عمَّ " ص ١٨٣ ط أولى) .

وهكذا نرى في " الوجيز " لأستاذنا شوقي ضيف سعة الإحاطة ودقة الفهم وبراعة العرض ولطف الإشارة المختارة ، طبقًا للمنهج الذي قرره في مقدمة تفسيره للقرآن الكريم ونرى استيعابًا لما سبقه وهضمًا للجوهر الذي يراه منه ، مع إضافات إليه في جدة عرض وإخراج مستقلين مميزين .

ثم نصل إلى الآية الخامسة والأخيرة في هذه السورة :

" ومن شر حاسد إذا حسد "

بالرجوع إلى جامع البيان لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ثم إلى الكشاف للزمخشري (٤٦٧هـ ـ ٥٣٨ هـ) والفخر الرازي في التفسير الكبير(٥٤٤هـ ـ ٦٠٤هـ) والقرطبي (ت ٦٧١هـ) ثم نظم الدرر للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) ثم روح المعاني للألوسي(١٢١٧هـ ـ ١٢٧٠هـ) وتفسير جزء " عمَّ " للشيخ محمد عبده (١٢٦٦هـ ـ ١٨٤٩ ـ ١٣٢٣هـ ١٩٠٥) ثم للوجيز في تفسير القرآن الكريم للعلامة شوقي ضيف – تبين لي أن أوفي وأجمع ما قيل بعد القرطبي يوجد عند الشيخ محمد عبده ، وعند

الدكتور شوقي ضيف على النحو التالي :

يقول الشيخ محمد عبده : "الحاسد الذي يتمنى زوال نعمة محسوده ولا يرضى أن تجدد له نعمة، وهو إذا حسد أنفذ حسده وحققه بالسعي والجدّ في إزالة نعمة من يحسده ــ من أشد خلق الله أذى ، ومن أخفاهم حيلة ، وأدقهم وسيلة . وليس في طاقة محسوده إرضاؤه بوجه من الوجوه، ولا في استطاعته الوقوف على ما يدبره من المكايد ، فلا ملجأ منه إلا إلى الله وحده ... " (تفسير جزء عمَّ " ص ١٨٤) ويأتي(الوجيز) ليقول : " الحسد تمني الشخص زوال نعمة الآخرين ، وهو أول ذنب جسيم عُصِيَ الله به في السماء والأرض . أما في السماء فحسد إبليسُ آدمَ حسدًا منعه من السجود له حين أمره ربه ، فطرده من الجنة ، وكتب عليه اللعنة إلى يوم الدين . وأما في الأرض فحسدُ قابيل لأخيه هابيل حسدًا أدّاه إلى قتله ، فكان أول من سَنَّ القتل في الأرض بسبب الحسد،وفي الحديث النبوي :"الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"(الوجيزص١٠٤٧)

والإشارة إلى حسد إبليس لآدم، وقابيل لهابيل أصلها موجود في القرطبي ، ولكن ليس بهذا العرض الوافي، مما يؤكد أن تفسير (الوجيز) من القواعد المرعية فيه النظرة الشاملة للموضوعات في القرآن الكريم، وقد اتضح لنا ذلك في سياقات متعددة رصد هذا البحث بعضها بعناية.

وهكذا يبقى اختيار (الوجيز) وعرضه لمادته مُتَّسِمًا بالإحاطة والعمق والإضافة علي وجازته ، وسهولته ، وتميّز طريقته في العرض الخاص به .

* * *

* شيخ العربية وحامي حماها ، وقائد سدنتها ، وفرسان مسيرتها : الاحتفال

بكم من الكمالات التي يشرُف بها من يشارك فيها .

* ياشيخنا الجليل لقد اتخذتم سُلم العلم مَرْقيً، ومدرجة البحث ملاذاً محببًــا، ونبل الغاية وطهر المقصد زادًا .

فأعلى الله منزلتــك ، ورفــع مقامك عليا في تاريخ العربية والإسلام، مع الأعلام المرموقين من أئمة العلــم والدرس في تاريخ هذه الأمة .

* شيخنا الجليل العلامة شوقي ضيف: تهنئةً لك بما قدمت ، ودعاء لك بطول العمر ووفرة العطاء .

ورضى الله عنك وأرضاك دائمًا .

محمد أبو الأنوار

الأستاذ المتفرغ بكلية دار العلوم

بجامعة القاهرة

"بَسَطَتْ رَابعَةُ الحَبْلَ لَنا "

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

عضو المجمع

تعريف بالقصيدة

هذه القصيدة التي مطلعها :

بَسَطَتْ رَابعَةُ الحَبْلَ لَنا

فَوَصَلْنَا الحَبْلَ منْها مااتَّسَعْ

تُعرفُ بأنها عينية سويد بن أبي كاهل. معنى عينِية: أن قافيتها حرف العين . والقصائد العربية كثيراً ما تعرف بحروف رويّها وهي القوافي . فيقال مثلاً قصيدة بائية وميمية وعينية.والقوافي نوعان:مطلق ومقيد.

القوافي المطلقة هي التي يكون الروي، أي الحرف الأخير الذي يجري عليه الترنم فيها متحركا مثل قول الشاعر :

ألا هُبِيّ بِصَحْنِكِ فاصبْحِينا

" النون " حَرْفُ الروي وهي متحركة بالفتحة وبعدها ألف الإطلاق.

القوافى المقيدة هي التي يكون حرف الروي فيها ساكنا مثل هذه القصيدة :

فوَصَلْنَا الْحبْلَ منها مااتَّسَعْ

والبحر الذي على وزن هذه القصيدة اسمه الرمَل وهو أحد البحور التي بين أمرها الخليل بن أحمد – رحمه الله – في علم العروض.ووزن البيت الأول:

فَعِلاتُنْ فعلاتن فَعِلُنْ

فَعِلاتُنْ فاعلاتُنْ فاعِلُنْ

وهذه القصيدة هي الأربعون في مجموعة المختارات الشعريةِ المعروفة باسم المفضليات ، نسبة إلى العالم الراوية الكبير المفضل الضبي الذي كان معلماً للمهدي العباسي ابن الخليفة أبى جعفر المنصور. وكان قد جمعها له واختارها من القصائد القديمة الطوال التى رواها هو عن أشياخه، ورواها عنه العلماء، وأقبلوا على درسها وشرحها.

عاش المفضل الضبي فى القرن

الثاني للهجرة، ولا نعلم تاريخ ولادته ولا وفاته على وجه التحديد، وكان حياً إلى سنة ١٧٦هـ، ومن كبار من أخذوا العلم عنه الكسائي والفرّاء، وهما كبيرا شيوخ الكوفيين فى علوم النحو واللغة والقراءات والتفسير والأدب.

وسويد بن أبي كاهل صاحب القصيدة شاعر مخضرم بفتح الراء وبكسرها. كلا الوجهين صحيح. والمخضرم هو الذي شهد الجاهلية وعاش فيها ثم أسلم وعاش فى الإسلام. المخضرم بفتح الراء أي الذي خضرمه الإسلام عن حال الجاهلية أي قطعه عن حال الجاهلية. والمخضرم بكسر الراء أي الذي خضرم أي قطع آذان إبله، يجعل ذلك علامة تدل على أنه ترك الجاهلية ودخل فى الإسلام.

وكان سويد بن أبي كاهل شاعرًا محترفاً للشعر، يمدح ويهجو ويفتخر بقبيلته بني يشكُر . وبنو يشكر من كبريات قبائل العرب ينتسبون إلى بكر بن وائل، ومنهم الحارث بن حلزة اليشكري صاحب المعلقة التي مطلعها:

أَذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وعاش قبل زمان سويد بن أبي كاهل بنحو مِئة سنة ، أما سويد بن أبي كاهل فقد بلغ أشده واستوى في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو على الأرجح بين الثلاثين والأربعين ، أقرب إلى الثلاثين ، أو لعله دونها بشيءٍ يسير . وقد عاش في الإسلام إلى ٦٥هـ أو بعدها بيسير .

وهذا بعدُ حين نبدأ في شرح القصيدة ثم نتبع ذلك بعض التعليق عليها ، وقد اعتمدنا على الشرح الكبير للمفضليات الذي ألفه أبو محمد القاسم ابن بشار الأنباري المتوفى سنة ٣٠٥هـ ، ويعرف بالأنباري الكبير،وهو والد الأنباري الصغير وهو أبو بكر بن الأنباري ، شارح المعلقات.وقد حقق هذا الشرح الكبير.

قال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

١ بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنا

فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ منها ما اتَّسَعْ

٢ حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتًا واضِحًا

كشُعَاعِ الشَّمْسِ في الْغَيْمِ سَطَعْ

٣ صَقَلَتْهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ

مِنْ أراكٍ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعْ

٤ أبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ

طَيِّبَ الرِيّقِ إذَا الرِيّقُ خَدَعْ

٥ تَمْنَحُ المِرآةَ وَجْهًا واضِحًا

مِثْلَ قَرْنِ الشمَّسِ في الصَّحْوِ ارتَفَعْ

٦ صَافِيَ اللَّوْنِ وطَرْفًا سَاجِيًا

أكْحَلَ العَيْنَيْنِ ما فيه قَمَعْ

٧ وقُرُونًا سَابِغًا أطرَافُهَا

غَلَّلَتْها رِيحُ مِسْكٍ ذِي فَنَعْ

٨ هَيَّجَ الشَّوْقَ خَيالٌ زائرٌ

مِن حَبِيبٍ خَفِرٍ فيهِ قَدَعْ

٩ شَاحِطٍ جَازَ إلى أرْحُلِنَا

عُصَبَ الْغَابِ طُرُوقًا لم يُرَعْ

١٠آنِسٍ كان إذَا ما اعْتَادَني

حالَ دُنَ النَّومِ مِنّي فامْتَنَعْ

١١وكذَاكَ الحُبُّ ما أشْجَعَهُ

يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعْ

١٢فأبِيتُ اللَّيلَ ما أرْقُدُهُ

وبِعَيْنَيَّ إذَا نَجْمٌ طَلَعْ

١٣وإذَا ما قُلْتُ لَيْلٌ قد مَضَى

عَطَفَ الأوَّلُ مِنهُ فَرَجَعْ

١٤ يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُومًا ظُلَّعًا

فَتَوالِيهَا بَطِيئاتُ التَّبَعْ

١٥ ويُزَجّيها على إبْطَائها

مُغْرَبُ اللَّوْنِ إذَا اللَّوْنُ انْقَشَعْ

١٦ فَدَعَانِي حُبُّ سَلْمَى بَعْدَ مَا

ذَهَبَ الْجِدَّةُ مِنّي والرَّيَعْ

١٧ خَبَّلَتْنِي ثُمَّ لمَّا تُشْفِنِي

فَفُؤادِي كُلَّ أوْبٍ ما اجْتَمَعْ

١٨ ودَعَتْنِي بِرُقَاهَا إنَّها

تُنْزِلُ الأعْصَمَ مِن رَأسِ اليَفَعْ

١٩ تُسْمِعُ الْحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَنًا

لو أرادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَمَعْ

٢٠ كَمْ قَطَعْنا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهًا

نازِحَ الْغَوْرِ إذَا الآلُ لَمَعْ

٢١ في حَرُورٍ يُنْضَجُ اللَّحْمُ بها

يأْخُذُ السَّائرَ فيها كالْصَّقَعْ

٢٢ وتَخَطَّيْتُ إليها من عِدًي

بِزَماعِ الأمْرِ والهَمِّ الْكَنِعْ

٢٣ وفَلاَةٍ واضِحٍ أقْرَابُهَا

بَالياتٍ مِثْلَ مُزفَتٍّ الْقَزَعْ

٢٤ يَسْبَحُ الآلُ على أعْلاَمِها
وعَلى الْبيدِ إذَا إليومُ مَتَعْ
٢٥ فَركِبْنَاها على مَجْهُولِها
بِصِلابِ الأرْضِ فيهِنَّ شَجَعْ
٢٦ كالْمَغَالي عارِفَاتٍ لِلسُّرَى
مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوَشَّمْ بالنَّسَعْ
٢٧ فَتَرَاها عُصُفًا مُنْعَلَةً
بنِعَالِ الْقَيْنِ يَكْفِيها الْوَقَعْ
٢٨ يَدَّرِعْنَ اللَّيْلَ يَهْوِينَ بنَا
كَهُوِيِّ الْكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَعْ
٢٩ فَتَنَاوَلْنَ غِشاشًا مَنْهَلاً
ثُمَّ وَجَّهْنَ لأرْضٍ تُنْتَجَعْ
٣٠ مِن بَنِي بَكْرٍ بِها مَمْلَكَةٌ
مَنْظَرٌ فِيهِمْ وفيهِمْ مُسْتَمَعْ
٣١ بُسُطُ الأيْدِي إذَا ما سُئِلُوا
نُفُعُ النَّائِلِ إنْ شَيءٌ نَفَعْ
٣٢ مِنْ أُناسٍ لَيْسَ مِنْ أخْلاقِهِمْ
عَاجِلُ الْفُحْشِ ولا سُوءُ الْجزَعْ
٣٣ عُرُفٌ لِلْحَقِّ ما نَعْيَا بِهِ
عِنْدَ مُرِّ الأمْرِ ما فِينَا خَرَعْ
٣٤ وإذَا هَبَّتْ شَمالاً أطْعَمُوا
في قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لم تُجَعْ

٣٥ وَجِفانٍ كالجوابي مُلِئَتْ
مِن سَمِينَاتِ الذُّرَى فِيها تَرَعْ
٣٦ لا يَخَافُ الْغَدْرَ مَن جَاوَرَهُمْ
أبداً منهُمْ ولا يَخْشَى الطَّبَعْ
٣٧ ومَسَامِيحُ بما ضُنَّ بِهِ
حَاسِرُو الأنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ
٣٨ حَسَنُو الأوْجُهِ بِيضٌ سادَةٌ
ومَرَاجِيحُ إذَا جَدَّ الْفَزَعْ
٣٩ وُزُنُ الأحْلاَمِ إنْ هُمْ وازَنُوا
صَادِقُو الْبَأسِ إذَا الْبَأس نَصَعْ
٤٠ ولُيُوثٌ تُتَّقَى عُرَّتُهَا
سَاكِنُو الرِّيحِ إذَا طَارَ الْقَزَعْ
٤١ فَبِهِمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وبهِمْ
يُرْأبُ الشَّعْبُ إذَا الشَّعْبُ انْصَدَعْ
٤٢ عَادَةٌ كانتْ لهم مَعْلُومَةٌ
فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَيْسَتْ بالْبِدَعْ
٤٣ وإذَا ما حُمِّلُوا لَمْ يظْلَعُوا
وإذَا حَمَّلْتَ ذَا الشِّف ظَلَعْ
٤٤ صَالِحُو أكْفَائِهِمْ خُلاَّنُهُمْ
وسَرَاةُ الأصلِ والنَّاسُ شِيَعْ
٤٥ أرَّقَ الْعَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدِعْ
مِن سُلَيْمَى فَفُؤادي مُنْتَزَعْ

٤٦ حَلَّ أَهْلِي حَيْثُ لا اطْلُبُها

جَانِبَ الْحِصْنِ وَحَلَّتْ بِالْفَرَعْ

٤٧ لاَ أُلاَقِيها وقَلْبي عِنْدَها

غَيْرَ إِلْمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعْ

٤٨ كالتُّوامِيَّةِ إنْ بَاشَرْتَها

قَرَّتِ الْعَيْنُ وطَابَ الْمُضْطَجَعْ

٤٩ بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نِيَّتَها

وَحَدَا الْحَادِي بِها ثُمَّ انْدَفَعْ

٥٠ وكَرِيمٌ عِندَها مُكْتبَلٌ

غَلِقٌ إِثْرَ الْقَطِينِ الْمُتَّبَع

٥١ فكأنِي إذْ جَرَى الآلُ ضُحىً

فَوْقَ ذَيَّالٍ بِخَدَيْهِ سَفَعْ

٥٢ كُفَّ خَدَّاهُ على دِيبَاجَةٍ

وَعلى المَتْنَينِ لَوْنٌ قد سَطَعْ

٥٣ يَبْسُطُ المَشْيَ إِذَا هَيَجْتَهُ

مِثْلَ مايَبْسُطُ في الخَطْوِ الذَّرَعْ

٥٤ رَاعَهُ مِن طَيِّيءٍ ذُو أَسْهُمٍ

وضِرَاءٍ كُنَّ يُبْلِينَ الشِرَعْ

٥٥ فَرآهُنَّ ولمَّا يَسْتَبِنْ

وكِلاَب الصَّيْدِ فيهنَّ جَشَعْ

٥٦ ثُمَّ وَلي وجَنَابَانِ لَهُ

من غُبارٍ أَكْدَرِي واتَّدَعْ

٥٧ فَتَرَاهُنَّ على مُهْلَتِهِ

يَخْتَلِينَ الأَرْضَ والشَّاةُ يَلَعْ

٥٨ دَانياتٍ ما تَلَبَّسْنَ بهِ

واثِقَاتٍ بِدِمَاءٍ إنْ رَجَعْ

٥٩ يُرْهِبُ الشَّدَّ إِذَا أَرْهَقْنَهُ

وإِذَا بَرَّزَ مِنْهنَّ رَبَعْ

٦٠ سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دَوِّيَّةٍ

فإِذَا ما آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ

٦١ كَتَبَ الرَّحمنُ،والحَمْدُ لَهُ،

سَعَةَ الأخلاَقِ فينَا والضَّلَعْ

٦٢ وإِبــاءً لِلدَّنِيَّـــات إِذَا

أُعْطِيَ الْمَكْثُورُ ضَيْمًا فكَنَعْ

٦٣ وبِنــاءً لِلْمَعالي،إنَّمــا

يَرْفَعُ اللهُ ومَنْ شاءَ وَضَعْ

٦٤ لا يُرِيدُ الدَّهْرَ عنها حِوَلاً

جُرَعَ المَوْتِ ولِلْموتِ جُرَعْ

٦٥ نِعَمٌ لِلّهِ فِينَا رَبَّهَا

وصَنِيعُ اللهِ ، واللهُ صَنَعْ

٦٦ كَيْفَ باسْتِقْرارِ حُرٍ شَاحِطٍ

ببِلادٍ ليسَ فيها مُتَّسَعْ

٦٧ رُب مَن أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبَهُ

قد تَمَنَّى لِيَ شَرًّا لم يُطَعْ

٦٨ ويَرَانِي كالشَّجَا في حَلْقِهِ

عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

٦٩ مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لم يرَنِي

فإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعْ

٧٠ قَدْ كَفانِي اللهُ ما فِي نَفْسِهِ
ومتَى ما يَكْفِ شَيْئًا لا يُضَعْ

٧١ بِئْسَ ما يَجْمَعُ إِنْ يَغْتَابَنِي
مَطْعَمٌ وَخْمٌ وداءٌ يُدَّرَعْ

٧٢ لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أنْ يَحْسُدَنِي
فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

٧٣ ويُحَيِيِّنِي إِذَا لاَقَيْتُهُ
وإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ

٧٤ مُسْتَسِرٌ الشَّنْءِ لَوْ يَفْقِدُنِي
لَبَدَا منهُ ذُبَابٌ فَنَبَعْ

٧٥ ساءَ ما ظَنُّوا وقد أَبْلَيْتُهُمْ
عند غاياتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقَعْ

٧٦ صاحِبُ الْمِئْرَةِ لا يَسْأَمُها
يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرٌّ سَطَعْ

٧٧ أصْقَعُ النَّاسِ بِرَجْمٍ صائبٍ
ليسَ بالطَّيْشِ ولا بالمُرْتَجَعْ

٧٨ فارِغُ السَّوْطِ فما يَجْهَدُنِي
ثَلِبٌ عَوْدٌ ولا شَخْتٌ ضَرَعْ

٧٩ كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ ما
لاحَ في الرَّأسِ بَيَاضٌ وصَلَعْ

٨٠ وَرِثَ البِغْضَةَ عَنْ آبائِهِ
حَافِظُ الْعَقْلِ لِمَا كان اسْتَمَعْ

٨١ فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ في قَوْمِهِ
ثمَّ لم يَظْفَرْ ولاَ عَجْزًا وَدَعْ

٨٢ زَرَعَ الداَّءَ ولم يُدْرِكْ بهِ
تِرَةً فَاتَتْ ولا وَهْيًا رَقَعْ

٨٣ مُقْعِيًا يَرْدِي صَفَاةً لم تُرَمْ
في ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

٨٤ مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كانَ بهِ
غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أن تُقْتَلَعْ

٨٥ غلَبَتْ عاداً ومَنْ بَعْدَهُمُ
فأبَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ

٨٦ لا يَرَاها النَّاسُ إلاَّ فَوْقَهُمْ
فَهْي تَأتِي كَيْفَ شَاءَتْ وتَدَعْ

٨٧ وَهْوَ يَرْمِيها ولَنْ يَبْلُغَهَا
رِعَةَ الجاهِلِ يَرْضَى ما صَنَعْ

٨٨ كَمِهَتْ عَيْناهُ حتَّى ابْيَضَّتَا
فهُوَ يَلْحَى نفسَهُ لمَّا نَزَعْ

٨٩ إذْ رَأى أنْ لم يَضِرْها جَهْدُهُ
ورأى خَلْقاءَ ما فيها طَمَعْ

٩٠ تَعْضِبُ القَرْنَ إذَا نَطَحَهَا
وإِذَا صابَ بها الْمِردَى انْجَزَعْ

٩١ وإِذَا ما رَامَهَا أعْيَا بِهِ
قِلَّةُ العُدَّةِ قِدْمًا والجَدَعْ

٩٢ وعدوٍ جاهِدٍ نَاضَلْتُهُ
في تَرَاخِي الدَهْرِ عنكم والْجُمَعْ

٩٣ فَتَسَاقَيْنَا بِمُرٍ نَاقِعٍ
في مَقَامٍ لَيْسَ يَثْنِيهِ الْوَرَعْ

٩٤ وارْتَمينْا والأعادِي شُهَّدٌ
بنِبَالِ ذَاتِ سُمٍ قد نَقَعْ
٩٥ بِنبَالٍ كلُّها مَذْرُبَةٌ
لم يُطِقْ صنعتها إلاَّ صَنَعْ
٩٦ خَرَجَتْ عن بِغْضَةٍ بَيِّنَة
في شَبابِ الدَّهْرِ والدَّهْرُ جَذَعْ
٩٧ وتَحَارضْنَا وقالُوا : إنَّما
يَنْصُر الأقْوامُ مَنْ كانَ ضَرَعْ
٩٨ ثُمَّ وَلي وهْوَ لا يَحْمي استَهُ
طائِرُ الإتْرَافِ عنْهُ قد وَقَعْ
٩٩ساجِدَ المَنْخِرِ لا يَرْفَعُهُ
خَاشِعَ الطَّرْفِ أصَمٌ الْمُستَمَعْ
١٠٠ فَرَّ مِنِّي هاربًا شَيْطانُهُ
حَيْثُ لا يُعْطِي ولا شَيْئًا مَنَعْ
١٠١ فَرَّ مِنِّي حِينَ لا يَنْفَعُهُ
مُوقَرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ المُتَّضَعْ
١٠٢ ورَأى مِنِّي مَقَامًا صَادِقًا
ثَابِتَ المَوْطِنِ كَتَّامَ الوَجَعْ
١٠٣ولِسَانًا صَيْرَفِيًّا صَارِمًا
كحُسَامِ السَّيْفِ ما مَسَّ قَطَعْ
١٠٤ وأتانِي صَاحِبٌ ذُو غَيِّثٍ
زَفَيَانٌ عِنْدَ إنْفَادِ القُرَعْ
١٠٥ قَالَ لَبَّيكَ وما استَصرَخْتُ
حاقِرًا لِلنَّاسِ قَوَّالَ القَذَعْ
١٠٦ ذُو عُبَابٍ زَبَدٍ آذِيُّهُ
خَمِطُ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالْقَلَعْ
١٠٧ زَغْرَبِيٌّ مُسْتَعِزٌ بَحْره
ليس لِلماهِرِ فيهِ مُطَّلَعْ
١٠٨ هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خَادِرٍ
ثَئِدَتْ أرضٌ على فانْتَجَعْ

تمهيد للشرح :

زعم المستشرق الكبير كارلوس يعقوب ليال في مقدمة ترجمته لهذه القصيدة أنها قصيدتان معًا من وزن واحد وقافية واحدة ، الأُولى تبدأُ من البيت الأول إلى البيت الرابع والأربعين ، والثانية تبدأ من البيت الخامس والأربعين إلى آخر القصيدة. وزعم أن القصيدة الأولى متماسكة وأن القصيدة الثانية فيها اضطراب وفجوات وتنتهي بوصف قوى للمساجلة التي كانت بين الشاعر وخصمه .

وذكر الأستاذان عبد السلام محمد هارون" والشيخ أحمد محمد شاكر ــ رحمهما الله ــ في شرحهما وحديثهما عن هذه القصيدة أنها من أغلى الشعر

وأنفسه ، قالا :" وقد فضلها الأصمعي وقال كانت العرب تفضلها ـ تقدمها وتعدها من حكمها ، وكانت في الجاهلية تسميها اليتيمة لما اشتملت على من الأمثال " .

ولقد نظرت في القصيدة وتأملت معانيها وعجبت أول الأمر للزعم الذي زعمه المستشرق كارلوس ليال، إذ القصيدة بلا ريب كلٌ واحد ، متماسكة جداً ، ليس فيها فجوات أو اضطراب كما سنبين من بعد إن شاء الله تعالى .

كما قد عجبت لهذا الذي يروى عن الأصمعي ـ رحمه الله ـ حيث قال إن العرب كانت في الجاهلية تُسميها اليتيمة .ذلك بأن القصيدة إسلامية الأسلوب من مبدئها إلى نهايتها ، لم يذكر فيها الشاعر شيئًا من مآثر الجاهلية الكبرى التي حرّمها الإسلام كالخمر والميسر .

فإما أن تكون القصيدة كلها نظمت في الفترة التي كان فيها سويد مسلمًا. وإما أن يكون قد سمع القرآن قبل إسلامه وتأثر ببيانه وهذا أمر يوجد في لعض أشعار الأعشى ولبيد قبل إسلامهما . وقد كانت قريش تحرض الشعراء وتشجعهم أن يباروا القرآن استجابة للتحدي الذي تحداهم به ـ قال الله سبحانه وتعالى :

" وإن كُنتُم في ريبٍ ممَّا نزلَّنا على عَبدِنا فأتوا بسُورةٍ من مثلهِ وادعُوا شهداءكم من دُون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النَّار التي وَقودُها النَّاس والحِجارةُ أُعدَّت للكافرين "

صدق الله العظيم(سورة البقرة الآيات: ٢٣،٢٤)

وقال تعالى : " قل لئِن اجتَمعتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بمِثل هذا القرءانِ لا يَأتون بمثلِه ولو كان بعَضُهم لبعضٍ ظهيرا".(سورة الإسراء الآية : ٨٨).

روحُ القصيدة وسياقها وكثير من ألفاظها وأساليب بيانها كل ذلك يشهد بتشبعها بالمعاني الإسلامية ، ولذلك نرجح أنها نظمت في الإسلام وأن تسميتها باليتيمة كانت ـ والله تعالى

أعلم ــ في الإسلام لا الجاهلية .

تتكون القصيدة من اثنى عشر فصلاً.

الفصل الأول:من البيت[1] إلى البيت(٧) وهو الجزء الأول من المقدمة النسيبية. بدأ سويد قصيدته كعادة الشعراء القدماء بالنسب يهيىء به الأذهان حتى تستمع إليه . في هذه البداية النسيبية وصف لنا محبوبته فأعطانا صورة جميلة عنها .

الفصلُ الثاني : من البيت (٨) إلى البيت (١٩) . فيه الجزءُ الثاني من المقدّمةِ النسيبية ، ذَكَر الشاعِرُ فيه طَيْفَ الخيالِ وسَهَرَ العاشقِ يتذكَّرُ أحِبَّاءهُ ويُراقِبُ النجومَ ويتذكَّرُ مَحَاسِنَ محبوبتهِ وطِيبَ حديثها . سمَّاها الشاعِرُ هنا سَلْمَى وكان في البيت الأول سمَّاها رَابِعَةَ ، والشاعرُ قد يُسَمي محبوبَتَهُ بأكثرَ من اسمٍ واحدٍ . ويجُوز أنَّ رابعةَ وَصْفٌ لها ، أي هي رَابِعَةٌ أي عاطِفَةٌ علينا وهذا يناسب قوله " بسطت رَابِعَةُ الْحَبْلَ لنا " ربع على كذا يربع : عطف .

الفصْلُ الثالث: فيه وَصْفٌ للصحراء وحرّهِا والسيرِ فيها من البيت (٢٠) إلى (٢٩) . وقد وَصَفَ الشاعِرُ سَفَرًا على ظُهُورِ الْخَيْلِ وجعلَ ذلك تَمْهِيدًا للوصول إلى ديار قوْمِه بني بكر ومدحهم .

الفصل الرابع: من البيت (٣٠) إلى البيت (٤٤) . وفيه مدح قبيلته الكبيرة بني بكر - ذكر حسن منظرهم وحسن حديثهم وسعة فضلهم وقديم مجدهم .

الفصل الخامس: من البيت (٤٥) إلى البيت (٥٠) .عاد إلى ذكر طيف الخيال والشوق وذكرى المحبوبة ، يهيىء بهذا النسيب المختصر سامعيه إلى دفعة [1] جديدة من القول الذي سيبلغ به مراده فيما بعد . وختم هذا الفصل القصير بمعنى يدل على شدة الشوق الذي يحث صاحبه على طلب اللحاق بأحبابه .

الفصل السادس: من البيت (٥١) إلى (٦٠). ذكر فيه سفره ليلحق ، وجعل السفر هذه المرة على ناقة أو جمل ليدل على بعد المسافة،ونعت

---

(١) بضم الدال وفتحها .

راحلته بالسرعة والقوة فزعم أنه أحس وهو عليها كأنه يمتطي ثورا وحشيا تطارده كلاب الصيد ومعهن صاحبهن الصياد الذي يرمي بسهامه القاتلات . ومع ذلك نجا الثور ، وهذا يدلنا على أن الشاعر يرمز بذلك إلى نجاته هو وانتصاره . ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان أن الشعراء تقتل الثور الوحشي والحمار الوحشي وما أشبهه في قصائد الرثاء ، وتجعله ينجو للدلالة على معنى الانتصار وفي مجال المدح والفخر .

الفصل السابع: من البيت(٦١) إلى البيت (٦٦). افتخر الشاعر بقبيلته ، وفي استعماله ضمير المتكلم للجمع (نا) دليل على أنه يخص قبيلته بني يشكر ، فقد مدح القبيلة الكبرى بني بكر من قبل ، ثم إنه جعل نهاية هذا الفصل تعجبا من حال نفسه ، كيف يستطيع القرار فى بلاد ليس فيها متسع ــ ويعجب المرء من هذا التبرم، لماذا جاء به الشاعر بعد فخره بنعم الله عليه وعلى قومه.وإنما جاء بهذا الاستفهام الإنكاري الدال على التبرم ليجعله تمهيدًا لذكر عدوه المنافق الحسود الذي تكاد تضيق الأرض به وبالناس لما انطوت عليه نفسه من الشر والأحقاد .

الفصل الثامن: من البيت (٦٧) إلى (٧٩). يصف فيه الشاعر عدوه الحاسد الحاقد المنافق بمكره ومكايده وغيظ قلبه وصفًا دقيقًا حيًا ويخلص إلى أنه لا يخشاه ولا يبالي ، ويجد من نفسه القوة على أن يتغلب على أمثاله.

الفصل التاسع: يمثل الجزء الثاني من صفة الشاعر لعدوه الحاسد من البيت(٨٠) إلى (٨١) . وشبه نفسه ومنزلته بالصخرة العالية الملساء ، وهذا العدو لايستطيع أن يزلزلها من مكانها، وهي منيفة فوقه غائظة له كل الغيظ بارتفاعها وإشرافها على .

الفصل العاشر:من البيت (٩٢) إلى (١٠٠). فيه الجزء الثالث من وصف عدوه وقد ضمنه خبر المساجلة التي دارت بينهما وكيف قهره بفصاحته ورصانة شعره حتى انهزم هاربًا

صاغِرًا مغلوبًا .

والفصل الحادي عشر: من البيت (١٠١) إلى (١٠٧). وصف فيه انتصاره وقدرة شيطان شعره .

الفصل الثاني عشر: بيت واحد جعله قمة تعبيره ونهايته وجاء به على صيغة الاستفهام ليقرر بذلك المعنى ويؤكده لا بغرض التساؤل .

شرح المفردات ومعاني الأبيات :

(١)بسطت رابعة الحبل لنا : مدت رابعة حبل المودة والوصال إلينا وعطفت علينا فلذلك قبلنا مودتها ووصلنا حبلها مدة استمرارها في العطف علينا ومواصلتنا .

بسطت : أي مدت (المضارع يبسط بضم السين) . الحبل هنا معناها الوصل والمودة والعلاقة الطيبة . ما اتسع أي مدة اتساع ذلك ـ مدة استمرار ذلك في حال وصال متسع ومودة متسعة (ما) هنا يقال لها (ما) المصدرية الظرفية لأنها تدل على المدة والمصدر معًا : ما اتسع أي مدة اتساعه . رابعة اسم المحبوبة أوصف لها بمعنى عاطفة وواصلة أو هي المولودة الرابعة لأمها ، والوجه الأول هو الجيد ، لأن الشاعر قد يستعمل أكثر من اسم واحد للمحبوبة في قصيدته ، وقد يتضمن الاسم معنى مناسبًا للسياق الذي يورده فيه . هي اسمها رابعة وهي أيضًا عاطفة لأنها مدت حبل المودة وبسطته لنا .

(٢) حرة : أي أصيلة صافية اللون تجلو فمًا حلو الحديث ، أسنانها المفلجة تبدو فيه كأنها لؤلؤ شتيت منثور مشرق لمّاع مثل شعاع الشمس الساطعة وسط الغيم .

هذا البيت في صفة المرأة الجميلة جيد شديد الحيوية إذ وصف لنا أخلاقها وأصلها بأنها حرة ، ووصف لنا ثغرها بأنه شتيت أي مفلج الأسنان كأنها لؤلؤ براق ، وهذا يدل على تبسمها وحسن حديثها ، وشبهه بالشمس وسط الغيم لأن حوله لون الشفتين واللثات وهو ضارب إلى السمرة .

(٣) صقلته أي نظفته بقضيب أي

بقطعة من غصن ناضر أي ناعم من شجر الأراك الطيب الرائحة ، استاكت به حتى نصع لون أسنانها أي وضح وصفا . صقل مضارعها يصقل بضم القاف . نصع مفتوحة الصاد في الماضي والمضارع .

(٤) أبيض اللون أي هي حرة تجلو ثغرا مفلجا أبيض لون الأسنان لذيذا طعمه لمن يكون له حظ سعيد بتقبيله وحينئذ سيجد ريقه طيبا لا يتغير إذا تغير ريق النساء الأخريات . وذلك أن الريق يتغير بعد النوم ." إذا الريق خدع " أي إذا الريق تغير ونقص وجف . خدع يخدع بفتح الدال في الماضي والمضارع .والعرب تقول : أتيناهم بعدما خدعت العين وهدأت الرِجْل أي في متأخر من الليل بعدما نامت العين وهدأت الحركة .

(٥) تمنح المرآة أي تعطي مرآتها وجها جميلا أي حين تنظر في المرآة تعطي هي المرآة عطية حسنة هي وجهها الواضح الجميل الهيئة الصافي اللون البراق المضيء كأنه جانب الشمس حين يرتفع في الصحو أي في سماء انقشع عنها السحابُ ، فالشمس فيها منيرة باهرة - الصحو بصاد مهملة أي غير منقوطة ، مفتوحة بعدها حاء مهملة ساكنة ثم واو . منح بفتح النون مضارعها مثلث النون يمنَح يمنُح يمنِح ، كلها صحيحة وأجودها كسر النون ، ولذلك أجود الوجوه أن تقرأ : تمنِح المرآة الخ ..

(٦) صافي اللون ، صفة لقوله وجها واضحا صافي اللون–وطرفا ساجيا : أي تمنح المرآة وجها صافيا في لونه وطرفا كحيلا أي عينا كحيلة أي عليها زينة الكحل أو كأنها بطبيعتها مكحولة من حسنها وجمال منظرها الساحر–
ساجيا : من سجا يسجو أى هَدَأ وسكن .قال تعالى : والضحى والليل إذا سجا " أى هدأ وسكن– والطرف الساجي أي الهادئ الوديع ." ما فيه قمع " أي خال من وجع أو ورم . أي نشأت صحيحة العينين لم يصبها رمد يسبب لها القمع في جوانب جفنها وعينها -

القمع وجع وبثور وأورام تصيب جانب العين. كلمة الطرف تدل على البصر والعين ولكنها لا تثنى ولا تجمع، وطُرِفت العين تطرف بكسر الراء في المضارع أي نظرت ، وطُرِفت عينه بالبناء للمجهول أي أصابها شيء . قمعت عينه بكسر الميم تقمع بفتح الميم قمعا بفتح القاف والميم أي أصابها داء القمع الذي تقدم شرحه .

(٧) وتمنح المرآة أيضا منظر شعرها الجميل . وقرونا أي خُصلا من الشعر - قرونا مفعول به ، لقوله تمنح الذي تقدم . سابغا أطرافها أي خُصلا من الشعر أطرافها غزيرة كاسية . وقد أدخلت فيها المسك الكثير والطيب الزاكي الرائحة . غللتها أي أدخلت فيه . غَل في المكان يغُل أي دخل وغللتُه أنا في المكان أي أدخلته . غللتها ريحَ مسك أي أدخلت فيها ريح مسك : ذي فنع : أي ذي كثرة . الفنع بفتح الفاء والنون أي الكثرة . فنع فلان يفنع بكسر النون في الماضي وفتح النون في المضارع أي كثر ماله وفنع مال فلان أي كثر . قال الشاعر أبو محجن الثقفي :

وقد أجودُ وما مالي بِذِي فَنَعٍ

وأَكْتُمُ السِّرَّ فيه ضربَةُ العنُقِ

وفنعُ المسكِ كثرته وانتشار رائحته . ريحَ مسك - ريح منصوبة مفعول به لغلَّلتها وأنشدها بعض الرواة برفع ريح على معنى تغللتها ريح مسك والرواية الجيدة هي النصب وفاعل غلَّتها المحبوبةُ التي وصفها الشاعر.

تعليق :

هذه الأبيات التي تقدم شرحها من (١) إلى (٨) هي الجزء الأول من النسيب أي القسم الخاص بذكرى المحبوبة ووصفها ، والشاعر العربي يُضمِّن النسيب إشارات إلى أغراضه التي يتناولها في القصيدة . المحبوبة هنا عاطفة والشاعر على صلة حسنة معها وسيدوم على ذلك ما دامت هي على ذلك .

وسنبين فيما بعد – إن شاء الله – أن هذه المحبوبة كأنها رمز لقبيلة الشاعر ولنفسه ولانتصاره على خصومه .

تهتم العرب في نسيبها بوصف الثغر لأنه يدل على الابتسام وحسن الحديث ،

وبوصف الطرف لأنـــه يعبـــر عـــن العواطف ويدل على الشخصية .

لم تكن نساء العرب حُمْر الألـــوان أو شُقر الألوان . ولم تصف شـــعراء العرب في جاهليتها وفي أيام الإسلام الأولي نساءها بتوريد الخدود (*) وإذا قالوا امرأة بيضاء عنْوا بـــذلك أنهـــا جميلة . وربما وصفوا اللـــون نفســـه فذكروا أن فيه صُفرة كبيض النعام أو كالفضـــة التـــي مازجهـــا ذهـــب أو الروضة التي شـــعَّت عليهـــا شـــمس الأصـــيل أو الأُترجَّـــة أي البرتقالـــة الفواحة الطيبة الرائحة .

الفصل الثاني وهو الجزء الثاني مـــن النسيب :

(٨) هـــيج الشـــوق خيـــال ــ أي زارني طيف الخيال مـــن المحبوبـــة وهـــيج شـــوقى إلـــى لقائهـــا . هـــذا الخيال زارني مـــن عنـــد محبـــوبتي ذات الحياء والتحشم والوقـــار امـــرأة خفرة بفتح الخـــاء وكســـر الفـــاء أي تستحي وتتحشم. الخَفَر بفـــتح الخـــاء والفاء أي الحياء . حبيـــب خفِـــر بكسر الفاء أي حبيب حيي فيه قـــدع : أي فيه وقار وانقباض عـــن الظهـــور والجراءة . قدعت فلاناً عني أقدعـــه وأقدعت فلانا أقدِعه أي رددته عنـــي وفلان يقدَع نفســـه عـــن الـــدنايا أي يتعفف، وفيه قدع أي فيه عِفة ووقار– ويقدع نفسه عن الأمور التي يهابها . القدع بفتح القاف والدال أي التعفـــف والتهيب والانقبـــاض بســـبب الحيـــاء والعفة .

هيج شوقي خيالٌ زارني من حبيب كثير الحياء والهيبة للمخاطر لوقـــاره وعفته .

من عادة شعراء العرب إذا وصفت طيف الخيال وصـــفته بأنـــه يركـــب الأهوال ويتخطاها مـــع أن المحبـــوب نفسه شديد الهيبة والحياء .

(٩)شاحط : بعيد : شـــطحت (بفـــتح الحاء وكســـرها) الـــدار أي بعـــدت تشحَط أي هذا الطيف الذي زار فـــي المنام قد جاء من حبيب بعيـــد جـــداً عني. وقد جاز هذا الخيـــال مسافـــة

* الأبيات التي فيها (سقت ورداً) المنسوبة إلى يزيد بن معاوية من الشعر المنسوب إليه خطأ .

الصحراء حتى زارنا في أراحلنا ونحن مسافرون وبيننا وبين دياره غابات كثيرة فيها الشوك والهوام والسباع والأهوال ، مع ذلك هذا الطيف قد جاز ـ أي قطع ـ عصب الغابات أي مجموعات الغابات التي بيننا وبينه ـ طُروقًا أي ليلاً ولم يخفْ ـ لم يرعْ أي لم يرعْه شيء أي لم يخفه شيء . تقول راعه الأمر يروعه أي أخافه يخيفه .

(١٠)آنسٍ ـ صفة للحبيب الخفِر ولطيفه الزائر، أي مؤانس وملاطف. وهذا الطيف كان كلما اعتادني أي كلما عاودني بزيارته أرقني وحال بيني وبين النوم فامتنع النوم عني .

تقول: عاده كذا واعتاده وعاوده ، كلٌّ معناها واحد ـ يقال تعتادني الحمَّى كل ثلاثة أيام وتعودني وتعاودني . قال الشاعر ذو الرُّمة يذكر محبوبته :

تَعْتَادُنِي زَفَرات من تَذَكُّرها

تَكادُ تَنْفَضُّ منهنَّ الحيازيم

أي زفرات شديدة تؤثِّر في الصدر هزتها حتى توشك الضلوع أن تتكسر وتتفصل .

(١١)وكذَاكَ الحُبُّ ما أشْجَعَهُ

يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعْ

هذا البيت من أبيات الحكمة الرائعة . لما ذكر الشاعر طيف الخيال ونسبه إلى محبوبته الحبيبة الهيوب تَعجب منه كيف استطاع أن يتجاوز الأهوال والغابات ويصل إلى ؟ كيف جسر على تخطي هذه الأهوال مع أن صاحبته امرأة لا تقدر على ملاقاة هذه الأهوال؟ والحق أن الحبيبة التي زاره طيفها لم تزره هي نفسها ، ولا أرسلت طيفها إليه. ولكن الذي صور له صورتها وجعل طيفها يزوره فى المنام هو تفكيره هو نفسه فيها ، وعقله الباطن هو الذي صورها له . وقد بين هذا المعنى لنا من بعد الشاعر أبو تمام حيث قال :

زارَ الخيالُ لها بل أزارَكَهُ

فِكْرٌ إذا نَامَ فكرُ الخَلْقِ لم ينَمِ

أي زارك خيالها لا بل جعله يزورك

تفكيرك فيها ، وذلك أنك بتفكيرك فيها الدائم لا ينام عقلك حتى حين ينام الناس وتتصرف عنها وعن غيرها أفكارهم .

إذن فعقل الشاعر وفكره هو الذي اقتحم الليل ونسي أهوال الصحراء وعُصب الغاب وتجاوز جميع ذلك إلى الحبيب الحيي الهيوب الشاحط الدار أي البعيد الدار ، وإنما فعل فكره ذلك بجراءة الحب وشجاعته :

وكذَاكَ الحُبُّ ما أَشْجَعَهُ

يَرْكَبُ الْهَوْلَ ويَعْصِي مَنْ وَزَعْ

ويعصى من نهاه . الوازع هو الذي يُنَظِّمُ أمْرَ الناس ويمنَعهم من الفَوْضَى. ولابدَّ للنَّاس من وَزَعةٍ ، أي الناس يحتاجون إلى وَزَعةٍ جمع وازِع ، مثل كَتَبة جمع كاتب وعَمَلَه جمع عَامِل وقَرَأة جمع قارِيء . وَزَعُ يزع فهو وَازِع وهم وَزَعَةٌ .

في الحديث : من يَـزُع السلطانُ أكثر مِمَّن يَزُع القرآن – أي يكفّه خوفُ السلطان من ارتكاب الخطأ أكثر ممن يَكفُّ القرآن بمواعظه وتذكيره .الفعل وَزَع مثل وَضَع ووَزَن مضارعه بفتح الزاي (يزع مثل يَضَعُ وبكسرها يَزِعُ مثل يَزِنُ).

كما تجرَّأ هذا الطيف فتخطَّى الأهوال ، كذلك الحبُّ يركبُ الأهوال ويتحداها ويَعْصِي من يريد نَهْيَهُ وكَفَّه عن اندفاعِه في سبيلِ الحبِ .

(١٢)ثم بعد هذه الحكمةِ تحدَّث الشاعرُ عن تأريقِ الحبِ له حتى سَهِرَ وجعل يراقب النجوم وقال :

فأبِيتُ اللَّيلَ ما أَرْقُدُهُ

وبِعَيْنَيَّ إذا نَجْمٌ طَلَعْ

أي أقضِي الليل ساهراً فأرى كلَّ نجم أوانَ طلوعِه .

(١٣) وإذَا ما قُلْتُ لَيْلٌ قد مَضَى

عَطَفَ الأوّلُ مِنهُ فَرَجَعْ

والحقيقة أن أول الليل لا يعطف مرة أخرى وينثني راجعًا بعد ذهابه ، ولكنَّ من يسْهَرُ الليل ويأرق ويفكر تمضي الساعات عليه بطيئة فيظن أن الليل قد كر راجعًا وقد زيد طوله.

قال الفرزدق :

يَقُولُونَ طالَ اللّيلُ والليْلُ لم يَطُلْ

ولكنَّ من يشكُو من الحُبِ يَسْهَرُ

وقال النابغة الذبياني ، وقد تأثر شاعِرُنا سويد بقوله إذْ كان مشهورًا :

كِلِيني لِهَمّ ياأُمَيْمَةَ(*) نَاصِبِ

وليلٍ أُقاسيه بطِيءِ الْكواكبِ

تَطاوَل حتى قلْتُ ليس بمُنْقضٍ

وليْسَ الذي يَرْعَى النجومَ بآيبِ

توهم أنَّ النجوم بهائم ترعى وهي بطيئة هائمة وقد ذهب راعيها ولن تعود ــ فهذا تمثيل مثله لبطئها ولمراعاته لها .

(١٤)هذا الليل يسحب نجومه ، يجرها جراً ، وهي من بطئها كأنها حيوانات ظالعة أصابعها وجع أو جرح في الرجل فهي تظلع من أجل ذلك . والنجوم تتبع بعضها بعضا ، والنجوم المتأخرة بطيئة جداً في اتباعها للنجوم المتقدمة . ظلع بضم الظاء وتشديد اللام المفتوحة جمع ظالع ، والجمع على صيغة فُعَّل وفُعَّال مطَّرد في كل كلمة على وزن فاعل أو فاعلة ، ولكن صيغة فُعَّال مثل كُتَّاب وعُمَّال وقُرَّاء أكثر ما تستعمل للمذكر ، وصيغة فُعَّل تستعمل للمذكر والمؤنث ، وقد تستعمل صيغة فُعَّال أحيانًا للمؤنث ؛ قال القُطَامي يتحدث عن النساء :

أبصارُهنَّ إلى الشُّبَّانِ مائلَةٌ

وقد أراهُنَّ عَنِيّ غَيْر صُدَّادِ

أي غير ذوات صُدود .تواليها جمع تالٍ أي النجوم التي تتلو ما أمامها تتبعها بطيئات التَّبع أي بطيئات الاتّباع، تقول تبعت فلانًا أتبعه تبعا واتبَّعتُه اتباعا وأتْبعته أتبعه إتباعًا ــ كلها متقاربات في المعنى .

(١٥)ويُزَجّيها على إبْطَائِها

مُغْرَبُ اللَّوْنِ إذَا اللَّوْنُ انْقشَعْ

أي هذه النجوم بطيئات يتبع بعضها بعضا .

ويزجيها أي يسوقها . تقول أزجيت راحلتي وزجيتها أي سقتها برفق مضارعه أزجى يُزجي ومضارع زَجَّى يُزجي.وبضاعة مُزجاة أي قليلة.

(*) بنصب التاء على توهم الاستمرار في لغة من ينتظر .

يقول الشاعر هذه النجوم البطيئات وراءها سائق يسوقها برفق وبلا إسراع هذا السائق مغرب اللون أي فيه بياض وحمرة يعني الفجر ، حين لون الليل الأسود ينقشع أي يأخذ في الزوال ثم يزول . انقشع الليل أي مضى وذهب .

أصل كلمة المُغرب في وصف الخيل للحصان الذي يكون في وجهه بياض وعند ملتقى أطرافه بجسمه حمرة ــ أي هو غريب في لونه ، والشاعر عني بالمغرب اللون الصبح ، لأن الفجر الكاذب يلوح بحمرته عموديا كذنب منتفش ، ثم يجيء الفجر الصادق، وهو بياض أفقي ثم يجيء الشفق الأحمر وتتكشف الدنيا وينقشع لون الليل بسواده .

(١٦) راقب الشاعر النجوم وتذكر أشواقه وحبه فقال :

فَدَعَانِي حُبُّ سَلْمَى بَعْدَ مَا

ذهَبَ [٣]الْجِدَّةُ مِنِيّ والرَّيَع

سمى محبوبته " سلمى " بعد أن كان قد سماها رابعة ، الجدة بكسر الجيم وتشديد الدال المفتوحة أي الشباب الأول ، والريع بفتح الياء بعد الراء المشددة المفتوحة أي ريعان الشباب وشدته وعنفوانه .

بين لنا الشاعر هنا أنه قد تقدمت به السن وأن حبه لرابعة وهي سلمى كان في زمان الشباب ، وحينئذ بسطت مودتها ووصلها له . وهو يتذكر جميع ذلك ولا ينساه ويشتاق إلى زمانه .

(١٧)ولقد أحبها حبا شديداً كأنه جنون وكأنها خبلته أي أصابت عقله بجنون من حبها .

يجوز أن تقول خبلتني بدون تشديد وخبَّلَتني بالتشديد ، رُوي البيت بالوجهين. تقول خبلُه الحب يخبلُه بضم الباء في المضارع خبلاً وخبله الحب يخبله تخبيلاً .

وروي البيت أيضًا هكذا : خبَّلتني ثم لمّا تُشفني بالحاء المهملة أي صادتني بحبالها أي بشرك حبها . تقول حبلتُ الصيد أحبُله بضم الباء في المضارع. شفاه يُشفيه وأشفاه يشفيه ، ثلاثي

ورباعي .

يقول الشاعر هذه المحبوبة شغفتني حبًا ، جننتني أو صادتني بحبها ولم تداوني من مرض الحب إلى الآن ففؤادي ذاهب وراءها في كل جهة متفرّق بالشوق إليها في كل أوب أي في كلّ وجه من الدنيا وفي كل مكان ــ " كلَّ أوب " أي في كل مكان. كل منصوبة على الظرفية .

(١٨)ثم ذكر الشاعر أن من أسباب حبه لها ، ومن الوسائل والحبائل التي اصطادته بها ، حديثها الساحر من فمها الباسم الجميل الذي وصفه من قبلُ فقال :

حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتًا واضحًا

كشُعَاع الشَّمْسِ في الغَيْمِ سَطَعْ

ثم قال :

أبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ

طَيِّبَ الرِّيقِ إذَا الرِّيقُ خَدَعْ

والعرب تزعم أن الوَعِل أي الثور الوحشي الأعصم الذي في يديه بياض يكون في أعالي الجبال ، وهو سريع شديد الحذر عسير الصيد ، فالصيادون يحتالون لصيده ، وكذلك أُنثى الوعل ، ويقال لها الأُرْوِيَّة بضم الهمزة وسكون الراء بعدها واومكسورة بعدها ياء مفتوحة مشددة وتاء التأنيث الجمع أراوى آخرها ألف لينة . قالوا : والأروية والوعل يطربان للصوت الجميل ، فإذا أراد الصيادون صيد الوعل أو أنثاه الأروية نصبوا الأشراك وتغنوا بأصوات جميلة فيجيء الوعل وتجيء الأروية وتستمع وتطرب فيقعان في الشرك .

الرُّقية وجمعها الرقى هي ما يتداوى به الإنسان من السم والسحر . أحيانا تكون شيئًا يشرب أو نحو ذلك وأحيانًا تكون دعاء وكلمات كقراءة الفاتحة مثلا للسعة العقرب .

زعم الشاعر أنه كالوعل البري شراسة وقوة وامتناعًا ، ولكن سلمى دعته بحديثها العذب المؤثر كما تؤثر الرقية في الملسوع والملدوغ والمسحور . حديثها العذب المطرب المؤثر الذي يمكن أن يصطاد الوعل به فينزل لاستماعه من أعلى الجبل.

اليَفع أي المكان المرتفع .

يقول الشاعر إنها أثرت في بحديثها الجميل المطرب الذي ينزل لـه مـن يكون صعب المنـال مثلـي ومثـل الوعـل الجبلي فيقع في الشرك .

(١٩)استمر الشاعر في وصف حديث سلمى العذب فقال إنها تسمع المتحدثين إليها حديثها الحسن ولو طلبوا غيـره من غيرها من الناس لم يجدوه . هـي وحدها تملك هذا القول الرائع المـؤثر الذي تصطاد به القلوب.

الحُدَّاث أي الذين يحدثونها . تقـول هو رجل حدث بضم الـدال وحـدث بكسر الدال أي كثير الحديث وحـدث بكسر الحاء وسكون الدال وهم حُدَّاث.

تعليق :

إلى هنا انتهى الجـزء الثـاني مـن الغزل، ومن عادة الشعراء إذا ذكروا المحبوبة وأشعروا أن أسباب حبهم ما زالت باقية زعمـوا أنهـم سـيلحقون بالمحبوبة ، فيجعلون ذلك وسيلة إلـى وصف الطريق والراحلة والصـحراء وطبيعة البيئة التي يعيشون فيها . ثم يكشفون المعـاني الرمزيـة التـي يشيرون إليها بنسيبهم .

الشاعر هنا سـيقطع الصـحراء علـى ظهـر الخيـل ، والعـرب لا تقطـع المسـافات الصـحراوية الشاسـعة بالخيـل ولكـن بالإبـل . ولكن الغرض الذي يخبرنـا الشـاعر بأنه يريد الوصول إليـه هـو ديـار قبيلتـه العظيمـة بنـي بكـر . وإذن ركـوب الخيـل يرمـز بـه إلـى الفروسـية والقتـال . وقـد وضـع قبيلته بني بكـر موضـع المحبوبـة التي يشتاق الشـاعر إليهـا ويطلـب اللحاق بها .

وكما وصف الشاعر سلمى أو رابعة بأنها بسطت مودتها له ، وبأنها جميلة المنظر حلوة الحديث ، كذلك وصـف قومه بني بكر بالسماحة وبسـط اليـد كرمًا كما وصـفهم بحسـن الخُلـق والمنظر وجودة الحـديث : " منظـرٌ فيهم وفيهم مُستمعْ " (٤) .

والآن ننتقل إلى شرح الفصل الثالـث وهو السير والصحراء والخيل التـي ركبها ، من البيت (٢٠) إلى (٢٩) .

(٢٠)المَهمَه: الصحراء ، الجمع مهامِه ممنوع من الصرف ، لصيغة منتهى الجموع نازح بعيد . غور الصحراء بُعدها واتساعها . نازح الغَور : بعيد المسافة . الآل هو سراب أول النهار. يقول الشاعر: كم وكم قطعنا من أجل الوصول إلى سلمى صحراء وصحراء كانت بيننا وبينها ، صحراء بعيدة المدى ، سافرنا فيها وسرابها يلمع وحرها شديد .

(١)في ريح حارة ـ الحرور بفتح الحاء هي ريح النهار الحارة وتقابلها السَّموم بفتح السين وهي ريح الليل الحارة ـ سافرنا نهارًا والريح حارة حرّاً تلتهب له الدنيا ويمكن إنضاج اللحم على رمضائه ، والسائر فيها تصيبه من الشمس ضربة شديدة كأنها صاعقة ـ الصقع حر في الرأس . وصقعت الشيء: ضربته أصقعه بفتح القاف صقعًا والصقع بمعنى وجع الرأس بفتحتين على الصاد فتحة وعلى القاف فتحه .

وتقول صعِق فلان، بالمبني للمعلوم ، يصعق وصُعق يُصعق بالمبني للمجمهول أي أصابته صاعقة ويقال أيضا صاقعة والفعل صقَع يصقَع .

نضِج الشي بكسر الضاد ينضَج بفتحها في المضارع نُضجًا بضم النون وفتحها ولا تقل " نضوجًا " فهي غير صحيحة ـ والشيء ناضِج ونضِج وأنضجته أنا إنضاجًا .

(٢٢)وكم تخطيت من أجل اللحاق بسلمى ولشوقي إليها ، كم تخطيت من ديار فيها أعدائى ، تجاوزت هؤلاء الأعداء بشجاعتي وقوة عزمي وملازمتي للجد والعزيمة .

عُدى بكسر العين وبضمها أي أعداء . بزماع الأمر : بالجد في الأمر . الزماع بفتح الزاي مثل السحاب في الوزن وبكسر الزاي مثل الكتاب في الوزن،هو الجد في الأمور وقوة العزيمة . كنع الأمر يكنُع كنُوعاً أي قرب.أعوذ بالله من الخنوع والكُنوع والقُنوع ـ الخنوع طأطأة الرأس مذلة وخضوعًا . الكنوع الدنو من الناس لتملقهم وللتذلل لهم ، والقنوع سؤال الناس . وكنع بكسر

النون يكنع أي لزم الأمــر . " الأمــر الكنع " بكسر النــون أي المــلازم أي سافرت بحزم وجــد وعزيمــة قويــة ملازمة .

(٢٢)وكــم مــن فــلاه أي صــحراء واضحة الجوانب أي لامعة الجوانــب بضوء الشمس تبدو نواحيهــا وســط السراب والغبرة . مثل قطع الســحاب المتفرقة [٥]

وفلاة : صــحراء جمعهــا فلــوات . أقراب جمع قُرْب بضم القاف أي جنب وقُرْب الحيوان هو جنبه الــذي فيــه كُليته . واضح أقرابهــا أي واضــحة أقرابها ، جر واضحة لأنها نعت سببي لفلاةٍ وأقرابها فاعل وهو جمع تكسير ويجوز تذكير الفعل وتــذكير النعــت السببي مع جمع التكسير ــ كأنك قلت وفلاة وضــح أقرابــه أي وضــحت أقرابها فهي واضحة أي بيِّنة ولامعــة في ضوء الشمس .

مُرْفَت ، أصــل هــذه الكلمــة مــن الرفــــات أي العظــــام الباليــــة المتكســرة، والقَــزَع جمــع قَزعــة وهــي الســحابة المتفرقــة وكــذلك قطعة الشعر التــي تبقــى فــي رأس الصــبي . والعــرب تقــول لقطــع السحاب المتفرقــة قــزع وقنــازع ، وكــذلك لبقايــا الشــعر المتفــرق ــ ويقولون ما بقي فــي رأس فــلان إلا قنازع أي قطع متفرقات مــن بقايــا الشعر وارْفَــتَّ الشــيء أي تفــرق وتكسر . " مُرفت القــزع " أي قطــع السحاب المتفرقة .

(٢٤)هذه الفلاة يسبح الســراب علــى تلالها ومرتفعاتها وعلى جميع أرجائها وبيدائها حين يرتفع النهار . الســراب الذي يرتفع قرب الــزوال عنــد أول ارتفاع النهار هو الآل ، أعلام جمــع عَلَم وهو التل والجبل والمكان المرتفع الظاهر . البِيد جمع بيــداء أي مكــان قفر ، والبيد القفار الخالية ، ومَتَع اليوم يمتَع " بوزن منع يمنَع " ومتع النهــار أي ارتفعت شمسه .

(٢٥)فركبنا هــذه الفــلاة الواضــحة الأقرب التي تبدو نواحيها كالســحاب المتفرق المتشتت ، كأنه ثياب قطعهــا بالية متفرقة ، ركبناها بالرغم من أنــا

لا ندري مجاهلها وأهوالها بخيل صلاب الأرض – أي صليبات الحوافر ، فيها خفة وإسراع ، شجع بالتحريك أي خفة وإسراع . الأرض هنا بها الحوافز وبقوله صلاب الأرض دل على أنها القوائم ولكنه هنا عني الخيل .

وتقول العرب صلب الشيء فهو صلب بضم الصاد وصليب وصلب بضمتين وشدة والجمع صلاب .

(٢٦)وهذه الخيل كالمغالي أي كالسهام الواحد مغلي بكسر فسكون ، وهي عارفات بالسُّرى وهو سير الليل ومسنفِات بكسر النون أي متقدمات مندفعات أو مسنَفات بفتح النون أي مقدمات مدفوعات إلى الأمام ، لم تجعل عليها سيور تترك على جلودها وشمًا أي أثراً كأنه الوشمة أي النقش عل الجلد ، المغلي أي السهم اشتقاقها عن غلا بالسهم يغلو به أي رمى رميًا شديداً والمسافة التي يقطعها السهم في أشد الرمي اسمها غلوة بفتح الغين والجمع غلاء .

والعرب تقول جري المذكيّات غلاء أي جري الخيل الجياد لا يحكم عليه مرة واحدة ولكن بجريات متعددة .

والسِناف بكسر السين خيط يشد به حزام الإبل ، والإسناف في الحرب هو التقدم ، وأسنفت الناقة وأسنفت الفرس أي تقدمت ورواية البيت بكسر النون من مسنفات وبفتحها ، وقال الشاعر : لم توشم بالنسع لكيلا يتبادر إلى ذهنك من قوله مسنفات أنها إبل فنفى أن تكون مشدودة الحزام بسير أو نسعة تؤثر على جلدها . والنسعة بكسر النون السير وجمعها نسع بكسر ثم فتح.

(٢٧)فترى هذه الخيل عصفًا(بضماين) أي سريعات عاصفات مثل الريح ، ولحوافرها الشديدات نعال حديد مما صنعه القين ، والقين هو صانع ، وأكثر ما تطلق على الحدَّاد والجمع قيون . والقينة الصانعة وأكثر ما تطلق على المغنية هذه النعال الحديدية تقيها الأذى من ضربها للحجارة ضربًا شديًدا وهي على أرض فيها صلابة وحجارة . الوقع بفتحتين أي

الضرر الذي يلحق بالحافر . تقول العرب وقع الحافر يوقع وقعًا بوزن وجع يوجع وجعًا والمعنى متقارب [٦] .

(٢٨)هذه الخيل قد اندفعت في الليل وكستها ظلمته وسواده فكأنه درع عليها وهذه الخيل يهوين بنا هويًا أي يندفعن بنا مسرعات كأنها القطا الكدر الألوان التي جاءت مسرعة إلى ورود الماء وجعلت تهوي إلى الشرع أي إلى المكان الذي ترد فيه الماء ـ العرب تقول لمورد الماء شريعة وشرع بالتحريك ومشرعة . والقطا ترد الماء عند الفجر وأول الصباح ، والقطا نوعان نوع فيه سمرة وهو الكُدر والواحدة كُدرية فيه سواد وهو الجون والواحدة جونية .

(٢٩)والقطا حين ترد تشرب بخفة ومن دون إسراف شرب الشارب من الماء قليلاً قليلاً قيل شرب غشاشًا .

وقال الشاعر :

لا أذوقُ النَّومَ إلاَّ غِراراً

مثلَ حسوِ الطَّيرِ ماءَ الثّمادِ

أي أنا قليلاً قليلاً مثل حسو الطير من ماء الثماد جمع ثمد وهو الماء القليل على وجه الأرض والكلمة معروفة في عاميتنا نقول " تمد "

قال سويد :

فَتَنَاوَلْنَ غِشاشًا مَنْهَلاً

ثُمَّ وَجَّهْنَ لأرْضٍ تُنْتَجَعْ

أي تناولن شرابًا قليلاً قليلاً ثم توجهن إلى أرض يردن انتجاعها أي القصد إليها والإقامة بها. المنهل مكان الشراب أو الشراب نفسه. نَهِلَ يَنْهَلُ أي شرب الشربة الأولى. الشراب الأول نَهَلٌ والثاني عَلَلٌ[٧] وجه بمعنى توجّه.

تعليق:

قوله "ثمَّ وجّهن لأرض تنتجع" يعنى أرض قومه بني بكر. ولقد قال من قبل فى البيت (٢٠):

كَمْ قَطَعْنا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهًا

نازِحَ الْغَوْرِ إذَا الآلُ لَمَعْ

فزعم أنه قطع المهمه من أجل اللحاق بسلمى ، وهنا قال إن خيله توجهت لأرض طيبة ينتجعها

الناس ، يطلبون المرعى فيها ، النجعة بضم النون أي طلب المرعى والكلأ (أي الحشيش الذي يرعى) وانتجع أي طلب المرعى ، ومكان منتجع أي طيب فيه مرعى وتحسن به الإقامة .

ولذلك زعمنا أن سلمى أو رابعة كما هي محبوبة توصف بحسن المنظر وحسن الحديث هي أيضًا رمز لديار الشاعر ولقومه. وهذا الأسلوب كثير في الشعر، حتى في شعرنا العامي موجود ، فقد قال خليل فرح رحمه الله:

عز في هواك عز نحن الجبال

يعني يا بلدنا العزيز نحن كالجبال الراسية في حبك والدفاع عنك .

(٣٠) ثم فسر الشاعر هذه الأرض التي تُنْتَجَعْ وبيَّن حقيقتها أنها ديار قومه بني بكر وهم فيها كالملوك وهي مملكتهم أي الديار التي يملكونها ويدافعون عنها ويقيمون فيها مآثرهم ومفاخرهم :

مِنْ بَنِي بَكْرٍ بِها مَمْلَكَةٌ

مَنْظَرٌ فِيهم وفِيهم مُسْتَمَعْ

مستمع مصدر ميمي من استمع . أي هذه الديار التي فيها مملكتهم هم فيها أهل منظر جميل [٨] وحديثهم يجذب الأسماع إليه . وهم فيهم منظر وفيهم مستمع أي ما يستمع إليه .

تذكر أيها القارئ قوله من قبل في رابعة بعد أن وصف ثغرها ووجهها وطرفها وشعرها وخُصَلَةُ السابغة :

تُسْمِعُ الْحُداثَ قَوْلاً حَسَنًا

لو أرادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَمَعْ

(٣١) وتذكَّر أيها القارئ الكريم أيضًا قوله في أول القصيدة عن رابعة في أول النسيب الذي نسب فيه :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلَ لَنا

فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ منها ما اتَّسَعْ

وهنا في هذا البيت الحادي والثلاثين يقول في مدح قومه والفخر بهم :

بُسُطُ الأَيْدِي إذَا ما سُئِلُوا

نُفُعُ النَّائِلِ إنْ شَيءٌ نَفَعْ

استعمل في الدلالة على مروءتهم وكرمهم نفس اللفظ الذي استعلمه من

قبل وهو البسط . وبسط الأيدي بالمعروف مدها بالمعروف .

وصف قومه بأنهم كرام يبسطون اليد بالكرم حين يُسألون وعطاؤهم سمح يعطونه بنفس سخية ولذلك يكون نافعًا . إن شيء نفع فعطاؤهم من الأشياء النافعة حقًا وبعض عطاء الناس لا يقع لأنهم لم يبذلوه بسماحة النفس .

بُسُط جمع بسيط هو المسماح الكريم المتهلل ويجوز أن نجعلها جمعًا للباسط يده بالمعروف ولكن صيغة فُعُل بضمتين الغالب فيها أن تكون في الجمع لفعول وفعيل [٩] .

ونُفُع بضمتين جمع نفوع أي عظيم النفع والفائدة مثل نفاع في المعنى والنائل هو العطاء .

(٣٢) قومي من أناس أهل فضل وخير وخلق حسن ، ليس في طبعهم الإسراع إلى القول الفاحش ولا عدم الصبر عند المصيبة . قوله لا يُسرعون إلى الفحش ولا يعجلون إليه عنى به أنهم لا يكون منهم فحش في القول أبدًا حتى يعجلوا به كعجلة غيرهم . ولم يرد نفي العجلة وحدها ولكن أراد نفي الفحش كله عنهم . والجزع هو كما قدمنا القول ، عدم الصبر عند المصيبة ، جَزِعَ يجزع جزعًا فهو جَزِعٌ وجزوع .قال تعالى : " إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هلوعًا إذا مسَّهُ الشَّرُّ جزوعًا وإذا مسَّهُ الخيرُ منوعًا " صدق الله العظيم .

(٣٣) وقومي أهل صدق وعدالة وجد يعرفون الحق حين يكون لهم أو عليهم، وعندما يجيء أمر كريه مُرّ فهم ليسوا ضعفاء ولكن يواجهونه بقوة.

عي وعيي بالأمر أي أعياه الأمر ولم يستطعه [١٠] . خَرِعَ يخَرع خرَعا أي ضعف والخرع الضعيف والخرع الضعف – وخرع الرجل في أمره إذا لان في أمره وتساقط من العجز والضعف .

(٣٤) ثمَّ ذكر كرم قومه بالطعام في زمان الحاجة وأشد ما كان الناس

يحتاجون إلى زمان الشتاء عندما تهب الرياح من الشمال - الشـمال بكسـر الشين الجهة والشـمال بفـتح الشـين الريح التي تجيء من الشمال ويقال لها الشمأل بالهمز .

قومي يطعمون الطعـام فـي زمـن الحاجة وأشد ما كان الناس يحتاجون إلى الطعام زمان الشتاء عندما تهـب الريح شمالا ويطعمونه كثيـرا طيبـا مطبوخا في قدور ضـخام ضـامنات للشبع ولا يضعون فيها شيئا قلـيلا . تقول العرب أجاع فلان قدره أي لـم يجعل فيها لحما كثيرا .فقوله هنا " في قدور مشبعات لم تجع " أي مملـوءة فيها اللحم الكثير .

(٣٥) ويُنقل اللحم من القـدور إلـى جفان كبيرات كل جفنة كأنها جابية من اتساعها . الجفنة وعاء كبير يوضـع فيها الطعام وقد تصنع مـن الخشـب ومن النحاس ومن غير ذلك . والجابية هي حفرة الساقية التي فيها الماء.هذه الجفان مملوءة بلحم من لحـم الإبـل السمينات الأسنمة- التـرع بالتحريـك الامتلاء . أترع إنـاءك أي أمـلأه . الذرى : ذروة كل شيء أعلاه وذرى الإبل أسنمتها ولحم السنام من أطيـب اللحم .

وقوله :" وجفان كالجوابي " أخذ مـن القرآن ، إذ ذكر الله سبحانه وتعـالى الجن الذين كـانوا يعملـون لسـيدنا سليمان فقال تعالى :

"يعملونَ لهُ ما يشـآءُ مِـن محاريـبَ وتماثيلَ وجِفَـانٍ كـالجوابِ وقُـدورٍ راسياتٍ " صدق الله العظيم " سـورة سبأ الآية : ١٣ " .

(٣٦) وقومي أوفياء لا يخـاف مـن جاورهم أن يغدروا به أو أن يطمعـوا في ما عنده فيحسدوه ويتعدوا عليـه . الطبع بالتحريك العيب وسوء الطمـع- قالوا والطبع صدأ ووسخ يركب القلب من شدة الطمع وفساد الخُلُـق- قـال الشاعر :

لا خيرَ في طمعٍ يُدنِي إلى طبع
وغُفَّةٌ من قِوَامِ العيشِ تكفينِي

الغُفة من العيش أي البلغة من العيش، القليل الذي يقيم به المرء قوت يومه . وهذا البيت يدل على أن الطبع شر من الطمع .

(٣٧) وقومي كرماء مساميح أهل جود يجودون بالنفيس الذي يبخل به الناس ونفوسهم طيبة خالية من الطمع السيىء . حسر نفسه عن كذا أي كفها ومنعها من كذا، المضارع يحسر بضم السين فهم يمنعون أنفسهم من الطمع السيىء .

ضن بالشيء يضن به الفتح ويضن به بالكسر أي يبخل وضن بالشيء بالبناء للمجهول أي بخل به وهذا الشيء علق الشيء علق مضنَّة وعلق مضنة بفتح الضاد وكسرها أي نفيس مما يبخل به.

(٣٨) وقومي حسنو الوجوه مشرقوها لم يعن أنهم بيض الألوان كالإفرنج فالعرب لم تكن تعرف في ألوان هذا اللون . وقومي أهل شجاعة وشرف وليسوا جبناء ولا يخافون إذا جاء زمان الفزع أي الخوف واستنجد بهم الناس ليحموا ويدافعوا . مراجيح أي ثابتون لا يخفون جزعًا . إذا جد الفزع إذ صار الاستنجاد من أجل الدفاع والحماية أمر جد وحزم . والفزع بمعنى النجدة وقت الخوف والتعاون بين الناس على ذلك مستعملة في لغتنا العامية . وأصل معنى الفزع الاستغاثة والإغاثة عند الخوف . ويدل أيضًا على الخوف . وأفزعت فلانًا أخفته . وفزع فلان إلى فلان أي استغاث به أو أغاثه ونصره . وكان أنصار الرسول صلي الله عليه وسلم ورضي تعالى عنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع وذلك لإخلاصهم وصدق إيمانهم .

(٣٩)وُزُنُ الأحلام أي راجحوا العقول، تزيد أحلامهم أي عقولهم على غيرهم إذا وازنا بينهم وبين غيرهم ، وهم شجعان عند البأس أي في الحرب حين تشتد ، هو ذو عقل زين أي راجح ، وحلم فلان حلمًا فهو حليم أي راجح العقل له أناة وروية وتفكير في عواقب الأمور وهم وزن الأحلام ــ وزن جمع وزين .

صادقو البأس أي يصدقون القتال شجعاناً في الحروب . البأس الشدة والقتال والحرب . " إذا البأس نصع " أي اشتد ووضحت شدته ويروى :

رُجُحُ الأحْلاَمِ إنْ وُزِنُوا

صَادِقُو الْبَأسِ إذَا الْبَأسُ وقَعْ

أي عقولهم راجحة ، رجح جمع رجيح وهم مراجيح مساميح ومراجيح لا مفرد بها في الاستعمال ، ومساميح مفردها مسماح وهو مستعمل .

(٤٠) وقومي في شجاعتهم مثل الأسود التي تتقى أي تخاف وصولها. والعرة : الأذى أي يخاف الناس الأذى الذي تسببه هجمتها الشديدة . وهم حلماء ليسوا بخفيفين تطير أحلامهم مع كل ريح . هم أهل هدو وأناة . عبر عن هذا بقوله : ساكنو الريح أي ريح أحلامهم أي ريح عقولهم ساكنة لا تهيج كالإعصار ذي الغبار الذي يكدر الدنيا ثم يصير إلى لا شيء . ريحهم ساكنة وهم هادئون حين يخف غيرهم من الناس الذين يتطايرون كقطع السحاب المتفرقة التي تسوقها الريح لخفتها وخلوها من الفائدة إلى جهات مختلفة .

وذم سيدنا على بن أبي طالب – كرَّم الله وجهه– قومًا فقال إنهم يجتمعون (كما يجتمع قزع الخريف) يعني أنهم يجتمعون متفرقين ويتفرقون من بعد.

(٤١)لمّا وصف قومه بالشجاعة وأنهم أسود تخاف صولتها قال فبهم تحدث النكاية في العدو والانتقام منه . وبهم يضم الشق إذا حدث شق وانصداع في أمور الناس . رأبت الشيء أرأبه أي أصلحته . والشِّعب الشيء المتفرق انشعب الإناء أي انشق . رأبت شعب الإناء أي أصلحته . والشِّعب أيضًا الشيء الملتئم ، فالكلمة من الأضداد ، ومن قولنا هم شعب واحد . انصدع الشعب أي انشق الشيء الملتئم ونكيت في العدو أنكي بكسر الكاف أي صنعت به الضرر والأذى . ونكأت القرحة أنكأها أي قشرتها نكأ . انصدع أي انشق . الصدع : الشق .

(٤٢)وقومي مجدهم قديم ، وعادة الشرف فيهم قديمة ، وليس شرفهم بالشيء الجديد الذي ليس له أصل راسخ .

(٤٣)وقومي يحتلون ثقال الأمور التي يكلفهم واجب المروءة إياها . لايعجزون عنها ويظلعون لثقلها كما يظلع البعير الذي يوضع فوقه أكثر مما يتحمل من الأحمال . والشِّف بكسر السين الزيادة . أي هم يطيقون كل ما يكلفونه ولايعجزون ولا يظلعون كما يظلع البعير ذو الشف أي الزيادة من الأحمال التي ثقلها يزيد على طاقته .

والأحمال التي يعينها هنا مثل إخراج المال للضيافة والمعاونة في دفع الديات من أجل الصلح بين القبائل .

(٤٤)ولأن شرف قومنا معروف فإنهم لايؤاخون إلا من كان مثلهم في شرف الأصل وصلاح الأخلاق . قال الشاعر :

عن المرءِ لاتسأل وسَلْ عن قرينِه
فكلٌ قرينٍ بالمقارِن يقْتَدِي

فهم لايؤاخون من كان وضيع الأصل قليل الخير ولذلك فإخوانهم نظراؤهم الأخيار وسراة الأصل من الناس أي كرماء الأصول من الناس . أكفاء من كفء والكفء هو النظير [11] .

وسراة جمع سري والسري هو السيد الشريف من الناس . قال الشاعر :

لايصلحُ الناسُ فَوْضَى لاسراةَ لهم
ولا سراةَ إذا جهَّالُهم سادُوا

أي إن قومي على طريق بين من المروءة والصلاح والمحافظة على الشرف ومن كان على هذا الوجه وعلى هذا الطريق كان من خلانهم . وقومي سراة الأصل يؤاخون سراة الأصل. بقية الناس أصناف متفرقون، شيع متفرقة كل طائفة يتشيعون ويتعصبون لأنفسهم وكلمتهم كتفرقة هذا معنى سويد : "والناس شيع "أخذه من قوله تعالى : " إنَّ الذين فَرقُوا دِينهُم وكانوا شِيَعًا لستَ منهُم في شيءٍ " أي أنت برئ من تفرقهم وضلال أمرهم. (سورة الأنعام: ١٥٩) .

تعليق :

إلى هنا ينتهي القسم الذي ظنه المستشرق كارلوس ليال قصيدة قائمة بنفسها. والحق كما قدمنا أنه عبارة عن أربعة فصول من هذه القصيدة الأثنى عشر ، جعلها كلها تمهيدًا لما سيأخذ فيه من بعد من الفخر ببني

يشكر ثم من الخصومة بينه وبين عدوه الذي ناضله وانتصر هو عليه.
وقد ذكرنا أن المعاني التي افتتح بها نسيبه من عطف المحبوبة ، وبسطها حبل المودة ، وحسن حديثها ، وجمال منظرها ، وسحر كلامها ، وكمال خلقها هي نفسها المعاني التي مدح بها قبيلته الكبرى بني بكر .
وبعد مدحه القبيلة الكبرى يندفع اندفاعة جديدة يجيء أولاً فيها بشيء من النسيب يحرك به نفسه وسامعيه، ثم يصف رحلته ليلحق بالمحبوب ثم يفتخر بقومه وقد جعل رحلته كما هي دالة على طلب اللحاق بالمحبوب هي أيضًا رمز ليصل إلى ذكرهم والافتخار بهم .
ومن بعد يأخذ في ذكر عدوه وما كان بينهما من الخصومة والمساجلة ثم كيف انتصر عليه بفصاحته وبيانه وثبات جنانه (أي قلبه)
(٤٥) أرَّقَ الْعَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدِعْ
مِن سُلَيْمَى فَفُؤادِي مُنْتَزَعْ
في هذا البيت ما يسمى "بالتصريع[١٢]".
وهو أن يكون البيت في أثناء القصيدة فيه قافية في صدره وفي عجزه .
والشعراء يفعلون هذا عندما يبدأون فصلاً جديداً في القصيدة أو يأخذون في بيان معنى جديد . مثلاً بدأ امرؤ القيس معلقته بقوله :
قِفَا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فحَوْمَلِ
هذا مطلع القصيدة وهو مقفى في الصدور والعجز وهذا تصريع وكثير من مطالع القصائد تكون مصرعه .
ثم قال من بعد في صفة الليل والحديث عنه :
ألا أيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِ
بصُبْحٍ وما الإصْباحُ مِنك بأمثلِ
فهذا البيت مقفى في صدره وفي عجزه وهذا التصريع . كذلك هنا في هذه القصيدة.وروي هذا البيت بكسر دال يدع أي يتدع ويقر ويمكث .ولا بأس أن تفتح الدال [١٣] وتقرأ :
أرَّقَ الْعَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدَعْ
أي لم يدعني فأنام، وعندي أن الرواية بفتح الدال لعلها صحيحة لأن وزن " يدَعْ " مناسب لوزنه " منتزَعْ " ويستحسن في القوافي المقيدة أي ذات السكون أن تكون حركة الحرف الذي قبلها متشابهة . والأنباري الكبير الذي

نحن معتمدون على شرحه وروايته لم ينص على منع " يدع " المفتوحة الدال ولكنه بين أن الرواية " تدع بكسر الدال " ولم يذكر أنه رواها هكذا عن شيخه .

وروي أن أبا عمرو قال لم يدع من الدعة والسكون أي لم يتَّدِع ولم يتقارّ حين جاءنا – أي مضى بسرعة ولم يمكث . وأبو عمر المذكور ههنا هو بندار الكرخي أحد شيوخ الأنباري الكبير . ومن تكرار الأنباري لشرح هذه الكلمة وسوقه الحجة على ذلك يلوح لنا بأن آخرين ربما كانوا يروون البيت بفتح الدال من" لم يدع " والله تعالى أعلم .

يقول سويد ، عائدًا إلى معنى الطيف والذكرى ليجدد نشاط نفسه إلى الاندفاع إلى البيان والتعبير :

إني أرقت . أرق عيني خيال زارني من الحبيب ولم يمكث طويلاً . ألمَّ بزيارته فهيج شوقي وأرق عيني . وهو طيف خيال زارني من سليمى. فكأنما انتزع فؤادي انتزاعا من شدة الشوق إليها .

تنبه أيها القارئ الكريم إلى أنه صغر اسم سلمى فجعله سليمى وهذا يناسب ما سيصير إليه من بعد من الحديث عن قبيلته الصغرى بني يشكر ثم عن نفسه . والتصغير يستعمل للتحبيب وللتلميح .

والعرب كثيرا ما تزعم في أشعارها أن المحبوبة من قبيلة أخرى ، هذا أسلوب لهم وإن كانت من نفس القبيلة.

(٤٦) يقول : هذه المحبوبة بعيدة الدار من داري . حلت جانب الحصن وهو موضع بعينه . وقيل الرواية الصحيحة " حل قومي جانب الحضر " والحضر مدينة قديمة بالعراق وهي مدينة الموصل، وبنو يشكر كانوا بدواً وربما طلبوا المرعى فأبعدوا النجعة إليه. والفرع موضع بين الكوفة والبصرة فجعل محبوبته من القبائل التي تسكن هناك، ليعبر عن بعدها وشوقه إليها ، وصعوبة لقائها .

(٤٧)قال ولبعدها هذا فأنا لا أستطيع لقاءها مع أني أحبها وقلبي مشغول بها وهو أسير عندها . إنما ألقاها إذا

نامت عيني . يأتيني طيفهـا ويـزول بسرعة. فلقائي لها إلمامة يسيرة بهـا في المنام حين يهجع الطرف .

(٤٨)ثم وصف ما رآه من جمال بشرة طيفها في المنام . قال هي كالتُّؤامية أي بشرتها ناعمة صافية كالدرة التُّؤامية ، أي التي يجيء بها الغواصون من الخليج في الساحل الذي يقال له تؤام وهو ساحل عمان والبحرين حيث يغاص على اللؤلؤ .

هذه المرأة ناعمة البشرة إن ظفر المرء بها قرت عينه ، أي سرَّ سروراً عظيمًا وأعجبه مضجعه بقربها وسره اضطجاعه إلى جانبها.

(٤٩)ولكن لاسبيل إلى ذلك لأنها قد بكرت أي هبت من أول الصبح مُزمِعة عازمة على نية السفر ، وقد حدا الحادي بالرحيل واندفعت جِمالها مبتعدة بها واندفع الحاي بالإبل في الصحراء .

(٥٠)وتركني هائماً . وترك رجلاً كريماً ، هو أنا ، مكبلاً في حبها ، وقلبه ذاهب وراء الحي الذي ارتحل وارتحلت فيه محبوبته .

يقال : غلِق الرهن أي فاتت مدة خلاصه ولم يستطع صاحبه أن يرده والشعراء تزعم أن قلبها مرهون عند المحبوبة وقد غلق الرهن أي فاتت مدته وعسر فكاكه ، والقطين الأهل الساكنون معاً . أي قلبه قد اتبع هؤلاء الراحلين هؤلاء القطين الذين كانوا معهم في الحي قد ساروا واتبعهم فؤادهم فهو بحبه لهم أسير مكبل عندهم . هذا آخر الفصل الخامس .

تعليق :

لأن قلبه مرهون عند المحبوبة وأسير لقطينها الراحل ، فإن الشاعر لا يستطيع إلا أن القطين الراحل ، الحي الذي رحل بمحبوبته . وقد فعل ذلك . ولأنه هذه المرة مضطر إلى قطع مسافات رمال الصحراء البعيدة ، فقد ركب ناقة وأسرعت به وهي قوية قادرة على قطع المفازة العظيمة والشاعر يشبهه بالثور الوحشي ويصور شدة نشاطها ويزعم أن هذا الثور حفت به كلاب الصيد ، وحاول رميه صاحبها ولكنه نجا وانطلق فلا يجري شيء مثل جريه ــ ناقتي كهذا الثور بنشاطه ونجاته هو أيضاً رمز

لنفسه ولدفاعه عنها وانتصاره على خصمه .

(٥١)ومن هنا يبدأ الفصل السادس وفيه وصف الرحلة على الناقة والثور الوحشي . يقول سويد : فكأني مندفعاً[١٤] فوق راحلتي وقد جرى السراب في الضحى عند بدء الحر في الاشتداد وارتفاع الشمس وسطوعها ، كأنني على ظهر ثور وحشي طويل الذيل (ذيال) وفي خديه خطوط حمر ضاربة إلى السواد . الأسفع هو الذي كأنه محروق بالنار خالط حمرته لون سواد .

السفع بالتحريك والسفعة السواد الضارب للحمرة. والثور الوحشي لونه أبيض إلا وجهه وقوائمه ، وجهه فيه سفع وكذلك قوائمه .

(٥٢)كُفَّ خَدَّاهُ على دِيبَاجَةٍ

وَعلى المَتْنَينِ لَوْنٌ قد سَطَعْ

الديباج نوع من الثياب فاخر يضرب إلى السواد والحمرة . خدَّا هذا الثور كأنَّما كُفَّا أي ضُمَّ على ديباجة ، أي كأنهما قطعة من الديباج مضمومة، لحمرتهما الضاربة إلى السواد أو سوادهما الضارب إلى الحمرة، وعلى المتنين أي على جانبي الظهر لون قد سطع أي قد بدا باهراً ساطعًا بياضه في ضوء الشمس .

(٥٣)يَبْسُطُ المَشْيَ إذَا هَيَجْتَهُ

مِثْلَ ما يَبْسُطُ في الخَطْوِ الذَّرَعْ

الذرع هو العجل الصغير وهو نشيط يبسط خطوه مرحاً ولعبًا لصغره ومرحه . يقول هذا الثور الوحشي يبسط المشي أي يسرع فيه ويشتد إذا هيجته ويكون في وثبه ونشاطه واتساع خطواته شبيهًا بالذَّرع وهو ولد البقرة الصغير . وهذا الوصف بحركة النشاط المرحة كما ينطبق على الثور الوحشي ينطبق على راحلته المشبهة بالثور الوحشي ، وينطبق على الشاعر نفسه لأن نشاط راحلته طرف من نشاطه هو .

ولاشك قد تنبهت لاستعمال الشاعر للفظ " يبسط " وتكرار هذا اللفظ في القصيدة . جعله أول الأمر لرابعة المحبوبة . ثم لقومه بني بكر " بسط الأيدي " ثم الآن للثور الوحشي "يبسط المشي إذا هيجته " .

(٥٤)هذا الثور الناشط فاجأه فراعه أي أخافه صائد من بني

طيبيء ، وكانوا معروفين بجودة الرمي ، من أسهم يرمي بها ومعه ضراء أي كلاب ضارية متعودة على الصيد ، مدربة ، واحدها ضرو للذكر وضروة للأنثى وضريت الكلب تضرية دربته ليكون ضارياً بالصيد .

يقول هذا الصياد معه قوسه وأسهمه ومع ذلك كلابه الدوارب بالصيد ، الضارية المعودة عليه ، التي تبرهن بقوة جريها على مقدرتها الفائقة وتبلي أوتار الصائد أحسن البلاء أي تعطيه عن مقدرتها أجود دليل . تقول اختبرت فلانًا فأبلى بلاءً حسنًا أي فجاز الاختبار بتفوق.

الشرع بكسر الشين وفتح الراء جمع شرعة وهي الوتر في القوس ومنه يكون الرمي . وإذا أراد الصائد إغراء كلابه بالثور ، وشد الوتر ورمى فأرنَّ كان ذلك علامة يغري بها كلابه ، فهن ينطلقن وراء الثور مع انطلاق السهم ويبلين بجريهن أحسن البلاء ، ويبرهن للأوتار التي ترسل السهام أنهن سريعات كالسهام، أنهن أيضًا هن سهام يبارين السهام نفسها في السرعة وفي صدقهن الاندفاع إلى الصيد .

تقول بلوته أي اختبرته فأبلى أحسن بلاء . وبلا الصائد كلابه يبلوهن أي اختبرهن فأبلين أحسن البلاء . وبلت الشرع الكلاب أي اختبرتها حين أُرسلت مرمية عنها السهام فأبلتها الكلاب وكن يبلينها بسرعة جريهن أي يعطينها نتائج نجاح باهر من السرعة.

وهذه مبالغة لأن الكلب لا تبلغ سرعته سرعة السهم ، ومن قبل قد جعل سويد خيله كالسهام التي يغلي بها في الرمي فقال في البيت (٢٦)

كالْمَغَالِي عارِفَاتٍ لِلسُّرَي
مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوَشَّمْ بالنِسَعْ

(٥٥)فرأى الثور الكلاب ولم يستبنهنّ إما بسبب الغبار الذي أثاره جريهن وإما لبعض الضعف في بصره إذ جنس الظباء موصوف ببعض الضعف في بصره .

و" كلاب الصيد فيهن جشع " أى حرص وإفراط في شهوة ما سيكون

لهن طعامًا لأن الصائد سيعطيهن لحم الثور متى الصيد عليه .

(٥٦)لما تبينهن الثور وأيقــن أنهــن يردن صيده ولى هاربًا وحوله جنابان من غبار أكدري اللون أي فيه كــدره الغبار ثم بعد اندفاعه الجري الأولـــى اتدع أي سكن وهدأ شيئًا ولـــم يجتهد

من التراث اللغوي المفقود

" مع كتابين مفقودين للفراء "*

للأستاذ الدكتور : أحمد علم الدين الجندي

(٢)

أولاً – حركية الكلمة

١- فاء الكلمة:-

الفراء :

١- يعزو الضم لغة قريش والفتح لغة تميم ، وذلك في قوله عز وجل :" الله الذي خلقكُم من ضعف " (١) الروم آية ٥٤ . القرطبي ٥١٢٨ . [ق]

٢- يعزو فتح : الواو من " وجــدكم " إلى لغة تميم ، وهي قراءة الأعــرج والزهري .(٢)

معانى الفراء ٣/١٦٤ . [ق]

٣-لغة سليم (إِيّان) بكســر الألــف وبها أبو عبد الرحمن السلمى " إِيّــان يبعثون "(٣) وقــراءة العامــة " ومــا يشعرون أيان يبعثون " سورة النحل آية ٢١ . وسمع الفراء بعض العــرب تقول متى إيوان ذلــك،والكلام : أوان ذلك . [ق]

٤-الملك – بكسر الميم هــو الملــك يملكه الرجل .والملك – يضم الميم : السلطان وبعض بنى أسد يقول : مالي مُلك ، يقول : مالي شيء أملكه.

معاني الفراء ٢/١٨٩ [ق]

٥- أسوة (٤) . بضم الألف لغة قيس ، والحسن وأهل الحجاز بالكسر في كل القرآن لا يختلفون .

معاني الفراء ٢/٣٣٩ . [ق]

٦- الوتر – بفتح الواو لغة حجازية .

معاني الفراء ٣/٢٦٠ . [ق]

٧- وفي قوله تعالى : " وجعل علــى بصره غشاوة " بفتح العين [٥] يقول النحاس . هي لغة ربيعة فيما يظن الفراء . إعراب القرآن لأبــي جعفــر النحاس ٣/١٣٢ [ق]

٨- تقول : المثــلاث بضــم الميــم وسكون الثاء . وغيرهم(ولعلهم أهــل الحجاز) المثلاث بفتح الميم .وذلــك في قول الحق " وقد خلتْ من قــبلهم المثلاث"[١] معاني الفراء ٢/٥٩ .[ق]

٩- صَدُقاتهنّ نحْلــة[٢]. حجازيــة . وتميم صُدْقات[٣].معاني الفراء٢/٥٩. [ق]

١٠- البِسْط .وبالضم لغة تمــيم نقلــه الفراء في نوادره ، وبضمتين لغة أسد نقله الكســائي .والتــاج ١٩/١٤٨ ط الكويت [غ]

٢-عين الكلمة

١-حدثني شيخ عن الأعشى قال: كنت أسمعهم يقرأون : " عُرْباً أترابا "[٤].

بالتخفيف . وهو مثل قولك : الرسْل [*] والكتْب في لغة تميم وبكر بالتخفيف . والتثقيل وجه القراءة ، لأن كل فعول أو فعيل أو فعيل أو فِعال جمع علــى هذا المثال ، فهو مثقل مذكرا كــان أو مؤنثا والقراء على ذلك . معاني الفراء ٣/١٢٥ . [ق]

٢- خفف الميم (الجمعة) [٥] الأعشى، وثقلها عاصم وأهل الحجــاز ، ولغــة بني عقيل: جمعة بفتح الميم، [٦] وقيل إنها لغة النبي صلى الله عليه وســلم . معاني الفراء ٣/١٥٦ .[ق]

٣-وفي الجمعة ثلاث لغات . انظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٢١.

٤-يقال : أرض جُرُز وجُرْز . وأرض جَرَز وجرْز . لبنــى تمــيم . وهو مثل : البُخُل والبُخْل ، والبَخَل والبَخْل . معاني الفراء ٣٣٣ . وفــي

*نشر القسم الأول في مجلة المجمع : الجزء ٧٥

(١) قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن ، والباقون بالضم ، لغتان . والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) وقراءة جميع القراء بضم الواو في قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم" الطلاق آية ٦ .

(٣) معاني الفراء ٢/٩٩ والتاج (أين) .

(٤) كان عاصم بن أبي النجود يقرأ (أسوة) برفع الألف في كل القرآن ، وكان يحيى بن وثاب يرفع بعضا ويكسر بعضا . معاني الفراء ٢/٣٣٩

(٥) وهي قراءة السلمي وعاصم وأهل المدينة ونافع وابن كثير .

(٣) واحدها صُدْقة (٤) الواقعة : آية ٣٧ .

(*) يقول الرضي : وجميع هذه التفريعات في بني تميم . ثم يقول أيضا : حتى جاء في الكتاب العزيز وهــو حجازي :رسلنا ورسلهم،وهو في الجمع أولى منه في المفرد لثقل الجمع معنى. شرح الشافية ١/٤٠ فما بعدها.

(٥) في قوله تعالى :" إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة " سورة الجمعة آية ٩ .

(٦) وعلى هذا تكون صفة اليوم أي:تجمع الناس،كما يقال: رجل ضُحَكة للذي يكثر الضحك . القرطبي ٦٥٧٦ ويرى الفراء على قراءة فتح الميم وهي لغة عقيل أنها لو قرئ به كان صوابا . معاني الفراء ٣/١٥٦ .

زاد المسير ١٠٦/٥: أن الفراء قال : أهل الحجاز يقولـــون : أرض جُـــرُز وجَرْز ، وأسد تقول : جَـــرَز وجُـــرُز وتميم تقول : أرض جُـــرْز ، وجَـــرْز بالتخفيف. [1] [ق]

٥- يقال-وَصِلَك الله ، لغة في(وَصَلَكَ الله) وهي لغة بني بدْر .

التكملة والذيل والصـــلة للصـــاغاني ٥٤٦/٥.

الحركة المركبة :

وحكى الفراء : فـــلان يأكـــل الحِينـــة والحَيْنة [2] ،والفتح لأهل الحجاز .

المشوف المعلم للعكبري ٢٢٥/١[غ]

٣- المماثلة في الحركات :

١-جاءنا بتُذْنوب وهي لغة بني أسد ، والتميمي يقول : تَذْنـــوب ، والواحدة تَذنوبة اللسان ٣٧٦/١ [غ] [3]

٤- المخالفة :

١-الفراء : أمللت[4] : لغـــة الحجـــاز وبني أسد ، وأمليت – لغة بني تمـــيم وقـــيس. اللســـان ١٥٤/١٤ والبحـــر ٣٤٢/٢ والمصـــباح ٨٩٦/٢ والتـــاج ١٢٠/٨ س ٣٠. ط مصر . [ق]

الفراء :

ثانيًا :ظاهرة التقريب

١-الإدغام والإظهار :

١- العرب تدغم :عبد شمس التميمية ولا يدغمون القرشية فيقولون في التميمية : قال عبشمس كذا وكذا ، وفلان من عبشمس وأنشد الفراء :

ألا قالت عوانة أمس قولا
وأبدت من محاسنها الجبينـــا
بنفسي ما عبشمس بن سعد
غداة (بثاء) [5] إذعرفـــــوا اليقينا

(١)لها صلة بقوله تعالى :" وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا " سورة الكهف . آية ٨ .

(٢)وجبة في اليوم .

(٣)التذنوب ــ البسر الذي قد بدا فيه الإرطاب من قبل ذنبه .

(٤) وجاء في الكتاب التعزيز باللغتين "وليملل الذي عليه الحق " وقوله " فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا " فهذا من أمليت، وقوله فلْيُملِلْ وليُّه بالعدل " فهذا من أمللت شرح فصيح ثعلب للهروي ٨٩ تحقيق خفاجة . وهـــي صيغة تحتاج إلى مجهود عضلي أكبر ، لأنهما صوتان متماثلان ، وقـــانون المخالفـــة يبـــدل أحـــد اللامـــين المتجاورين – إلى صوت لين أو ما يشبهه ، وفي هذا تيسير للجهد العضلي . [ق]

(٥) أرض من بلاد بني سليم .

المذكر والمؤنث للأنباري ٥٣٩تحقيق: د . طارق الجنابي - بغـــداد فـــألقوا حركة : الدال على الباء وأدغموا الدال في الشين ، وقال محمد بن حبيـــب : كل شيء في العرب عبـــد شـــمس إلا عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبشمس بن أخزم من أبي أخزم بن ربيعة ... بـــن طـــيء . مـــا ذكـــره الكوفيون من الإدغــــام ٨٣ تحقيـــق د . صبيح التميمي – جدة . [غ]

٢- أشار في المعاني إلـــى ظـــاهرة الإدغام والإظهار في الآيات الكريمـــة الآتية :

١- ويحيا من حيّ عن بينة "[١] معاني القرآن ٤١١/١ فما بعـــدها . قرئـــت بالإدغام والإظهار .

٢- " أليس ذلك بقادر على أن يُحْيِـــي الموتى " القيامة آية ٤٠ . معـــانـــي

الفراء ٢١٣/٣ .

٣-"عذتُ بربي وربكم"غافر آية:٢٧,

٤- " اتَّخذتم العجل " البقرة آية: ٥١,

٥- "وجاء المعذرون[٢]"التوبة آية: ٩٠

٦- " الذين يلْمـــزون المّطـــوعين"[٣] التوبة آية ٧٩ .

٧- " اثّاقلتم إلى الأرض " [٤] التوبـــة آية :٣٨

٨- " قالوا اطّيّرنا بك"النمل آية:٤٧ .

٩- " حتى إذا اداركوا فيها جمعيـــا " الأعراف ٣٨ .

١٠- " زخرفها وازّينتْ " يونس ٢٤.

[ق]

ففي الآيات السابقة وردت بالإظهـــار والإدغام على مذهب الحجاز وتمـــيم والأصل في الآيات الأخيرة :

المعتذرون ، المتطوعين ، تثاقلتم ، تطيرنا ، تداركوا ، تزينت.[٥]

الفراء :

في قوله الحق : " وما تدّخرون في بيوتكم " آل عمران /٤٩ [ق]

وفي قوله:" فهل من مدّكر" القمر/١٥

وتدّخرون هي تفتعلون وتقرأ : وما تدخرون خفيفة على تفعلون وبعض العرب يقول : تدّخرون فيجعل الدال والذال يعتقبان في تفتعلون من زخرت ... وسمعت بعض بني أسد يقول : قد اتّغر ، وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة . وغيرهم قد اثّغر. معاني الفراء ٢١٥/١ .

أما الآية الثانية فالمعنى مذتكر ، وإذا قلت فيما أوله ذال صارت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة وبعض بني أسد يقولون : مذّكر فيغلبون الذال فتصير ذالا مشددة.معاني الفراء ١٠٧/٣ [ق]

ثالثًا : الهمز والتسهيل

الفراء :

١-بعض أهل الحجاز يهمز (البريّة) كأنه أخذها من قول الله عز وجل : برأكم ، وبرأ الخلق ، ومن لم يهمزها فقد تكون من هذا المعنى ، ثم اجتمعوا على ترك همزها كما اجتمعوا على : يرى وترى ونرى .

وإن أخذت من : البرى كانت غير مهموزة. والبرى : التراب . معاني الفراء ٢٨٢/٣. والمشوف المعلم للعكبري ١٠٢/١ . [ق]

٢- أهل الحجاز لا يهمزون المنسأة،[١] وتميم وفصحاء قيس يهمزونها . زاد المسير لابن الجوزي ٤٤١/٦ .

ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن ولعلهم أرادوا لغة قريش فإنهم يتركون الهمز . معاني الفراء ٣٥٦/٢ . [ق]

٣- العرب تقول :الراس ــ بلا همز، إلا بني تميم فإنهم بقولون : الرأس

(١)الأنفال /٤٢ .

(٢) معاني الفراء ٤٤٧/١

(٣)معاني الفراء ٤٤٧/١

(٤) معاني الفراء ٤٣٧/١ فما بعدها .

(٥) إذا جاء بعد تاء تفعل أو تفاعل التاء أو الثاء أو الطاء أو الدال أو الذال أو الجيم فإن التاء تدغم فيها بعد ويلها بالقلب إلى جنس هذه الحروف

والكأس بالهمز . المــذكر والمؤنــث لابن الأنباري ٢٦١

٤- حكى الفراء

أن لغة بني تميم أن يزيدوا ألفا بــين الألفين ... يعنى يزيدون ألفــا لــئلا يجمعوا بين همزتين فيقولون : أاأمنتم مَن في السماء :..

إعراب القرآن للنحاس ٤٧٣/٣ ويقول الفراء : كذلك فافعل بكــل همــزتين تحركتا فزد بينهما مدّة وهي من لغــة تميم .معاني الفراء ١٧١/٣ .

[ق]

ولعل بني تميم أرادوا عــدم اجتمــاع همزتين للثقل المؤذن بالتغيير .

٥- أهل مكة يخالفون غيرهم من العــرب يهمــزون البريئــة والنبــئ والذريئة...وقال اللحيــاني أجمعــت العرب على ترك همزة هــذه الثلاثــة ولم يستثْن أهل مكة . اللسان ٢٢/١

[ق]

٦- جَبْرئيل كعنتريس وهي لغة تمــيم وقيس وكثير من أهل نجــد . حكاهــا الفراء [1] وقال : هي أجود اللغــات . البحر ٣١٧/١ فما بعدها . [ق]

٧- عند قوله تعالى :" قل من يكلؤكم " الأنبياء /٤٢ مهموزة ولــو تــركت همز مثله في غير القرآن قلت : يكلوْكم بواو ساكنه أو يكلاكــم بــألف ساكنة ... ومن قال : يكلاكم قــال : كليت مثل قضيت وهي من لغة قريش وكلٌّ حسن . معاني الفراء ٢٠٤/٢ .

[ق]

٨- في قوله الحق :"ردءا يصدّقنى"[2] الردء العون وأهل المــدينة يقولون " ردًا يصدقْنى " بغير همز والجزم على الشرط . معاني الفراء ٣٠٦/٢ [ق]

٩- من العرب من يوق إذ طرح الميم (في اللهم) يا الله اغفر لي ويــا آلله اغفر لي ، فيهمزون ألفها ويحذفونها ، فمن حذفها ، فهو على السبيل لأنهــا ألف ولا م ، مثل الحارث من السماء،

(١) العصا الغليظة

ومن همزها توهم أنها من الحرف إذا كانت لا تسقط منه . أنشدني بعضهم :

مباركٌ هوَّ ومن سمّاه

على اسمك اللهم يا اللهُ

معاني الفراء ١/ ٢٠٣ فما بعدها. [غ]

(١)وهى قراءة الأعمشى وحمزة والكسائى وحماد بن أبى زياد عن أبى بكر عن عاصم.

(٢) القصص آية : ٣٤

رابعا: مدارج اللهجات في إبدال الحروف

الفراء :

١- وقيس تقول:" طين لاتب " [١] .

معاني القرآن للفراء:٣٨٤/٢، اللسان ٢٣١/٢ . [ق]

٢- وبنوا العنبر يقولون: [٢] الصّوق والصّاق . يعنون : السُّوق والسَّاق . والصويق يعنون السَّويق . إلا بدال لابن السكيت ٤٢ والإبدال لأبي الطيب ١٥/١ وروى قطبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ "كأنّما يصاقون" وقوله : مسّ صقر في سقر . وقوله: "وصخّر لكم " في سخّر . وقوله: "وأصْبغ عليكم " في وأسبغ . وقوله: "صراط الذين " في سراط [ق]

الفراء :

٣-قال ابن السكيت في كتاب الإبدال: قال الفراء : " وطيىء يسمون اللصوص: الصوت ويسمون اللص : لصْتًا وهو الذين يقولون : للطَّسّ : طَسْت ،وأنشد لرجل من طيىء [٣] :

(وبني كنانة ، كالصّوت المردّ)

الإبدال لابن السكيت ٤٢ . شرح شواهد الشافية ٤٧٥/٤ وحاشية ابن

(١) يقول الفراء وأنشدني بعضهم :

صداع وتوصيم العظام وفترة وغثى مع الإشراق في الجوف لاتب

وذكر صاحب اللسان لغة أخرى في(لازب)هي(لازم) وقرر أن لازب هي اللغة الجيدة وعليها قول النابغة :

ولا تحسبون الخير لا شرّ بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وعلى اللغة الأخرى قول كثير :

فما ورق الدنيا بباقٍ لأهله .. ولا شدّة البلوى بضربة لازم

(٢) وقال زغيب العنبري : نظرت بأعلى الصّوق والباب دونه.. يرد : السوق ، وكان يقول الصّويق .. يعنى السويق : طبقات فحول الشعراء ٦٦ تحقيق محمود شاكر . وفي اللسان : ٧٦/١٢ أن الصاق – لغة في الساق عربية .وانظر المخصص ٢٧٣/١٣ . ولغة بلعنبر – وهم قوم من تميم يقلبون السين صادًا عند أربعة أحرف : عند الطاء والقاف والغين والخاء . إذا كنّ بعد السين . وبلغتهم قرأ النبي (ص) : والنخل باصقات. البحر ١٢٢/٨ وسر الصناعة ٢٢٠/١ والمزهر ٤٦٩/١ واللسان ٣٢٢/١٠ وسئل يونس : هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئا ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد الصويق ؟ يعنى السويق . قال نعم . عمرو بن تميم تقولها ، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس . طبقات فحول الشعراء /١٥ .

(٣) عبد الأسود الطائي : الجمهرة ١٠٣/١.

برى على المعرب ١٢٠ تحقيق د . السامرائي والجمهرة ١/١٠٣، ٤٧٥ ، واللسان ٢/٣٨٩ وقال الفراء في كتاب المذكر والمؤنث ٢٥ – ٢٦ " وبعض أهل اليمن [١] يقول : الطست كما قالوا في اللّص لِصْت " اللسان ٢/٣٦٣ والمخصص ٣/٧٨ " وانظر حاشية ابن بري على المعرب ١١٩ والمعرب ٢٦٩ للجواليقي .

٤- وسمعت بعض نبي نبهان من طيئ يقول : دأْني ، يريد : دعني – فيجعلون مكان العين[٢] همزة. الإبدال لابن السكيت : ٢٤ . وشرح شواهد الشافية ٤/٤٣٤ للبغدادي . [غ]

الفراء :

٥- تقول هذيل للوِقاء : إقاء ،وللوعاء إعاء ، الإبدال لابن السكيت ٥٧ . تحقيق هفنر وفي البحر لإبي حيان ٥/٣٣٢ عند قوله تعالى : " قبلَ وِعاء أخيه" آية ٧٦ من يوسف قال : وذلك مطرد في لغة هذيل[٣] يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولا همزة . وانظر مصحف أبي بن كعب ، وسعيد بن جبير [٤] . [ق]

٦- ذكر أحمد بن يحيى سلمة عن – الفراء – قال الزراط بإخلاص الزاي لغة لعذرة وكلب وبني القين . قال وهؤلاء يقولون : أزدق مكان : أصدق [٥] (مقدمتان في علوم القرآن ١٤٧ ،تفسير القرطبي ١/١٢٨ ط أولى

---

(١) وفي اللسان ٨/٣٥٦ عن اللحياني أنها لغة طيئ وبعض الأنصار وفي القسم الرابع من كتاب : ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصغاني أنها عزيت للأزد والأكثر الطسّ بالعربية ؛ لأنهم لما عربوه قالوا : وهو طشت بالفارسية ، ولا يزال الطشت في استعمال مصر كأصله الفارسي .
وأما : اللص فمعرب من اليونانية بواسطة الآرامية أي : السريانية وهو في اليونانية lestes وفي السريانية lestes : انظر التطور النحوي ٣٣ برجشتراسر .

(٢) عزي قلب العين همزة إلى الحجاز في مثل : أستأديت الأمر فآداني في معنى : استعديته فأعداني . أي قويته وأعنته : الأضداد ١٢٣ للسجستاني واللسان ١٨/٢٧ .

(٣) انظر الجمهرة ٢/١٦١ . ديوان الهذليين ٣/٦١ ، ٢/٨٣ ، ٣/٤٩ ، ٩ .

(٤) تاريخ المصاحف . آرثر جفري .

(٥) وأشم الصاد زايا في قوله تعالى :" ويهديك صراطا مستقيما" سورة الفتح آية ٢ – خلف عن حمزة وهي لغة قيس : إتحاف فضلاء البشر ٣٩٥ .، وبعضهم يقولها بالسين وبعضهم بإخلاص الصاد وبعضهم بالإشمام، وبعضهم بإخلاص الزاي (مقدمتان في علوم القرآن ١٤٧) .

وفي رواية عن الفراء ذكرها ابن منظور يقول : وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، ثم قال: وعامة العرب تجعلها سينا[*]. اللسان ١٨٥/٩ والبحر ٢٥/١ والقرطبي ١٢٨ . [ق]

٧- هو سَوْغ أخيه – طريده وُلد في أثره . قال الفراء : بنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون : هو أخوه صوغُهْ . بالصاد . قال : وأكثر الكلام بالسين.اللسان ٣٢٥/١٠ . [غ]

الفراء :

٨- أهل الحجاز وطيئ يقولون : فاظت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون : فاضت نفسه (اللسان ٣٣٤/٩) وفي مكان آخر عزا الفراء صيغة الضاد إلى تميم وكلب [١] . اللسان ٣٣٣/٩ (غ)

٩- سمعت أعرابيا من قضاعة يقول: الفُنْتُق: يريد الفندق، [٢]اللسان ١٨٨/١٢، والمصباح ٧١٢/٢ وهي البيوت التي تتخذ للمسافرين وأشباهها للظل والانتفاع . معاني الفراء ٢٢٩/٢ [غ]

١٠- قريش تقول : كشطت . وقيس وتميم[٣] تقول : قشطت . بالقاف .

* وبهذا يكون الفراء على رأس فقهاء العربية الذين لمحوا ما بين الأجداد والأحفاد من تطور صوتي ، كما أنه يؤصل لنظرية الأصل والفرع في اللغة .

(١) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٢٨ ص ٢٢٥ – ٢٢٨ وعنوانه : في الجانب الإحصائي اللغوى" لترى اختلاف القبائل العربية حول نطق حرفي الضاد والظاء في القديم والحديث،ويظهر أن الاصمعي وقع في حيرة من أمر هذين الحرفين حين قال : تتبعت لغات العرب كلها ، فلم أجد فيها أشكل من الفرق بين الضاد والظاء (البيان والتبيين ٢١٥/٢) ويؤكد هذا ما روي من أن رجلا قال لعمر:يا أمير المؤمنين:أيظحي بضي ؟ قال : وما عليك وقلت أيضحي بظبي ؟ قال : إنها لغة .قال :انقطع العتاب ولا يضحي بشيء من الوحش . المزهر ٥٦٣/١ ، وفي رواية أخرى : أنه كسر لام لغة ،فكان عجبهم من كسرة لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء ، والظاء ضادا (المراجع السابق) وانظر الزاهر ٣٥٩/٢ .

(٢) الخان.وكان ذلك عند تفسيره لقول الحق :" ليس عليكم جناحٌ أنْ تدخلوا بيوتا غير مَسْكونة " ٢٩ / النور .

(٣) وفي اللسان ٢٥٥/٩ عن يعقوب : أن قيسا تقول : كشطت . وانظر تاج العروس مادة (قشط) وليست القاف في هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين وفي المخصص ٢٧٧/١٣ عن أبي عبيد أنه زاد على قيس وتميم – أسدًا . وفي مصحف عبد الله بن مسعود " قشطت " بالقاف . تاريخ المصاحف ص ١٠٨ جفري وإبدال ابن السكيت ٣٧ .

سـر صـناعة الإعـراب ٢٧٨/١ والمزهر ٥٦٤/١ ومعـاني الفـراء ٢٤١/٣ وتحدث الفراء عنها في الآية ١١ من التكوير . [ق]

الفراء :

١١- يقال : اطمأننت إليه ، ولغة بني أسد : اطبأننت[1] وأنشد :

وبشَّرني جبينك من بعيدٍ
بخير فاطبأنّ له جنابي

القلب والإبدال ١٣ لا بن السكيت. [غ]

١٢- الفوم:السنبلة ، وقال أبو عبيد : بلغة أسد .البحر ٢١٩/١.وقال الفراء: وهي لغة قديمة [2] ، وقرأ ابن عباس " وثومها " بدل " وفومها " وقـالوا : فوّموالنا – اختبوزوا . وحدث خـلاف في صيغة الفاء هل الفوم – الحنطة أو ما يختبز أو الثوم أو الحبوب كلهـا أو الحمص أو السـنبلة ؟ وفـي البحـر المحيط ٣٣٩/٦ للحجاز الثاء والفـاء لتميم ، وانظر الخصائص ٨٤/٢. [ق]

الفراء :

١٣ – روى الفراء أن:الحصب [3] – فـي لغـة أهـل الـيمن–الحطـب ، والحصب – في لغة أهل نجد – مـا رميت به في النار . معـاني الفـراء ٢١٢/٢، واللسان ٣١١/١ . [ق]

(١) وكان أبو سرّار الغنوي يقول : با أسمك ؟ يريد: ما أسمك ؟ أمالي القالي ٥٢/٢ وقال عمرو بن شأس (وقوم عليهم عِقْبة السرور مقتفي) في عقمة . إبدال ابن السكيت ١٤ ، وعمرو بن شأس هذا من أسد

(٢)وقال الكسائي وغيره – هو الثوم لأنه المشاكل للبصل . أبدلت الثاء فاء كما قالوا في جـدث : جـدف .وقال أبو مالك وجماعة : الفوم : الحنطة . البحر ٢١٩/١ وقرأ ابن مسعود وابن عباس في سورة البقرة آية ٦١ : وثومها بدل : وفومها : مختصر شواذ القرآن ٦ لابن خالويه ، وفي مصحف ابـن مسـعود : وثومها : تاريخ المصاحف ٢٦ جفري ، وقال بعضهم : الفوم : الحمص لغة شامية . القرطبي ٣٦٢ .

(٣) والحضب لغة في الحصب ، وعليه قرأ ابن عباس " حضب جهنم " الأنبياء ٩٨ منقوطة ، قال الفراء يريد الحصب اللسان ٣١١/١ وفي لغات القرآن " حصب جهنم – الأنبياء ٩٨ يعني حطب بلغة قريش : كتاب اللغات في القرآن ٣٧ . وقال عكرمة حصب جهنم هو حطب جهنم بالحبشية : اللسان ٣١١/١ . وفي معاني الفراء ٢١٢/٢ وأما الحصب في لغة نجد : ما رميت به في النار كقولك : حصبت الرجـل . أي رميته . وقد أجمع الرواة على أن الطاء القديمة حرف مجهور – أى أنها تشبه الضاد الحديثة ، فيكون الإبدال قد حدث بين الصاد والضاد وفي العبرية حصب بمعنى : حطب النار . أشعياء ١٥/١٠ .

١٤- والعرب تقول : بلْ والله لا آتيك – وبن والله [1] . يجعلون اللام فيها نونا وهي لغة بني سعد ولغة كلب . قال وسمعت الباهليين يقولون : لابنْ بمعنى لابلْ. اللسان ١٣/٧٤ ، ١٨/٩٥. [غ]

الفراء :

١٥- وقال بعض العقيليين : ألحق الحسّ بالأسّ . قال الفراء : وسمعتها بالشين من بعض بني كلاب [2] . الإبدال لابن السكيت ٤٠ . وجاء عن الفراء : أتيته بسدفة وبشدفة .أي بظلمة . الإبدال لأبي الطيب ٢/١٥٥ . والحس في المثل السابق بمعنى الشر،

والأس :أصله . والمعنى : ألحقوا الشرّ بأصول من عاديتم . اللسان ٨/١٧٣ . [غ]

١٦- ما كان على الفم من النقاب فهو اللثام[3]وما كان على الأنف فهو اللفام: اللسان ١٦/٥ أمالي القالي ٢/ ٣٤ .

١٧- قال في قول ذي الرمة :

براهنّ عمّا هنّ إما بوادئٌ
لحاج وإما راجعاتٌ عوائدُ

ما – صله – والعين مبدلة من ألف (أَنْ). والمعنى : براهنّ أنْ هنَّ إمّا بوادئٌ – وهي لغة تميم. يقولون: عن هنَّ : اللسان ١٥/٣٢٣ [غ]

ويقول الفراء : لغة قريش ومن

(١) ويرى ابن سيده أن النون بدل من اللام، واحتج بكثرة استعمال بل ،وقلة استعمال بن، والحكم على الأكثر لا على الأقل : الخصائص ٢/٨٤ – ولكن ابن جنى يجيز (بن) حيث يقول:ولست أدفع مع هذا – أن يكون (من) لغة قائمة بنفسها: اللسان ١٦/٢٠٦، وفي قوله تعالى:" فوكزه موسى " القصص ١٥ . نجدها (فلكزه) باللام : مختصر شواذ القرآن ١٢ لابن خالوية وفي مصحف ابن مسعود: (فنكزه) بالنون.تاريخ المصاحف ٧٧ جفرى.

(٢) وبعض بني أسد قال هذا المثل بالشين أيضا اللسان٨/١٧٣. ويرجع هذا الإبدال إلى العلاقة بين السين والشين وهي الاشتراك في الهمس والرخاوة وقرب المخرج .

أنظر أمثلة للإبدال بينهما في الساميات : التطور النحوي ١٤ برجشتراسر ، وقد يرجع التبادل بينهما لا إلى العلاقة كما سبق بقدر ما يرجع إلى أمراض الكلام. من ذلك قول سحيم : ما سعرت . يريد ما شعرت . وقوله : عسقتني . يريد : عشقتنى . ديوان سحيم ٥ دار الكتب ، وسر صناعة الإعراب ١/٢١٤ .

(٣) ويقول ابن السكيت : تقول تميم : تلثمت بالثاء على الفم وغيره ، وغيرهم يقول : تلفمت بالفاء . المصباح ٢/٨٤٦ وعن أبي زيد : تميم تقول : تلثمت على الفم وغيرهم يقول تلفمت . كنز الحفاظ ٦٦٤ .

جاورهم: أنّ وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون :ألف أن – إذا كانت مفتوحة عينا [١]، يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف [٢] ، وفي حديث قَيْلة بنت مخرمة : تحسب عني نائمة – أي أني نائمة ، ومنه حديث حصين بن مشمِّت : أخبرنا فلان عَنَّ فلانا حدّثه أي : أن فلانا : قال ابن الأثير : كأنهم يفعلون لبَحَحٍ في أصواتهم . اللسان ١٦٨/١٧ . [غ]

١٨- حتى .لغة قريش ، وجميع العرب إلا هذيلا [٣] وثقيفا فإنهم يقولون: عتى .قال : وأنشدني بعض أهل اليمامة :

لا أضع الدّلو ولا أصلّى

عتى أرى جِلّتها تولّى

الفائق في غريب الحديث ١١٣/٢ ، والنهاية لابن الأثير ٦٧/٣ [ق]

١٩- سمع من بعض أعراب بني أسد (بحثر) بالحاء مكان العين (بعثر) ، وقد رآها الفراء في مصحف عبد الله بالحاء وبها قرأ " أفلا يعلم[٤] إذا بحثر الفراء :

(١) والظاهرة معروفة بعنعنة تميم ، وانظر شواهد لها من الشعر والنثر في تهذيب التبريزي على كنز الحفاظ ٤٦١ . وتفسير الطبري ١٧٢/٦ شاكر . والبيان والتبيين ٣/٥٦ . وشرح الشافية ٢٠٣/٣ . واللسان ١٧٨/١٦ ، ١٦٤/١١ . والهمع ٢/٢ . وأمالي القالي ٧٩/٢ . وديوان الأدب ورقة ٢٨٤ للفارابي . وشرح المفصل ٧٩/٨ . والجمهرة ٢٣٨/١ . والعين للخليل ٣١ ، ٥١ بغداد . وسر الصناعة ٢٣٥/١ . والنوادر لأبي زيد ": ٢٩ ، والسيرافي على سيبويه ٢٧٨/١ وشواذ القراءة ٢٦ لرضي الدين الكرماني .

(٢) مفاد كلام الفراء أنه يشترط لهذا الإبدال أن تكون (أن) مفتوحة ، ويجب أن تكون الهمزة في أول الكلام ولكن وردت نصوص تؤكد أن الظاهرة تكون في (أن) وفي غيرها ، بل في وسط الكلام وآخره . انظر كتابنا : اللهجات العربية في التراث ٢٨٣ تصوير الهيئة العامة للكتاب . وسمع في التيجرية واللهجة العمانية والزنجبارية إبدال الهمزة عينا – إذا جاورت راءً أو حرفا مطبقا ، ولا يزال شيء من هذا مسموعا بين بعض المصريين . المعجم الكبير ٢٩/١ .

(٣) عزيت في اللسان ٢٥٣/١٩ إلى هذيل وثقيف ، كما عزيت إلى هذيل في : الهمع ٢٣/٢ والبحر ٣٠٧/٥ وسر الصناعة ٤٦/١ وبهذه اللهجة قرأ ابن مسعود " ليسجننه حتى حين يوسف ٣٥ وقوله " فتربصوا به حتى حين " المؤمنون ٢٥ . وتفسير الظاهرة يرجع إلى المماثلة حيث تشق على العربي فيحاول أن يخالف بين الحرفين المتماثلين طلبا للخفة . والحاء والعين متحدان في المخرج ورخوان احتكاكيان ، والفرق بينهما الجهر في العين والهمس في الحاء ، والأمر لا يعد أن الهذلي خالف بين تكرار الحاءين .

(٤)كما قرأ بها الأسود بن زيد.البحر٥٠٥/٨.وحكاها الماوردي عن ابن مسعود وهما بمعنى.القرطبي٧٢٣٥٣.

ما في القبور " العاديات ٩ . وهما لغتان بحثر وبعثر . معاني الفراء ٢٨٦/٣ . [ق]

٢٠-سمع من أعرابي من بني أسد (فلا تكْهر) مكان (تقهر) [(١)] وهي في مصحف عبد الله بالكاف[(٢)] معاني الفراء ٢٧٤/٣ . [ق]

٢١-أهل الحجاز وأهل العالية يقولون: شر ما أجاءك إلى مخّة عرقوب. وتميم تقول : شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب [(٣)] . معاني الفراء ١٦٤/٢ . [غ]

٢٢- بنو أسد يقولون : هذا إسماعين قد جاء بالنون وسائر العرب باللام . معاني الفراء ٣٩١/٢ [غ]

الفراء :

٢٣- طيئ تقول : إيسان[(*)] بالياء للإنسان، ويقولون في الجمع : أياسين فيجوز أن تكون النون بدلا من الياء والعرب جميعا يقولون : الإنسان . الزاهر لابن الأنباري ٤٨٨/١ واللسان ٣٠٧/٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .[ق]

٢٤- قالت : الدّبيرية : قَفِضَ وقَبِضَ بالفاء والباء – إذا عربت معدته – اللسان ٣٤٧/٨ [غ]

٢٥- القرفل:ضرب من الثياب.وقيل: هو ثوب بغير كمين .. قال الأزهري عن الأموي هو القرفل باللام ، قال :

---

(١) سورة الضحى . ٩

(٢) وبها قرأ هذا الأعرابي الأسدي وابن مسعود وإبراهيم التيمي (انظر البحر المحيط ٤٨٦/٨)

(٣) والعرقوب لا مخّ فيه . ويقول الفراء : ولغة أخرى لا تصح (للكتاب) أي للقراءة وهي تميمية " فأَشاءها المخاضُ " ٢٣/مريم . لأنها تؤدي إلى اللبس ، والمعنى واحد .

(*) العرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون:تظنيت والأصل:تظننت ، لأنه من الظن،ويظهر أن(إيسان وإنسان) من هذا الباب،وفي العبرية:إيش وتعني:إنسان وفي الجمع تظهر النون:أناشيم،ولعل الأصل:(اس)وهو صوت يشير إلى الوجود وما النون في:إنس وإنسان أو الياء في:إيسان وايش- الإمن فك التضعيف،وهو كثير في الساميات،وما الألف والنون في:إنسان وإيسان إلا زيادة يكتمل بها البناء،ولعلها هي الزيادة نفسها في : إيشون العبرية التي تختم بها إيش – بمعنى رجل أو إنسان لغرض التصغير(النحو العربي نقد وبناء،وفقه اللغة المقارن ٧٩، د. السامرائي).ومن حسن الطالع ما جاء من قول عامر بن جوين الطائي

فياليتني من بعد ما طاف أهلها ... هلكت ولم أسمع بها صوت إيسان

(اللسان:إنس.والتاج:إيس،وفي العبرية نجد: إيش وفي الآرامية : انشا) البراهين الحسّيّة على تقارض السريانية والعربية:٣٨يعقوب إغناطيوس،وفي السبئية:إيس:المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ٢٩غويدي. =

ونساء أهل العراق يقولون : قَرقَر . قال وهو خطأ.وكلام العرب : القَرقَل باللام . قال : وكذلك قال : الفــراء. اللسان١٤/٧٣ [غ]

خامسًا : المعاقبة :

١- هو عُنــوان الكتــاب ، وعلــوان الكتاب_ وعِنيانه وعِنوانه – إذا كــان بالام بالضم لا غير . وحكــى عــن بعض كلب : عُنيان الكتاب . الإبــدال ٨ لابن السكيت . [غ]

٢- شذ في (حمى) حموان ، وحكاهــا الفراء بالواو:التصريح ٢/٢٩٤.[غ] والقياس : حميان ، لأن ألفهُ بــدل من ياء. تقــول حميــت المكــان أحميــه حمايــة :

شرح الصبان على الأشموني٤/,١١١

٣- أهل الحجاز يقولون : قِنوان [1] – بكسر القاف . وقــيس : قنــــوان – بضمها ، وتميم وضبة : قنيان – بضم القاف وأنشد (ومال بقنيانٍ من البسْر أحمرا) . وكلب تقول : قنيان بكســر القاف.اللسان ٢٠/٦٧، وانظر مختصر شواذ القرآن لابــن خالويــه والتــاج ١٠/٣٠٤ مصر.[ق]

٤- في قوله جل شأنه "وكان عند ربّه مرضيا " مريم ٥٥ قال الفراء : ولو

= وهذا يقوي الربط بين الساميات والعربية التي تصورها لهجة قبيلة طيئ ، كما أنه يوضح التطور اللغــوي للكلمة منذ جذرها الشامي الأول ؛ إذ يبدو أن أصل الكلمة (اسّ) أو (اشّ) بالتضعيف ، وهذا التضعيف فك في بعض اللغات السامية بالياء ، وفي بعضها الآخر بالنون ، وجمعت العربية الشــمالية بــين التطــورين ، وانفردت قبيلة طئ العربية بالفك بالياء .

هذا : وقد ربط بعض علماء العربية بين ما جاء في القرآن من قوله تعالى : يّس . آية (١) حيث حدّث الفراء شيخ من أهل الكوفة عن الحسن قال : يّس : معناها : يا رجل (معاني القرآن ٢/٣٧١ للفراء) وقيل بمعنى : يا إنسان بالحبشية)المهذب فيما في القرآن من المعرب ٢٨٨ وقد جمع في البحر المحيط لأبي حيــان ٧/٣٢٣ على (أياسين) ولهذا لا نعجب فقد اختلف القراء في قراءة هذه المفردة التي وردت في القرآن على أوجه خمسة (الجامع لأحكام القرآن ١٥/٤ للقرطبي ، والكشاف :٣/٢ للزمخشري .

(١) في البحر ٤/١٨٤ فما بعدها . ورد ما يخالف هذا / إذ ينقل عن الفراء : الضم لغة قيس وأهل الحجاز ، وبالياء بدل الواو لغة ربيعة ، وتميم بكسر القاف وضمها وفي المصباح ٢/٧٩٨ يعــزو كاللســان – الكســر للحجاز والضم لقيس ، وفي البحر ٤/١٨٩ أن الجمهور قرأ بكسر القاف ، والأعمش عن أبي عمــرو – فــي رواية بضمها ، وقرأ الأعرج في رواية بفتح القاف،وفي رواية بضمها) (انظر ســورة الأنعــام آيــة ٩٩) وانظر القرطبي ٢٤٨٤ .

أتت: مرضــوًّا كـــان صـــوابا ، لأن أصلها الواو،ألا تـــرى أن الرضـــوان بالواو. والذين قالوا : مرضيّا بنوه [1] علـــى رضيت ثم قال:ومرضوّا لغـــة أهل الحجاز . معاني الفراء ١٦٩/٢ . [ق]

الوصل والوقف

الفراء :

١- من العرب من يثبت ألف أنـــا – في الوصل[2] ، كما قال الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني

٢- من العرب من يقول إذا وقـــف : أنهْ . وهي في لغة جيدة ، وهي فـــي عليا تميم وسفلى قيس . معاني الفراء ١٤٤/٢ . وفي شرح التســـهيل لابـــن عقيل [3] ٩٨/١ قال الفـــراء : بعض العرب يقول : آنَ قلت ذلك . يطيـــل الألف الأولى ويحذف الأخيرة وهـــي في قضاعة على وزن : عان .

٣- أهل الحجاز [4] يقفون بالألف في قوله تعالى"وأطعنا الرسولا " الأحزاب ٦٦ . وقولـــه " فأضـــلونا الســـبيلا " الأحزاب ٦٧. و" الظنونا " الأحـــزاب ١٠,

٤-وأنشد الكوفيون :

فهمُ بطانتهم وهمْ وزراؤهم
وهُمِ القضاة ومنهمِ الحكامُ [5]

يقول ابن جني : ورويته عن الفراء : ومنهمِ الحجاب ، وحكى الفراء هـــذه اللغة أنه سمعها من بعض ســـليم [6] ، وحكى أن العرب جميعـــا تضـــم هذه

---

(١)وقال الكسائي والفراء: من العرب من يقول : رضوان ورِضيان فرضوان على مرضو ورضيان على مرضى ولا يجيز البصريون أن يقولوا إلا رضوان وربوان . القرطبي ٤١٥٥ .
هي الطبيعية والطريقة.

(٢) وإذا وقفت قلت : أنا . زدت الألف لبيان " الحركة ، وهي اللغة الفصحية . وقال الأخفش : ومن العرب من يقول : أنَ وقال الكسائي : ومن العرب من يقول : أنه . ولعل هذا .ورد بمناسبة كلمة أنا – في كثير من آيات القرآن .

(٣) تحقيق د . كامل بركات . نشره : مركز البحث العلمي وتحقيق التراث بمكة المكرمة .

(٤) ويعقب الفراء على لهجتهم بقوله أحبّ إلينا لاتباع الكتاب (معاني الفراء ٣٥٠/٢) .

(٥) الشاهد في الخصائص ١٣٢/٣ وشرح المفصل ١٣٢/٣ .

(٦) سر الصناعة ٥٥٩/٢ تحقيق د . حسن هنداوي . دمشق .

الميم نحو :" همُ المفسدون " [1] وهـم الفائزون) [2] .

٥- ويقول ابن جني عن لغة بعض سليم هذه :هي من القلة ومخالفة الجمهور على ما حكيناه عن الفراء، وما كانت هذه صفته وجب أن يلغى ويّطرح ولا يقاس عليه غيره [3].[غ]

٢-المستوى الصرفي

أولاً: الممدود والمقصور :

١-هذا باب ما يفتح أوله فيقصر ، يكسر فيمدّ وهو في لغة بني عامر من ذلك :

غِماء البيت يكسر ، ويفتح أوله فيقصر . المقصور والممدود ٣٦ للفراء تحقيق : ماجد الذهبي ط أولى بيروت .

٢-من ذلك – الزِّنا والشِّري . أهل الحجاز يمدونها [4] . المقصور والممدود للفراء ٤٢ تحقيق : ماجد الذهبي . [غ]

ثانيًا: الأفعال

١-(باب فعل يفعل) :

حكى الفراء: يركن[5] – بضم الكاف . وقال هي لغة تميم وقيس ، وقرأ بها طلحة بن مصرف وقتادة وغيرهما . (القرطبي ٣٣٣٦) . [ق]

٢- (الأجوف) ." لا يضركم كيدهم شيئا " آل عمران ١٢٠ . وقرأ بعض الفراء "لا يضرْكم من الضير[6].[ق] وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل

(١) البقرة : آية ١٢ . (٢) المؤمنون : آية ١١١ .

(٣) سر الصناعة ٥٥٩/٢ وانظر فيها توجيه ابن جني لهذه اللغة .

(٤)عن اللحياني:الزنى – مقصور في لغة أهل الحجاز. قال تعالى:" ولا تقربوا الزنى" بالقصر، والزناء ممدود لغة بني تميم ، وفي الصحاح : المد لأهل نجد . اللسان ٧٩/١٩ واستشهد الصحاح لحالة المدّ بقول الفرزدق :

أبا حاضرٍ من يزن يعرف زناؤه ... ومن يشرب الخرطوم يُصبْح مُسكَّرا

الصحاح ٢٣٦/٦ تحقيق : العطار

(٥) وقرأ الجمهور : ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . هود ١١٣ . بفتح الكاف . وقال أبو عمرو : هي لغة أهل الحجاز/ القرطبي ٣٣٣٦ .

(١) آل عمران ١٢٠ من الآية :" وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم ." يقول الفراء : إن شئت جُعلت جزما وإن كانت مرفوعة ، تكون كقولك للرجل -: مُدُّ يا هذا . ولو نصبتها أو خفضتها كان صوابا ، لأن من العرب من يقول : مدِّ يا هذا . والنصب في العربية أهيؤها وإن شئت جعلته رفعا وجعلت (لا) على مذهب ليس فرفعت وأنت مضمر للفاء . قال الشاعر : فإن كان لا يرضيك حتى تردّنى ... إلى قطرى لا إخالك راضيا

معاني الفراء ٢٣٢/١ .

العالية يقول : لا ينفعني ذلك وما يضروني.معاني الفراء ٢٣٢/١والفراء يشير إلى المضارع المجزوم بالسكون المضعف .

٣- الفراء : بنو أسد يقولون:زهِدتُ في الرجل أزهَد فيه.وقيس وتميم يقولون: زهَدتُ في الرجل أزهَد فيه . الزاهر ج ٢٠٦/١ لابن الأنباري .[غ]

ثالثًا: المشتقات

الفراء :

١-في قوله تعالى : (ليس لوقعتها كاذبة) الواقعة ٢ . أي ليس لها مردودة ولا ردّ [1] ، فالكاذبة هاهنا مصدر مثل : العاقبة والعافية . قال الفراء :وقال لي أبو ثروان في كلامه: إن بني نمير ليس لجدهم مكذوبة . يريد تكذيب.والمعنى : إذا لقوا صدقوا القتال ولم يرجعوا . معاني الفراء ١٢١/٣ ، معاني الفراء ٢٧٢/٣.[ق]

٢- من العرب – وهم قليل – من يقول في المتكبرِّ : متكبَّر[*] . كأنهم بنَوْا على يتكبرَّ . وهو من لغة الأنصار وليس مما بيني عليه . قال الفراء : وحدثت أن بعض العرب يكسر الميم في هذا النوع إذا أدغم فيقول : هم المطوعة . والمسَّمع للمستَّمع . وهم من الأنصار ، وهي من المرفروض. معاني الفراء ١٥٣/٢ . [ق]

٣- المنِسك لأهل الحجاز والمنسَك لبني أسد.[2] معاني الفراء ٢٣٠/٢ .

[ق]

٤- لغة اليمن:كذبت به كذَّابا،وخرقت القميص خِرّاقا . وكلُّ فعّلتُ فمصدره فِعّال في لغتهم مشدد . قال أعرابي منهم على المروة : آلحْلقُ أحبّ إليك

(١)وفي تفسير الطبري ٨٦/٢٧ ليس لوقعتها كاذبة – ليس لها مثوبة ولا رجعة ولا ارتداد . فوقعت : كاذبة وهي اسم فاعل : كذب وهو مصدر .

(*) يشير الفراء إلى ذلك بمناسبة قول الله جل وعز :" وجعلنا لمهلكهم موعدا " الكهف ٥٩ ومضمون الكلام أن اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي من غير الثلاثي يكون في أولها ميم مضمومة " مع فتح ما قبل الآخر في اسم المفعول والمصدر الميمي وكسر ما قبل الآخر في اسم الفاعل . ثم ذكر الفراء أن الأنصار فتحت ما قبل الآخر في اسم الفاعل . أما الزمخشري فنسب ذلك لتميم (الكشاف ٢٤٨/٤ ط دار المعرفة)

(٢) وقرئ بهما : الكسر لحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش ، والفتح للباقين .

أم القِصَّار [1] ؟ [ق]

٥- الفراء: واحد المقابر مقْبَرة ومقْبُرة وبعض أهل الحجاز يقول مَقْبِرَة. إعراب النحاس ٧٦١/٣ [ق] ويتصل بقوله تعالى " حتى زرتم المقابر "

٦-الإعظامة – بالكسر (والعظمة بالضم والعظامة ككتابة ورمانة) ثوب تعظم به المرأة عجيزتها . وقال الفراء : العُظمة شيء تعظم به المرأة ردفها من مرفقة وغيرها ، وهذا في كلام بني أسيل [2] . وغيرهم يقول : العظامة بكسر العين . التاج /ج٨ ص ٤٠٢ ط مصر واللسان ٣٠٤/١٥ .

[غ]

رابعًا: الإفراد والتثنية والجمع :

١- وفي قوله عز وجل :" لأوتينّ مالا وولدا " مريم ٧٧ روى الفراء قال : حدثني المغيرة عن إبراهيم أنه كان يقرأ : ماله وولده [3] " وفي كهيعص: مالا وولدا .. والوُلد والوَلد لغتان وهما واحد،وليس بجمع.ومن أمثالهم: وُلْدك مَنْ دميّ عقبيك . فهذا واحد . وقيس تجعل الوُلد جمعا والوَلد واحدًا .معاني الفراء ١٧٣/٢ . [ق]

٢-أهل البصرة يزعمون أن (الأشُدّ) اسم واحد مثل (الآنك) قال : وقلما رأينا اسمًا على (أفعُل) إلا وهو جمع. وقال -: أنشدني المفضل لعنترة :

عهدي به شَدّ النهار كأنما

خضب البنانُ ورأسُه بالعِظْلم [4]

فالفراء يذهب إلى أن واحد:الأشد: شَدٌّ على مثال قولهم : فلس وأفلس [5] . المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٤٣٧. [غ]

والآنُك – الرصاص . وفي الحديث : " من جلس إل قينة ليستمع منها صبّ

---

(١) بمناسبة قوله تعالى :" وكذبوا بآياتنا كذابا " سورة عم يتساءلون ٢٨ . وقد خففها على بن أبي طالب وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري معاني الفراء ٢٢٩/٣ واللسان ٢٠١/٢ .

(٢) وهو أسيل بن ملك جمهرة أنساب العرب ٤٩٧ لابن حزم . ط بيروت .

(٣) واستشهد لها القرطبي ٤١٨٥ بشاهدين من الشعر .

(٤) شجر يتخذ منه الوسمة .

(٥) ويرى السجستاني أن بعض العلماء قال : الأشُدّ جمع شدة ، كما أن الأنْعم جمع نعمة (انظر القرطبي ١٩٢/٩ ومجاز أبي عبيدة ٣٠٥/١ والمزهر ١٩٩/٢ والمخصص ٢٦/١٧ .

في أذنيه الآنُك يوم القيامة " وقال القائم بن معن : سمعت أعربيا يقول : هذا رصاص آنك وهو الخالص .

الشوارد في اللغة ٣٥٤ فما بعدها للصاغاني وانظر : ليس في كلام العرب ٩٨ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . مكة المكرمة . واللسان والتاج (آنك) .

خامسًا : الصفات :

الفراء :

يقال في الصفة : رجل ناعس ونعسان عن ابن سيده في المحكم وعن القزاز في الجامع . قال ابن سيده : ولا يقال: نعسان . قال أبو جعفر اللّبليّ وكذا حكى ابن التّياني عن الأصمعي أنه لا يقال : نعسان . قال ابن التياني وحكى الزجاج عن الفراء أنه قال قد سمعت (نعسان) من أعرابي من عنزة . قال: ولكني لا أشتهيه .

القزاز القيرواني ٨٩ . المنجي الكعبي – تونس . [غ]

أحمد علم الدين الجندي

الخبير بالمجمع

ورقة بحث

لغة القرآن في حياتنا اليومية

للأستاذ الدكتور حسن الساعاتي

تمهيد :

من أهم العناصر الأساسية في الثقافة ، إن لم يكن عنصرها الرئيسي اللغة التي يخاطب بها الناس بعضهم بعضا ، فينقلون أفكارهم ويتفاهمون في إطار ما تحمل اللغة من معان ، أدخلت في أذهانهم من خلال التنشئة الاجتماعية في البيت والجيرة والمدرسة . وهذا هو البيان الذي علمه الرحمن الإنسان ، ذلك الحيوان الناطق الذي استطاع أن يستبدل بلغة الإشارة الرمزية لغة اللسان المعبرة عن المعاني التي يتم بها التواصل وانتقال الأفكار بين البشر .

ولما كانت التجمعات البشرية تختلف فيما بينها وفق الظروف الجغرافية والبيئة الاجتماعية والثقافية لكل منها ، فقد أصبح لكل تجمع قومه الذين يتفردون بشخصية عامة تميزهم عن غيرهم في اللغة والفكر ، والقيم والعادات الاجتماعية ، التي تتبلور فتصبح أعرافا وتقاليد لها معاييرها ، التي إن قننت صارت شرائع وقوانين وأخلاقا تضبط السلوك البشرى وتوجهه في كل قوم يتكون من تجمعهم وتواصلهم وتعاملهم بعضهم مع بعض مجتمع متميز بشخصية قومية دالة تنفرد بطابعها الثقافي ، الذي تعد اللغة عنصرا رئيسيا بالغ الأهمية فيه .

اللغة العربية في المجتمع المصري :

من اللافت أن لغة الشعب المصري، التي كانت سائدة قبل الفتح العربي في القرن السابع الميلادي ، والتي كانت تعد اللغة الطبيعية التي انبثقت في المجتمع المصري وكانت وعاء ثقافته عبر قرون مديدة ، قد أفل نجمها

وانحسرت وظيفتها التواصلية لدى الشعب المصري بوفود اللغة العربية على ألسنة العرب الفاتحين ، الذين استقروا في البلاد وأخذ عددهم يزداد زيادة طبيعية بالتناسل ، وزيادة غير طبيعية بتفاطر الوافدين من الجزيرة العربية كمهاجرين وتجار . وهكذا بدأ انتشار الثقافة العربية في المجتمع المصري ، وأخذ يقوى تدريجيا ويعم، فامتزجت الثقافة العربية بالثقافة المصرية مكونة ثقافة إسلامية ركيزتها اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، الذي يسره الله تعالى للذكر والتواصل فأصبحت لغة القرآن متغلغلة في فكر المصريين بفئاتهم المختلفة في حياتهم اليومية يتخاطبون بها ، ويستخدمونها في شتى الأغراض وهي طيعة ثرية سهلة ، وقد استجاب القرآن الكريم بلغته العربية المقدسة لشدة تدين المصريين الذين وجدوا في كلام الله تعالى كل ما يبتغون ، وبخاصة التبرك والاطمئنان والأمان والسلامة ، فاقتبسوا منه آلاف الكلمات والعبارات في تصريف شؤونهم في حياتهم اليومية ولكنهم طوعوا هذه الكلمات والعبارات العربية الفصحى بلسانهم العامي الطبيعي ، فصاغوها عامية فصيحة فأصبح تعرف بين اللغويين بفصحى العامية وقد أحصيت هذه الكلمات والعبارات الواردة في كتاب كلمات القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف وعددها حوالي خمسة آلاف وسبعمائة وعشرين ، فوجدتها لا تقل عن ألفين ومائة وسبعين ونسبتها حوالي ٣٨% وهذه النسبة سترتفع بشكل لافت ، إذا أحصينا ما في القرآن الكريم كله من كلمات وعبارات نستخدمها في حياتنا اليومية المعيشة في العصر الحاضر . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كلمات مثل : أهدنا ، ختم ، يمدهم ، يعمهون ، فراشا ، استوقد ، نقدس ، يسومونهم، بلاء ، جهرة ، الغمام ، مشربهم ، المسكنة، هزوا ، بكر ، فاقع ، مسلمة، يتفجر ، ويل ، تفادوهم خزي ، قفينا ، غلف ، يستفتحون، اضطره ، أرنا ،

يزكيهم ، صبغة ، ينقلب ، ينعق، البر، الضراء، يطيقونه ، درجة ، فرجالا ، الحكمة ، تثبيتا ، تغمضوا ، إلحافا ، عسرة ، يملل . وهذه من كلمات سورة البقرة الواردة في كتاب كلمات القرآن . ومن العبارات الواردة في كتاب الله على سبيل المثال لا الحصر: كتب عليكم ، حدود الله ، فتح الله عليكم ، بغير حساب ، قرضا حسنا ، كفر سيئاتنا ، خلق الله ، طوعت له نفسه ، كلمات الله ، استكثرهم من الإنس ، يا بني أدم ، أنك باعيينا ، ما شاء الله ، إن شاء الله ، لا تؤاخذنى ، وما صبرك إلا بالله ، إن أجري إلا على الله ، قطعن أيديهم، يدبر الأمر، لتفتري علينا ، حق عليه، يعلم السر، الذي عنده علم ، سلام عليكم ، لا مرد له ، يصلون على النبي ، الحمد لله ، هو الفتاح العليم ، لن يغنوا عنك ، له الكبرياء، فما يغني عنهم، بنينها بأيد، أمَّن هذا ، الإنسان على نفسه بصيرة، خِتامه مسك .

استخدام لغة القرآن الكريم في الحياة اليومية

استخدم الشعب المصري لغة القرآن في شتى شؤونهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكانت لغته معينا لهم يقتبسون منه ما يوفى بحاجتهم ويحقق أغراضهم الدينية والدنيوية، لقد اقتبسوا من لغة القرآن كثيرا من أسمائهم ذكورا وإناثا ، ووفق التوجيه النبوي ،" خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد " وهكذا أكدوا العبودية لله تعالى بأنهم وضعوا كلمة عبد قبل أغلب أسماء الله الحسنى فكان على قائمتها :عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الملك ، وعبد الرحيم ، وعبد السلام ، وعبد ربه ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. واقتبسوا منه أسماء المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعلى رأس قائمتها: محمد ، أحمد ، طه ، ياسين ، وأضافوا إليها محمدي، محمود ، حمدي ، حماده ، كما اقتبسوا من لغة القرآن أسماء الإناث مثل : هدى ، رحمة ، زاكية ، مؤمنة، سكينة، نعمة ، صابرة ، إحسان ، نور، فوز ، لبنه ، وأسماء أخرى

كثيرة اقتبسوها لمعانيها الطيبة التي يرجون منها الخير والبركة لبناتهم.

واستخدم كثير من المصريين القرآن الكريم يتلى في بيوتهم ومحال تجارتهم بما يعرف بـ " الراتب " لأنهم رتبوا لذلك كثيرا من حفظة القرآن الكريم وبخاصة الأكْفاء المأمونون منهم ، فيستمعون إلى كلام الله ويلتقطون منها ما يستخدمونه في شتى شؤونهم مع التركيز على المواعظ الهادية التي تنير حياتهم وتباركها لهم . ومنذ أوائل الستينيات وإذاعة القرآن الكريم تقوم بدور الراتب وتنشر لغة القرآن بين الشعب وبخاصة المتدينون منهم " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه " (الزمر ١٨)

ويتناغم مع تدين الشعب المصري ، تبرك الكثيرين منهم بآيات من القرآن الكريم في صورة معلقات توفر على كتابها خطاطون مبدعون ، فكان بعضها تحفا تشع جمالاً وحكمة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :"رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري" (طه ٢٥،٢٦) و"هذا من فضل ربي "(النمل ٤٠)" وما بكم من نعمة فمن الله (النحل : ٥٣) ، "وكان فضل الله عليك عظيما" (النساء : ١١٣) ، "وقل ربِّ زدني علما" (طه ١١٤) ، إن ينصركم الله فلا غالب لكم" (آل عمران ١٦٠) ،" نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم"(الحجر ١٤٩)،" ما شاء الله لا قوة إلا بالله"(الكهف ٣٩) ، " ألا بذكر الله تطمئن القلوب (الرعد ٢٨) ، " بسم الله الرحمن الرحيم" (الفاتحة : ١) .

ومن استخدام المصريين لغة القرآن الكريم ما يقتبسونه في معاملاتهم الاجتماعية ، فهم يحصنون أنفسهم ضد الحسد بقوله تعالى :" ما شاء الله لا قوة إلا بالله" ، التي صاغ الصائغون من الكلمات الثلاث الأولى معلقات من الذهب أو الفضة ليزين بها الجيد ويحدث بها الحفظ وأصبحت تعرف

في هذا المجال من الثقافة المصــرية بــ " الماشالَّة " ورصيفتها فــي هــذا المجال معلقة صغيرة جدا من الــذهب أو الفضة بشكل كف اليــد بأصــابعها الخمسة ، رمزا للآيات الخمس التــي تتكون منها "سورة الفلق " التي تقــي حاملها المعتقد في فاعليتها " من شــر النفاثات في العقد ومن شر حاســد إذا حسد " وهكذا طوع التفنــين المــادي لخدمة الاعتقاد المعنوي .

ومن الاستخدام الاجتمــاعي للغــة القرآن ، قولهم بعد الانتهاء من المأكل والمشرب ، الحمد لله والتعقيب علــى ذلك بقولهم :" هنيــا " وقــولهم عنــد الشدائد " صبرك بالله " المقتبسة مــن قوله تعالى " وما صــبرك إلا بــالله " (النمل : ١٢٧) وقولهم أيضــا إن الله مع الصابرين ، المقتبسة أيضــا مــن قوله تعالى" إن الله مــع الصــابرين" (الأنفال ٦٦) وقولهم عند زوال الغمة " فرجت " المقتبسة من الآية التاســعة من سورة المرسلات " وقــولهم فــي العزاء سعيكم مشكور المقتبســة مــن قوله تعالى " وكان سعيكم مشــكورا " (الإنسان : ٢٢) ، والتعقيــب علــى ذلك بقولكم " ذنبكم مغفور " المأخوذة من الآية الثالثة من سورة غــافر " ، وتهديدهم من يماطل في رد الــدين " ادفع بالتي هــي أحســن " المقتبســة بالنص من القرآن الكريم (فصــلت : الآية ٢٤) وتسليمهم لله تعالى في كــل أمورهم اتباعا لقوله تعالى :" لله الأمر من قبل ومن بعد " (الروم الآية ٤٠) وتوكيلهم الله في ذلــك أيضــا تنفيــذا لقوله: " لا اله إلا هو فاتخذه وكــيلا " (المزمل : ٩) .

ومن أطرف ما أتذكره في اســتخدام لغــة القــرآن الكــريم فــي الحيــاة الاجتماعية ، أنى حضرت خطبة أحد الأقارب وأنا غلام صــغير ، وكــان الخاطب متزوجا قدره ثمانية جنيهات. وتكريما لزوجته تمسك بهذا القدر في خطبته الجديدة ، إذ عندما طلبت مــن شقيق المخطوبة تعيين صداقها قــال : إن عدة الشهور عند الله اثنــا عشــر شهرا " (التوبة ٣٦) فقال له الخاطب

على الفور " منها أربعة حرم " فضج الحاضرون بالضحك .

هذا ويستعمل المصريون في معاملاتهم الاجتماعية كلمات من لغة القرآن الكريم ذات دلالة شديدة على أخلاقهم في سلوكهم بعضهم مع بعض وعلى ما يعتمل في نفوسهم من انفعالات قوية عميقة الأثر . ومن ذلك كلمة " أشكرك " والرد عليها بقولهم: الشكر لله. من قوله تعالى :" واشكروا لى " (البقرة ١٥٢) أو الرد عليها بكلمة : " العفو " من قوله تعالى :" خذ العفو " (الأعراف ١٩٩) أو قوله "قل العفو " (البقرة ٢١٩) ، أي ما فضل عن قدر الحاجة ، كذلك قول المخطئى لا تؤاخذني أو ماتؤخذنيش" كما ورد في سورة الكهف على لسان موسى عليه السلام " لا تؤاخذني بما نسيت " (آية ٧٣) ويردد المصريون في رجائهم عبارة " اعمل معروف " المأخوذة من قوله تعالى " إلاَّ أنْ تفعلوا إلى أوليائكم معروفا " (الأحزاب ٦) . ومن اللغة الانفعالية التي يستعملها الناس في ظروف مؤثرة ، الكلمات القرآنية:" عوجا" (آل عمران: ٩٩) و"كفر عنا سيئاتنا"(آل عمران:١٩٣)، و" " موتوا بغيظكم " (آل عمران ١١٩) ، و" لا يضركم كيدهم شيئا " (آل عمران:١٢٠) ، و: "يمسسكم قرح"(آل عمران:١٤٠)، و" زحزح " (آل عمران : ١٨٥)، و" يؤذون " (النساء:١٦)،و"غل" (الحجر: ٤٧) وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ومن الاستعمالات القرآنية أيضا، اقتباس لغة القرآن لوضع أسماء لبعض المؤسسات ، مثل مؤسسة "القرض الحسن " (البقرة ٢٤٥)، و"جمعية"عباد الرحمن" (الفرقان:٦٣)، و"مدرسة " العروة الوثقى" (لقمان: ٢٢)، و جامع " الفتح" (النصر:١) ، و"مؤسسة الهندي " (البقرة:١٢٠) ، "ودار الشفاء"(يونس: ٥٧)، و " شركة سلسبيل"(الإنسان: ١٨)،و"جمعية الإخوان المسلمين " من : "ونزعنا

ما في صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين "(الحجر:٤٧)، و" جماعة حزب الله " (المجادلة : ٢٢) ولما كان الشيئ بالشيئ يذكر فقد كان بالتلفزيون المصري لعدة سنوات برنامج ديني ناجح اقتبس اسمه من القرآن الكريم ، وهو" نور على نور"(النور:٣٥).

واقتباس المصريين من لغة القرآن فى حياتهم الاقتصادية أمر يستحق الذكر ، فهناك معلقات تحمل آيات قرآنية يعلقها أصحاب بعض المهن في مجالهم . فيعلق الخياط - قوله تعالى " وكل شيء فصلناه تفصيلا"(الإسراء ١٢)،ويعلق الحلاق من قوله تعالى :" تعرف في وجوههم نضرة النعيم" (المطففين: ٢٤) أو " وزيناها للناظرين " (الآية ١٦) من سورة الحجر ويعلق الحداد : " وألنا له الحديد " " (سبأ الآية ١٠) ويعلق صاحب المطعم " كلوا واشربوا هنيئا " (الطور : ١٩) ويعلق السماك :" ومن كلٍ تأكلون لحما طريا " (فاطر :١٢) ويعلق المأذون " وزوجناهم بحور عين " (الطور : ٢٠) ويعلق الشربتلي " وسقاهم ربهم شرابا طهورا (الإنسان :٢١) .

أما الكلمات والعبارات المقتبسة من لغة القرآن الكريم والمستعملة في المجال الاقتصادي فكثيرة وواضحة المعاني مثل :" رؤوس أموالكم " (البقرة : ٢٧٩)، و" ينفقون أموالهم " (البقرة :٢٦٢) "ولهم أجرهم"(البقرة : ٢٦٢)، و" كسبتم " (البقرة: ٢٦٧)، و" البيع "و" الربا "(البقرة ٢٧٥)، و"دين"(البقرة:٢٨٢)، و"يشترون " وأيضا " (آل عمران:٧٧) "ورهان" (البقرة: ٢٨٣)، و"يحاسبكم" (البقرة:٢٨٤).

ويرتبط الحساب بالمجال الاقتصادي فيستعمل المصريون من لغة القرآن الكسور مثل :ثمن وسدس وربع وثلث وثلثين ، والأرقام مثل : اثنين وثلاثة

وأربعة وخمسة وسبعة وثمانية وتسعة والأعداد كأحد عشر ، واثنى عشر ، وتسعة عشر ، وعشرين وسبعين ومائة ومائتين وألف وألفين وخمسين ألفا ومائة ألف. وبالحساب تتصل القسمة التي اقتبست أيضا من لغة القرآن "تلك أذن قسمة ضيزى "(النجم: ٣٢) و " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا " (الزخرف: ٣٢) .

وفي المجال السياسي ، اقتبس المصريون من لغة القرآن الكريم كلمات:ملك (الكهف :٧٥) ، ووزير (طه :٢٩)،وحزب (الروم:٣٢) ، وشورى (الشورى:٣٨)،وحكم وعدل من قوله تعالى:وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "(النساء:٥٨) ، وظلم (غافر : ٣١) ، و مما يذكر بهذا الصدد أن حزب الوفد قد اقتبس اسمه من لغة القرآن الكريم من قول الله تعالى :" يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " (مريم:٨٥) ومن الكلمات التي كانت شائعة في المجال السياسي في ثلاثينيات هذا القرن كلمة " مذبذب " المقتبسة من قوله تعالى " مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء " (النساء ١٤٣) وذلك في المنافسة الشديدة بين حزب الوفد وحزب الأحرار الدستوريين .

خاتمة

مما سبق من بحث استعمالات الشعب المصري بفئاته المختلفة ، لغة القرآن الكريم في مجالات شتى من الحياة اليومية ، يمكن استخلاص النقاط البارزة التالية :

أولاً – اللغة العربية لغة القرآن قوية ذات قدرة فائقة، مكنتها من إزالة ما قبلها من اللغة في مجتمع غريب عنها، استطاعت الاستقرار فيه .

ثانيًا – استقرار اللغة العربية في المجتمع المصري ناجم عن ثرائها الذي جعلها تنتشر في ربوعه وتصبح وعاء ثقافته الواسعة المتشعبه .

ثالثًا – اللغة العربية لغة جميلة

لموسيقية النطق بها وعذوبة لسانها، لخضوعها لأحكام تجعل الآذان تلتذ بسماعها ، حتى وإن كان نطق عامة الشعب بها قد تخفف من هذه الأحكام في معاملاته التي تحتاج سرعة الانطلاق .

رابعًا – اللغة العربية مستوعبة لشتى معاني الأفكار والتصورات المعنوية غير المحسوسة وبخاصة الانفعالي منها ، وكذلك لشتى ماديات الحياة اليومية .

خامسًا – اللغة العربية سهلة ميسرة بليغة ، لسانها مبين شجع الشعب على استعمالها في مجالات متنوعة من الحياة اليومية .

سادسًا – اللغة العربية وحدت الشعب المصري بجميع فئاته ودرجاته ؛ فجرت على ألسنتهم لهجتها العامية المنبثقة من لغة القرآن الكريم ، واستعملوها في مجالات الحياة اليومية .

سابعًا – لغة القرآن العربية يفصح بها اللسان المصري العامي عما يجول في الذهن من معانٍ وما يتراءى فيه من صور ، فأصبحت فصحى العامية لغة الشعب التي لا يختلفون في فهمها والتواصل فيما بينهم بها .

د. حسن الساعاتى

الأمثـــال
العاميـــة المصريـــة والهوساوية
دراســـة إحصائيـــة تحليليـــة تقابليـــة

بحث

للأستاذ الدكتور مصطفى حجازي السيد حجازي

الهدف من هذه الدراسة هو عقد مقارنة بين الأمثال العامية المصرية والأمثال الهوساوية ، وقد بدأتها بإيضاح مدي صعوبة فهم الأمثال الهوساوية إذا لم يكن القارئ أو السامع على علم بخلفية المثل ، ولم يكن من أبناء اللغة . ولا يستطيع إدراك ما يحذف من لواصق وكلمات في المثل .

كما بدأت كل موضوع من موضوعات هذه الدراسة بالاستشهاد بالأمثال العامية المصرية ، ويليها الأمثال الهوساوية ، التي يستشهد بها في نفس الموضوع ، وزيادة في الفائدة ذكرت المعنى الإجمالي للمثل الهوساوي في المتن. وفي نهاية البحث جعلت هامشا لشرح مفردات كل مثل.

واعتمدت في الأمثال العامية المصرية على ماورد في كتاب الأمثال العامية " لأحمد تيمور باشا ، وعددها ٣١٨٨ مثلا ، وما جمعت من أمثال هوساوية من أفواه المتكلمين خلال إقامتي في مدينة كانو سنة ١٩٧٤ ، وبطون الكتب الأدبية وعددها ٣٥٧٦ مثلا .

المثل العامي هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية . المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأى الشعبي ، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التراكيب(*) .

والمثل العامي على كل لسان في لغة الهوسا ، فأغلب عناوين الكتب

---

*فنون الأدب الشعبى ، ج ٢٢ ص ٦ ، رشدى صالح

عبارة عن أمثال ولا تخلو من كتـاب أدبي دون أن تحتوي على أكثر مـن مثل ، لذلك فهي تمثل صعوبة لقـارئ اللغة إذا لم يكـن علـى علـم بهـا ، ومازالت الأمثال في لغة الهوسا تحتاج إلى دراسة مستفيضة .

وأهم المجـالات التـي تـدور حولها هذه الأمثال هي :

الإنسان : فقد ورد الأميـر فـي ٥٣ مثلا، واللص في ٤٥ مثلا، والأعمـى والعمياء في ٤٥ مثلا، والعلم في ٢٣ مثلا، والزوج في ٢٢ مثلا، والعروس والعروسة في ٢١ مثلا، والمجزوم في ٢١ مثلا، والمجنون فـي ١٧ مـثلا، والضرة في ١٣ مثلا، والطبـال فـي تسعة أمثال .

المأكولات: ورد الثريد في ٤٨ مثلا ، واللحم في ٢٩ مثلا، والفرا ـ وهـو طعام خليط من اللبن والدقيق وعسـل النحل يطهى ويشرب في ١٦ مـثلا، وعسل النحل في ١٦ مثلا، والـدخن في ١٤ مثلا، واللبن فـي ١٣، مـثلاً والحبوب في ١١ مثلا، وثمار الكـولا في ١١ مثلا ، والبصل في ٨ أمثال ، والفول السوداني في سبعة أمثال .

الأدوات المنزلية : ورد المخزن فـي ١٨ مثلا، والفـأس فـي ١٥ مـثلا، والإناء فـي ١٣مـثلا، والحصـيرة والأبره والهون ، والزير ، كل منهـا في١١ مثلا ، والطبلة والحذاء ، كـل منهما في ٨ أمثـال والبـراد فـي ٧ أمثال.

الحيوانات الأليفة : ورد الكلـب فـي ١٣٥ مثلا ، والحصان في ٦٥ مثلا ، والحمار في ٣٥ مثلا ، والعنزة فـي ٣٤ مثلا ، والجمل فـي ١٩مـثلا ، والبقرة في ١٩ مثلا ، والقط فـي ١٣ مثلا ، والثور في٥ أمثال ، والفرسـة في ٥ أمثال .

الطيور الأليفة : وردت الدجاجة فـي ٦١ مثلا ، والأرنب في ٢٧ مـثلا ، والديك في ١٤مثلا ، والحمامة في ١٣ مثلا ، والبطة في ٥ أمثال .

الحيوانات غير الأليفة : ورد الـذئب في ١١٤ مثلا، والقرد في ٣٨ مثلا ، والفيل فـي ٢٦ مـثلا ، الفـأر فـي

٢٤مثلا، والنمر في ٩أمثال ، والعزال في ٦ أمثال ، والقنفذ في ٥ أمثـــال ، والثعلب في ٣ أمثال .

الزواحف: ورد الثعبان في ١٥ مثلا، والضب في ١٠أمثال ، والسلحفاة في ١٣٥ مثلا ، والتمساح في مثلين .

وإذا قارنا بين بعض الأســـماء التي في الأمثال المصرية والهوساوية نلاحظ عدة ملاحظات . أولـــى هـــذه الملاحظات وجود أسماء وردت فـــي اللغتين وإن كان يختلف عدد مـــرات ورودها من لغة إلى أخرى كما هـــو موضح في الجدول التالي :

الاســـــــم	**عدد مرات وروده**	
	الهوسا	العربية
Balbela أبو قردان	١٩	٩
Saniya البقرة	١٩	٧
Kada التمساح	٢	٢
Maeiji الثعبان	١٧	٥
Rakumi الجمل	١٩	٢٧
Jaki الحمار	٣٥	٤٥
Doki الحصان	٦٨	٤
Kura الذئب	١١٤	٥
Zaki الأسد	١٢	٦
Akuya العنزة	٣٤	٧
Bera الفأر	١٩	٩
Kyanwa القطة	١٣	–
Biri القرد	٣٨	١٦

والملاحظة الثانية هـــي ورود بعض الأسماء في الأمثـــال العاميـــة المصرية دون الهوساوية ، وقد يكون ذلك لعدم شيوعها في حياة الهوســـا ، مثل الخنزيـــر ، والبغـــل ، والغـــول والجاموسة والأوز ، في حـــين نجـــد كثيرا من الأسماء ترد فـــي الأمثـــال الهوساوية دون المصـــرية ، وذلـــك لاختلاف البيئة فنجد ألوان الأطعمـــة الثريد   tuwo ترد ٤٨ مرة ، والبوظة Kunu تـــرد ٧ مـــرات ، وKoKo ـــ نوع من الطعام يرد ٤ مرات، وثمـــار الكولا goro يرد ١١ مرة ،الفرا Fura: يرد ١٦ مرة، وهي كلها أطعمة شائعة في بلاد الهوســـا أكثـــر مـــن الـــبلاد العربية.

وبعض الحيوانات والزواحف والطيور مثل الضب Damo ورد ١٠ مرات ، والسلحفاة Kunkuru وردت ١٣ مرة ، والفيل Giwa ورد ٢٦ مرة، والنمر Damisa ورد ٩ مرات ، و kadangare وهو نوع من السحالي ورد ٦ مرات ، والنسر Ungulu ورد ١٨ مرة .

وبعض الأشجار مثل شجر التبلدي Kuka ورد ٦ مرات ، وبعض الغلال مثل Kunya ,Kadanya. Kade .Dawa.

ومن الأدوات المنزلية الهاون Turmi ورد ١١ مرة وهذا أمر طبيعي لاختلاف البيئة المصرية عن الهوساوية .

ومما يزيد صعوبة فهم بعض الأمثال الهوساوية ما يحدث فيها من حذف يؤدى إلى غموض المعنى على السامع أو القارئ ــ كما سبق القول ــ إلى جانب عدم اتباعها لنظام تركيب الجملة ويحدث هذا الحذف على المستوى الصرفى والدلالى :

المستوى الصرفى:

والمقصود هنا هو حذف السابقة الدالة على الزمن . وقد تم وضع نقط مكان الجزء المحذوف فى الأمثال التى استشهد بها على هذه الظاهرة .

حذف السابقة الدالة على الزمن التكرارى وهو يتكون من السابقة يليها كلمة Kan بمعنى عادة ثم اسم الحدث.

كما هو موضح فى الأمثلة التالية :

Masanin mashigi shi Ko da ….. Kan Kama[١]

العالم بالمدخل هو الذى يقود عادة ، وأصل الفعل هو ya Kan Kama : يمسك عادة ، فحذفت اللاصقة ya قبل كلمة Kan وأبقى على اسم الحدث وهو Kama .

Kiwon yarda Kadan … Kan tashi .Allah …. Kan Kawo Ki Gida[2]

الرعى الموفق أن تخرج فترة قصيرة.. ويعود الله بك إلى المنزل .

وأصل الفعل Ka Kan tashi: تخرج عادة ، ya Kan Kawo يعود عادة .

Ashe rai …. Kan ga rai . Dankoli ya ga Furar gero [3]

قال بائع الخردوات عندما رأى الفرا،

النفس ترى النفس ، أى القلوب عنـــد بعضها كما يقال فى مصر . وأصـــل الفعل ya Kan ga: يرى عادة.

Takarkari …. Kan hara wa jaki ya saba da Kaya [4]

الثور يدرب عـــادة علـــى الحمـــل ، والحمار تعود عليه ،

وأصل الفعل a kan hara :يعود عـــادة

A bakin tsoho ne goro …. Kan tsofa[5]

في فم الشيخ تشيخ عادة ثمار الكولا ، أى أنه يغيب فى مضـــغها ، وأصـــل الفعل ya kan tsofa : يشيخ عادة .

Kishiya mai ban haushi . ana ganinki …. Kan zagi miji [6]

الضرة المؤذية يراها الناس فيتركونها عادة ــ خشـــية لســـانها ــ ويســـبون زوجها ، وأصل الفعل su kan zagi : يسبون عادة ،

حذف السابقة الدالـــة علـــى الـــزمن الحاضر فيقال :

Marayan zaki …. Fada da masu iyaye . [7]

الأسد اليتيم يتقاتل مع ذوى الآبـــاء ــ كناية عن الشجاعة ــ وأصل الفعـــل yana facta : يتقاتل ، فحذفت اللاصقة yana وهي لاصقة الحاضـــر المسند إلى الغائب وأبقى على اسـم الحـــدث وهو facta .

Arziki kahi …. Haihuwar da namiji.[8]

الرزق عظمة تلد مولودا ذكرا .

وأصل الفعل yana haihuwa : يلـــد و r لربط اسم الحدث بالمفعول به وهو da: ابن ، وقد حذفت السابقة yana وأبقى على اســـم الحـــدث وهـــو haihuwa : الولادة

Ana ta sa taka , pa katsi [9]

يقال ضع رمادا كثيرا ، ويقول ضـــع كاتسى ــ وهو مثل يضرب لما ينشب من خلاف بين اثنين .

وأصـــل الفعـــل yana sa : يضـــع ، فحذفت السابقة yana ، وأبقى علـــى اسم الحدث sa: الوضع .

Ana wahala ….. neman aure ba kudi[10]

يتعب الناس عندما يطلبون الزواج بلا مال .

وأصل الفعل Suna nema :و n لربط اسم الحدث بالمفعول به وهـــو aure : الزواج .

حذف اللاصقة الدالـــة علـــى الـــزمن الماضى ، يقولون :

An yi mana kyautar …… kama ban daki ka yi kuka . [11]

قُدمت لنا الهدية وعدت إلــى الحمــام وبكيت ، أى أنه ندم بعد تقديم الهدية.

وأصــل الفعــل ya Kama : عــاد ، فحذفت السابقة ya الدالة على الماضى المسند إلى الغائب ، وأبقى على اسـم الحدث وهو Kama : العودة .

وكثير ما تحذف السابقة الدالــة علــى المخاطب فيقال :

Bar ganya daura tufa .

دع الورق والبس الثوب ،

وأصل الفعــل ka bar : دع ، و ka daura : البس ، فحذفت اللاصقة ka الدالة على المخاطب وأبقى على اسـم الحــدث bar : المتــرك ، و daura الارتداء وأحيانا يحذف المصدر وتبقى السابقة فيقال :

Ana ….ruwa ya ci makadi ,kana … gangarsa (13) ta jika.

يقال أغرق الماء الطبــال ، وتقــول طبلته ابتلت . أى أن الناس يهتمــون بالطبال الذي أغرق الماء وهو يهــتم بالطبلة التي ابتلت . وهو يضرب لمن يهتم بالتافــه مــن الأمــور ويتــرك عظائمها .

وأصل الفعل ana cewa يقال ، kana cewa, : تقــول فحــذف اســم الحدث في الفعلين وهو cewa وأبقــى على السابقة ana الدالة علــى بنــاء الحاضر للمبني للمجهول و kana الدالة على الحاضر المسند إلى المخاطب . (14)

Ana … .. ta kai ‘ wa yake … ta kaya

من يدافع عن النفس لا يهتم بالــدفاع عن المتاع .

وأصل الفعل ana kula : : يهم yake kvla : يهتم . فحذف اسم الحدث في الفعلين وهو kula :الاهتمــام وأبقــى على اللاصقتين الدالتين على الحاضر. وهما ama : في حالة البناء للمجهول و yake في حالة إسناد الفعل للغائب .

المستوى الدلالي :

والمقصود بالحذف الدلالي هو حذف بعض الكلمات التي لابــد مــن وجودها ليتضح المعنى الكامل للمثل، وخاصة إذا لم يكن لــدى الســامع أو القارئ الخلفية الاجتماعية التي تساعده على فهم المقصود من المثل ، وفيمــا

يلي بعض الأمثلة التي توضح هذه الظاهرة ، مع ذكر الخلفية التي توضح معنى كل مثل .

لغة الهوسا من اللغات البسيطة غير المعقدة ، يستطيع الإنسان أن يتعلمها ويجيدها بسهولة ، فهي ليست ألغازا ولا طلاسم ، وهم يعبرون عن ذلك في أمثالهم فيقولون :

(15)

Hausa ba daba ba ne .

الهوسا ليست سحرًا .

وإذا أرادوا أن يصفوا إنسانا بأنه يجيد التحدث بلغة الهوسا ، وصفوه بأنه يعرف الهوسا كحمار مدينة كانو . فهي لم تستعص حتى على الحمار .

يقولون في المثل :

(16)

Hausa kamar jakin kano.

يعرف الهوسا كحمار كانو .

ويخرج المتسولون إلى الشوارع للتسول جماعات ، ويحمل كل منهم جوالا معلقا في عنقه يجمع فيه ما يقدم إليه من طعام ، ويمسك طبقا في يده يجمع فيه ما يقدم إليه من مال ، فإما أن تعطيه ، وإما أن تقول له : " الله يهبك الصبر" .

وقولك هذه "Allah ya baka hakuri" العبارة لا تملأ الجوال الذي يعلقه في عنقه ، لذلك يقولون في المثل :

(17)

" Allah ya ba ka hakuri " ba ta cika jaka

قولك للسائل " الله يهبك الصبر " لا تملأ حقيبته بالمال .

والسحر من الأمور الشائعة في قارة أفريقيا بصفة عامة ، ويبدو أن بعض السحرة يستعين بالخفاش في عمل السحر للنساء ، ويحث المثل الرجال على ترك السحر والاستعانة بما لذ وطاب من الطعام والشراب لجذب قلوب النساء،يقولون في المثل:

(18)

ku bar kisan jemage magamin mace nadi.

اتركوا قتل الخفاش – من أجل السحر – فعلاج النساء الملذات .

وقد تستعين الساحرة ببعض أعضاء من جثة المتوفى لمزاولة سحرها لذلك تشعر بالسعادة عند ما يوكل إليها حراسة جثة المتوفى

فيقولون :

(19)

" Abu ya yi dadi " an bai wa mayya jiran gawa "

قالت الساحرة عندما كُلِّفت بحراسة الجثة " صار الأمر جميلاً "

والساحر ظالم بطبعة ، لأنه يضر الناس بسحره ، لذلك عندما يراد وصف الرفيق الذي تولى السلطة فطغى على رفاقه . يقولون :

(20)

"Maye a eiki "na gida ya yi sarauta .

عندما تولى رفيق البيت السلطة قالوا " الظلم لن يفارقه " أي بداخله .

ولا شك أن السحر يحتاج إلى أدوات تشترى بالمال ، لذلك على المسحور له أن يدفع المال للساحر حتى يقوم بسحره ، فإذا توافر المال نال الإنسان ما يشاء من الساحر ، حتى الكلب إذا كان لديه مالاً فالساحر لا يؤخر عن سحره ، وقد يكون هذا السحر عبارة عن تعاويذ يكتبها الساحر في إناء يصب فيه الماء ويشربه المسحور له . لذلك يقول المثل :

(21)

"Kara da kudinsa sai ya sha lahaula.

الكلب بماله يشرب السحر، والمقصود بـ lahaula . " هي عبارة لا حول ولا قوة إلى بالله " ويبدو أنها تدخل في التعاويذ السحرية . وفي نفس المعنى يقول مثل آخر :

(22)

" kare da kudinsa sai ya sha rubuta "

الكلب بماله يشرب الكتابة أي التعاويذ المذابة في الماء .

ولا ينبغي في عرفهم الاجتماعي أن تمتدح الزوجة الأخ الأصغر للزوج أو أن تصفه بأنه أجمل من زوجها ، وفي ذلك يقول المثل :

(23)

" Ba haka aka so ba' kanen miji ya fi miji kyau "

لا ينبغي أن يكون الأخ الأصغر للزوج أجمل من الزوج – في نظر الزوجة .

وإذا أرادوا ضرب المثل للأمر الذي لا يناله الإنسان إلا إذا ذهب إلى بيت المال نهارا في شدة الحر في هذه البلاد الحارة يقولون :

(24)

" kudi na gwamna masu gida rana "

مال الحكومة في بيت لا يذهب إليه الطالب إلا في الشمس الحارقة ، أي أنه لا ينال بسهولة .

والمال الذي يناله الهوساوي من الأوربي لابد أن يصرف ولا يكتنز . وفي ذلك يقولون :

(25)

Ba su scn a samu a kulle .

لم يكن المال ليكتنز .

وإذا عز المال وكثر الغلاء وتعذر على الإنسان شراء السلعة وأرادوا أن يصوروا حالة الكساد التجاري قالوا: تعذر على التاجر الغنى، ويبدو أن أغنى هؤلاء التجار رجل يسمى " كنديلا " لذلك أخذوا يضربون به المثل فيقولون :

(26)

Ta gagari kandila .

تعذر على كنديلا

ومن عمال الحكومة في المحاكم ساع يحصل رسوما بخمسة عشر قرشا . مثلا – من المتخاصمين لدى القاضى لذلك سمى هذا الساعى بابن الخمسة عشر dan sha biyar . وهذا الساعى مهما كان متعجلا فلابد أن ينتظر حتى يأمره القاضي ، وفي ذلك يقول المثل :

kome gagggawra dan sha biyar , ya bari dai sai alkali ya aike shi (27)

مهما كان تعجل الساعي فلابد أن ينتظر حتى يرسله القاضي .

ويحكى أن امرأة تسمى . تيتى Titi " اشتعلت النار في بيتها وأصابتها بأضرار بالغة ، فأخذ الناس يجمعون لها المال من كل مكان حتى فاق ما جُمع لها ما أكلته النيران ، وفي مثل هذا الأمر صار يضرب بها المثل فيقولون :

(28)

حريق تيتى Gobarar Titi

وإذا كان ما أصاب تيتى سبب في ثرائها فإن ما كان يملكه Baidu صار سببا في فقره ، فيحكى أنه كان يمسك فأرا في يده ، وأراد أن يصيد فأرا آخر ، فرمى الفأر الطليق الذي يريد صيده بالفأر الذي يملكه في يده فصار يضرب بغبائه المثل فيقولون :

(29)

كرمى فأر بيدو Jifar gafiyar Baidu

ويروون أن الصبر على الفقر والفاقة

نوع من الثراء وفي ذلك يقول المثل : (30)
الصابر ثرى . Mahukurci mawadaei
ومن بلغ القمة في مال أو جاه أو قوة لا ينبغي أن يطغى أو يتجبر على غيره، ويعبرون عن ذلك بقولهم : (31)
Wanda ya isa ba ya fada .
من بلغ – القمة – لا يقاتل – أو يعادى – غيره .

ومن أضمر النية الطيبة تعود عليه بالخير ، وفي هذا يقولون:
التمنى الحسن يعود على صاحبه . (32)
fata nagari lamiri

ومن عادتهم أن يجتمعوا في المساء يأكلون مع بعضهم من إناء واحد وإذا كان لابد للآكل أن ينتظر حتى يبرد الطعام ليستطيع تناوله ، إلا أن الشخص الشَّره لا ينتظر حتى يجف اللحم،ويعبرون عن ذلك بقولهم:
(33)
Makanwaei ba ya kafe .
الشره لا ينتظر حتى يجف اللحم .

وإظهارا للعطف أو الشفقة يقولون:" Allah sarki " بمعنى الله أكبر، وإذا كان الإنسان يحزن لرؤية المتوفى فيقولون " الله أكبر " إلا أن رؤية الذئب لا تستحق هذا التكبيرة لأنه حيوان مفترس وفي هذا يقول المثل :
(34)
Mushen kura ya wuee Allah sarki .
جثة الذئب تجاوزت نظرة العطف ، أي لا يستحقها .

وهكذا نجد أن حذف بعض السوابق الدالة على زمن الفعل أو بعض الكلمات أو عدم معرفة الخلفية الاجتماعية للمثل تجعله غامضًا على السامع أو القارئ .

وإذا كانت الأمثال العامية ظاهرة عامة تشترك فيها جميع الشعوب فإنها تتفق مع بعضها في نواحٍ وتختلف في نواح أخرى ، فإذا اتخذنا الأمثال العامية المصرية والهوساوية كنموذج لدراسة الاتفاق والاختلاف نلاحظ أن من أوجه الاتفاق .

١-الإيجاز:

الإيجاز سمة عامة في

الأمثال الشعبية ، وأبسط مثل في العامية المصرية يتكون من :

أ- جار ومجرور نحو قولهم: " في المشمش "

ب- مضاف ومضاف إليه : نحو قولهم: " نفخة اصطبل "

جـ- مبتدأ وخبر نحو قولهم : الوحدة عبادة .

- الناس مقامات
- الكبر عبر
- الفأر محنة
- القلب يحن

د- معطوف ومعطوف عليه نحو قولهم : أكله والوداع

وقولهم : يجرح ويداوى

وعلى نفس هذه الدرجة من الإيجاز نجد الأمثال الهوساوية فهي تتكون من:

أ- اسم + اسم ، أي مضاف ومضاف إليه يقولون :

(35)

Gobarar Titi : حريق تيتى .

(36)

Jiki magayi . الجسم ينم عما فيه .

ب- اسم + اسم + اسم ، أي مبتدأ وخبره جملة اسمية يقولون :

الكلب كثمار الكولا للذئب

(37)

kare goron kira.

العناء في عرض الهاون للبيع

(38)

Jihadi tallan turmi .

(39)

Daya matar yaro

زوجة الخادم واحدة ، أي لا يستطيع أن يتزوج أكثر من واحدة .

(40)

Dare mahautar bawa الليل مهجع العبد

جـ - اسم + اسم + فعل ، أي مبتدأ وخبر جملة فعلية . يقولون :

عبث يطارد عبثا .

(41)

Banza ta kori wofi.

(42)

Dabara ta fi farfi. الحيلة فاقت القوة .

(43)

Dasasshe ya fi shukakke.

المشتول أفضل من المزروع

الرؤية خير من السماع .

(44)

Gani ya kori wofi.

٢- البتر:

ومن أوجه الاتفاق بين الأمثال

في اللغتين البتر ، والمقصود بالبتر هو ذكر المثل كاملا مرة ، ومبتورا مرة أخرى . وقد يكون البتر في الجزء الأول من المثل وقد يكون في الجزء الثاني .

ومن أمثلة البتر في الجزء الأول في الأمثال العامية المصرية قولهم :

" كداب اللى يقول الدهر دام لى ، هىّ دامت لمين يا هبيل "

ويروى مبتورا فيقال: " ... [*]هى دامت لمين يا هبيل "

ويقولون :" إن خس المليح يساوي الناس ، وإن دبلت الوردة روايحها فيها "

ويروى مبتورا فيقال: " ...... إن دبل الورد ريحته فيه " مع الاختلاف في التذكير والتأنيث .

ويقولون :" ما كل من لف العمامة يزينها ، ولا كل من ركب الحصان خيال "

وقد يكون البتر في الجزء الثاني فيقولون : " ابنك على ما تربيه ، وحمارك على ما تعوده "

ويروى مبتورا فيقال:" ابنك على ما تربيه ...... "

ويقولون:" ديل الكلب عمره ما ينعدل ولو علقت فيه قالب "

ويروى مبتورا فيقال:" ديل الكلب عمره ما ينعدل ...... "

ويقولون:" عريان التينه وفي حزامه سكينه ويقول طريق الخمارة فين ؟ "

ويقولون: " عشمتنى بالحلق تقبت أنا ودانى ، لا الحلق جانى ولا كلام الناس كفانى "

ويروى مبتورا فيقال:" عشمتنى بالحلق تقبت أنا ودانى ......"

ويقولون: " كلام الليل مدهون بزبده ، يطلع عليه النهار يسيح "

ويروى مبتورا فيقال:" كلام الليل مدهون بزبده ......"

ويقولون:" من قدم شيء بيداه التقاه هنيالك يا فاعل الخير "

ويروى مبتوار فيقال:" من قدم شيء بيداه التقاه ......"

الظاهرة نفسها نجدها في

---
* النقط تحدد الجزء المحذوف

الأمثال الهوساوية إلا أنهـا محـدودة وخاصة في الجزء الأول ، كما أنه قد يحذف حذفا بسيطا في بعض الأمثال، ومن أمثلة البتـر فـي الجـزء الأول قولهم :

(45)
Gaba ta kai ni ‘ gaharar Titi .

حريق تيتى دفعنى إلـى الأمـام ، أي جعلنى أكثر غنى .

ويروى مبتُورًا فيقال :

(46)
….. Gobarar Titi ..

حريق تيتى .

ومن أمثلة البتر في الجـزء الأخيـر قولهم :

(47)
“ Akuya adaure in ta sami saki babu zama “

العنزة المربوطة إذا وجدت الفرصـة للانطلاق لا تبقى "

ويروى مبتورا فتحـذف أداة الشـرط وجوابه ولاصقة الحال فيقال :

(48)
Akuya daure ta samu saki “

العنزة المربوطة نالت الحرية .

“ Ana zama karya Bamaguje ya zo gari ya iske ba masussuke “(49)

ليس من المعقول أن يأتى الفلاح إلى المدينة يبحث عن الجرن "

ويروى مبتوار فيقال بعد أضافة كلمة ألـ in أي قال :

(50)
“ Ana zaman karya in Ji Bamaguje ……“

قال الوثنى غير معقول – عندما جاء إلى المدينة ليبحث عن الجـرن فلـم يجده –ويقولون :

Bari neman Jini ga babe don Allah bai nufe shi da shi “(51)

لا تنشد الدم في الجـراد لأن الله لـم يخصه بذلك . أي لا تنشـد الشـيء حيث ينعدم .

ويروى مبتورا فيقال :

(52)
Bari neman Jini wurin babe …….”

لا تنشد الدم في الجراد ... "

ويقولون :

“ A zo gare mu “ daki ya fada wa gurguwa tare da dam masu gida ta ceaim ba ku zo damina (53) ba kwa 30 domin danku.

قالت العرجاء عندما سـقطت عليهـا الحجرة ، وهي مـع ابـن أصـحاب المنزل ، النجدة إن لم يكن من أجلـى فمن أجل ابنكم "

ويروى مبتورا فيقال :

“ A 30 gare mu “ daki ya fada wa gurguwa (54)

عندما سقطت الحجرة على العرجـــاء قالت: " تعالوا إلينا "

ويقولون :

“ farin shigar ungozuma Wasai ana ga cibiya a yanke gindi . (55)

أول عمل قامت به الداية في واســـىْ قطع ذكر المولود بدلا من سرته .

ويروى مبتوار فيقال :

(56)

.farin shiga ungozumar Wasai …..”

أول دخول الداية بلده واسىْ ...)

٣- الإسهاب :

ومن أوجه الاتفاق بين الأمثال العامية المصرية والهوساوية الإسهاب في المثل ، فيأتي على هيئـــة جملـــة وشرحها ، ويتضح هذا مـــن الأمثـــال التالية. يقول المثل العامي المصري : " زى أكل الحمير فـــي النجيـــل ، لا الحمار يشبع ولا النجيل يفرغ "

ويقولون :" زي اللـــي رقـــص علـــى السلالم : لا اللى فوق شافوه ولا اللي تحت شافوه "ويقولون : زي البغـــل الشموس : اللي يمشى قدامه يعضه ، واللي يمشى وراه يعضه "

ففي الأمثال السابقة كان يمكن الاكتفاء بقولهم : " زي أكل الحميـــر في النجيل " و" زي اللي رقص على السلالم " و" زي البغـــل الشـــموس " ويكون باقي المثل مفهوما ، ولكـــن زيادة في الإيضاح ذكر باقي المثل .

وهذه الظـــاهرة نجـــدها فـــي الأمثال الهوساوية فيقولون :

“ Bari neman farin jini ga fara .Allah bai nufe shi da shi ba . (57)

لا تطلب المحبة لدى الجراد فإن الله لم يخصه بها .

“ Duniya zaman karufi.kowa inda ya sa gabansa . (58)

الحياة الدنيا كالسوق ، كل مشغول بما أمامه أي بمستقبله .

“ Fatsa bawan masunta, Allah na ba ka . kana bai baya “ (59)

السنارة عبد صاحبها ، الله يعطيهـــا وهي تعطى صاحبها .

. Abin da mutum ya shuka shi yake girbi ,in airan hairan ‘ in sharran sharran . (60)

ما زرع الإنسان يحصده ، إن خيرا خيرا ، وإن شرًّا شرًّا .

Garaje ba karfi ba ne kalmar baki kowa ya Iya . (61)

السرعة ليست القدرة على الكلام فالجميع يقدر عليه .

٤- التكرار :

المقصود بالتكرار هنا ، هو تكرار نصف المثل في مثل آخر ، وهذه الظاهرة لا توجد في الأمثال العامية المصرية كثيرا ، وكل ما يوجد فيها هو تكرار الكلمة الأولى في الأمثال ، أو الكلمة وحرف الجر والمجرور ، كما هو الحال في الأمثال التالية .

بعض الأمثال تبدأ بقولهم:" اللي عنده ..."

يقولون : اللي عنده أمه ما ينحملش همه "

" اللي عنده حنه يحنيِّ ديل حماره "

وبعض الأمثال تبدأ بقولهم " اللي في أيد ..."

يقولون :" اللي في أيدك أقرب من اللي في جيبك "

" اللي في أيده قلم ما يكتبش نفسه شقى"

بعض الأمثال تبدأ بقولهم "اللي له ..."

يقولون: " اللي له أول له آخر "

" اللي له قيراط في الفرس يركب "

بعض الأمثال تبد بقولهم : " اللي ما هو ..."

يقولون: " اللي ما هو ع القلب همه صعب "

" اللى ما هو لك يهون عليك "

وبعض الأمثال تبدأ بقولهم: " إن طاب لك ..."

يقولون: " إن طاب لك . طاب لك . وإن ما طاب لك حولك طبلك "

" إن طاب لك عيشك كلُه كلُّه "

ولكن الحال يختلف عن ذلك في الأمثال الهوساوية ، فالتكرار يشمل إلى جانب الظاهرة السابقة جزءًا كبيرا من المثل ، بل قد يكون التكرار في كل المثل ما عدا كلمة أو كلمتين أو أكثركما نرى فيما وضع

تحته خط

(62)

a- Allah ya tsari gatari da moma .

الله يحفظ الفأس من الفلاحة .

(63)

b-Allah ya <u>tsari gatari</u> da <u>saran</u> s<u>huk</u>a

الله يحفظ الفأس من قطع الزرع ..

a-Ashe rai kan ga rai " D<u>anko</u>li ya ga <u>furar gero</u> (64)

قال بائع الخردوات عندما رأى الفـــرا " النفس ترى النفس " أي القلوب عند بعضها كما يقال في مصر .

b-Ashe rai kan ga rai " <u>Dan Banufe</u> ya ga Toko (65)

عجبا النفس ترى النفس حتى النــوفى يلتقى بتوكو .

a-Ba don dalili ba me zai sa a kama zomo a <u>cikin fatsa</u> (66)

.لولا وجود العلة ، ما الــذي يجعــل الأرنب يُصطاد بالسنارة

b-Ba don dalili ba. Me zai sa a kama <u>tarwada a toka</u> (67)

لولا وجود العلة ، مـــا الــذي يجعــل الحوت في الرماد .

a- " Ban sa a ka ba " <u>in Ji barawon</u> <u>tagiya</u> . (68)

قال لص الطاقية عندما قبض عليــه : " لم أضعها على رأسي "

(59)

b- " Ban sa a ka ba " <u>kare da gudar</u> gara .

دعى الكلب ليزغــرد فـــي صـــباحية العروس فقال " لا يهمنى "

(70)

a- Ciwon ciki sai hakuri .

ليس للمغص إلا الصبر .

(71)

b- Ciwon ido sai hakuri .

ليس لمرض العين إلى الصبر .

a- Duniya zaman <u>karufi</u> kowa da inda ya sa gabansa (72)

الحياة الدنيا كالسوق كل مشغول بما . أمامه .

b- Duniya zaman marina ce kowa da inda ya sa gabansa . (73)

الحياة الدنيا كالجلوس أمام المصبغة ، كل وما أمامه .

(74)

a- Sarautar Allah <u>kare</u> a bakin <u>zomo</u>.

من قدره اللـــه أن تـــرى الكلب في فم الأرنب .

(75)

b- Sarautar Allah <u>Kura</u> a bakin <u>Kwikwiyo</u>

من قدرة الله أن ترى الذئب فـــي فـــم الجرو .

(76)

a- Samun kai ya fi samu <u>aski .</u>

وجود الرأس – بالشعر – خـــير مـــن

قص الشعر – مع الألم .

b-samun kai ya fi samun fula .
samun rijiya ya fi samun guga. (77)

وجود الرأس – بالشعر – أفضل من وجود القلنسوة ، ووجود البئر . أفضل من وجود الدلو .

(78)
a- Wanda ya isa ba ya fada .

من بلغ القمة لا يخاصم غيره .

(79)
b-wanda ya isa shi yake yanka doki.

من بلغ القدرة هو الذي يستطيع أن يذبح الحصان ــ أي لا ينقل الأمر إلا القادر عليه .

٥- الاستفهام :

من خلال العينة التى بين يدى من الأمثال الهوساوية ، وعددها ٣٥٧٦ مثلا ، والأمثال العامية المصرية التى وردت في كتاب " الأمثال العامية " لأحمد تيمور ، وعددها ٣١٨٨ مثلا ، استطعت إحصاء الأمثال التى جاءت على هيئة سؤال في كل من اللغتين ، فكان عددها في الأمثال الهوساوية ٦٢ مثلا ، وفي العامية المصرية ٦٤ مثلا .وبدراستها لوحظ ما يلي

أداة الاستفهام :

تستعمل الأمثال العامية المصرية أدوات استفهام محرفة عن الأدوات المستعملة في اللغة العربية الفصحى .

١-للسؤال عن الأشياء يقال " إيه " و " إيش " بدلا من " ماذا " يقولون :

إيه رماك ع المر ؟ قال أمر منه .

ويقولون : إيش تعمل الماشطة في الوش العكر ؟

٢-للسؤال عن الزمان يقولون " أمتى " بدلا من " متى " يقولون :

قالوا يا جحا أمتى تقوم القيامة ؟ قال لما أموت أنا .

٣-وللسؤال عن المكان يقولون " فين " بدلا من " أين " و" منين " بدلا من " من أين " يقولون :

قالوا يا جحا فين بلدك ؟ قال اللي فيها مراتى .

ويقولون : احترت يا بخره أبوسك منين ؟

٤-وللسؤال عن السبب يقولون " ليه " و" مال " بدلا من " لماذا " يقولــون : لما أنت عامل جمل بعبعت ليه أمال ؟ ويقولون : مال لحمتك مشغته ؟ قــال من جزار معرفة .

٥-وللسؤال عن الفاعل يقولون " مين " بدلا من " مَن "

يقولون " مين يشهد للعروســة غيــر أمها؟

٦-وللسؤال عن العدد يقولون"كــام " بدلا من " كم "

يقولون : قالوا للجعان الواحد في واحد بكام ؟ قال برغيف .

٧-وقد يأتي السؤال خاليــا مــن أداة الاستفهام فيقولون : قــالوا للأعــور العمى صعب؟ قال نص الخبر عندي.

* * *

أما أدوات الاستفهام المستعملــة فــي الأمثال الهوســاوية فهــي محــدودة بالمقارنة بما يســتعمل فــي العاميــة المصرية ، كما سنلاحظ في الأمثــال التالية :

١-للسؤال عــن الشــيء يســتعملون " me " أو " kaka " أو " yaya "

يقولون : (80)

Me allura zata yi da ruwan kogi ?

ماذا تعمل الإبرة في ماء البحــر ؟ أى لا تؤثر فيه .

kaka aka fara kaza take gudun \`ya\`yanta ? (81)

ماذا حدث حتى تهرب الدجاجة مــن أفراخها ؟

(82)

yaya aka yi mai gari da kiran salla?

ماذا حدث حتى يؤذن الحاكم للصلاة؟ كناية عن الأمر غير المألوف .

٢-وتستعمل " ina " بمعنــى " مــا " يقولون :

(83)

Ina amfanin badi ba rai ?

ما فائدة العام القادم بلا حياة ؟

٣-وللسؤال عن الزمن تستعمل كلمة " yaushe " يقولون :

(84)

yaushe a gari kare ya Ji kugin kura ?

قال الكلب عندما سمع عواء الــذئب " متى وصل إلى المدينة ؟ "

٤- وقد لا تستعمل أداة الاستفهام فيقال :

(85)
kome gudun barewa ta bar daji ?

مهما كانت سرعة الغزال هل يتجاوز الغابة ؟

موضع الأداة :

بالنسبة لموضع أداة الاستفهام في الأمثال العامية المصرية ، نجدها تأتي في ثلاثة مواضع ، كما سنلاحظ في الأمثال التالية .

١-تأتي الأداة في صدر المثل . كما هو الحال في اللغة العربية الفصحى فيقولون :

-إيه يحرر النسا ؟ قال بعد الرجال عنهم .

-فين عزمك يا فشّار ؟ آدى السيف وآدى صاحب التار .

٢-وقد تأتي الأداة في وسط المثل فيقولون :

قالوا تعرف الهايف بأيه ؟ قال بكلامه، قال وتعرف السقيل بأيه ؟ قال بسؤاله.

-لما أنا أمير وأنت أمير مين يسوق الحمير ؟

-لما أنا ست وأنت ست مين يكب الطشت ؟

٣-وقد تأتي أداة الاستفهام في نهاية المثل فيقولون :

-احنا اثنين والتالت فين ؟

-قبل ما خطب عبّ الحطب ، وقال ابني الكوانين فين ؟

-احترت يا بخره أبوسك منين ؟

-يا حامل هم الناس خليت همك لمين؟

وإذا كانت أداة الاستفهام في الأمثال العامية المصرية تأتي في صدر المثل ووسطه ونهايته ، فإنها في الأمثال الهوساوية تأتي في صدر المثل فقط .

الاستفهام الحقيقي :

والاستفهام في الأمثال العامية المصرية استفهام حقيقي إلا أن بعضها يحتاج إلى إجابة والآخر يتضمن الإجابة كما هو الحال في الأمثال التالية :

أ-أمثال تحتاج إلى جواب نحو قولهم:

-إيش تعمل الماشطة في الوش العكر ؟

- إيش عرّف الحمير بأكل الزنجبيل؟

-فين عزمك يا فشّار ؟ آدى السيف وآدى صاحب التار .

ب-أمثال تتضمن الإجابة نحو قولهم:

-إيش غرض الأعمى ؟ قال قفة عيون .

-إيه يحرر النسا ؟ قال بعد الرجال عنهم .

-قال يابا إيه أحلى م العسل ؟ قال الخل إن كان بلاش .

-قالوا للغراب ليه بتسرق الصابون؟ قال الأذيه طبع .

جـ-وقد يأتي المثل على هيئة حوار فيقولون :

قالوا يا جحا فين مراتك ؟

قال بتطحن بالكرا .

وطحينك ؟

قال كريت عليه .

قالوا كنت خلِّى مراتك تطحنه .

الاستفهام الإنكاري :

الظاهرة التى لم أجد لها مثيلا فيما ذكر في كتاب " الأمثال العامية " وتوجد في الأمثال الهوساوية . هي ظاهرة الاستفهام الإنكاري ، فكثير من الأمثال الهوساوية لا تتضمن أداة الاستفهام ولا يمكن أن يُفهم مضمونها إذا أخذت على أنها مثل إخباري أو استفهام حقيقي ، وإليك بعضا من هذه الأمثال .

(86)

A girma a ei kasa ?

أيكبر الإنسان ويأكل التراب ؟ ويضرب هذا المثل للكبير الذي يفعل فعل الصغير وهو استفهام إنكاري ، ولا يمكن أن يكون حقيقا .

(87)

A ki marada a zauna da wa ?

إذا رُفض النّمام مع يكون الجلوس – للنميمة –

(88)

A nemi jini ga fara ?

أيطلب الدم في جسم الجراد ؟ ومن المعروف أن الدم الأحمر لا يوجد في جسم الجراد .

(89)

A nuna wa na rigingine farin wata ?

أيُدل المستلقى على ظهره على ضوء القمر ؟ أي أنه في وضع يجعلة يرى

ضوء القمر دون دليل .

A tambayi Kaza hanyar rafi a tambayi (90)
agwagwa a sha labari ?

أتُسأل الدجاجة عن طريق القناة ، وتُسأل البطة عن الخبر ؟ والمفروض عكس ذلك حيث تكون البطة أعلم بطريق القناة لحبها للسباحة ، وتكون الدجاجة أعلم بالأخبار لبقائها في المنزل بين أهله وسماعها الأخبار .

A tambayi mai kundumi labarin kitso ? (91)

أتسأل ذات الشعر الخفيف عن آلام التصفيف ؟

تعد عملية تصفيف الشعر الكثيف في نيجريا – والدول الأفريقية . عامة عملية متعبه ، لأن جدله يأخذ وقتا طويلا لكثرة ما يصنع من جدائل ، ولا يشعر بهذه المشكلة إلا ذات الشعر الكثيف .

(92)
Ana layya da doki me ?

أيضحى بالحصان ؟

(93)
Don damo a yi kambu ?

أمن أجل الضب جعلت التمائم ؟

والمعروف أن سكان هذه البلاد يحملون الكثير من التمائم لتحميهم – في اعتقادهم – من الأضرار والحراب والسهام ، وليس من الضب لأنه من الزواحف غير المؤذية .

(94)
Sakamakon alheri mugunta ne ?

حل جزاء الخير الشر ؟

(95)
Wanzami ba ya son jarfa ?

حلاّق لا يحب الوشم ؟

والمعروف أن عمل الوشم عادة منتشرة بين كثير من القبائل في هذه البلاد ، ويقوم بعمله الحلاق وتعتبر مصدر لرزقه .

وهكذا نلاحظ الفرق بين الاستفهام في الأمثال العامية المصرية والهوساوية . فقد رأينا أن أداة الاستفهام في العامية المصرية تأتي في صدر المثل أو في وسطه أو في نهايته . ولكن في الأمثال الهوساوية تأتي في أوله فقط .

كما أن أدوات الاستفهام في الأمثال المصرية محرفة عن العربية الفصحى . وأن الأدوات في الهوسا

واحدة ، وأن السؤال في الأمثال العامية المصرية يتضمن الإجابة في أكثر الأحوال ، ولا يحدث ذلك في الهوسا .

وأن الأمثال العامية المصرية تهدف إلى الاستفهام الحقيقي وليس التقرير أو الإنكار . بينما نجد الاستفهام في الهوسا محدودًا – ٥٩ مثلا) والغالب فيها أن يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الاستفهام الإنكاري .

٦-المقولة :

المقصود بالمقولة في هذا المجال هو ما يلي كلمة " قال " في المثل العامي المصري أو الهوساوي . وقد وردت كلمة " قال " في الأمثال العامية المصرية كثيرا ، ويختلف موقعها من مثل لآخر ، كما تختلف المقولة من مثل لآخر .

موقع " قال " :

لاحظت في الأمثال العامية المصرية أن الفعل " قال " قلما يأتي مرة واحدة في وسط المثل فيقولون :

-إيه رماك ع المر ؟ قال : أمر منه .
-داخل بيت عدوك ليه ؟ قال فيه حبيبي .
-نام لما ادبحك . قال : دا شيء يطير النوم .
حماتي مناقره ، قال : طلق بنتها .

وكثيرا ما يأتي الفعل " في صدر المثل ووسطه ، فيقولون :

-قالوا للجعان: الواحد في واحد بكام؟ قال : برغيف .
-قالوا للصياد : اصطدت أيه ؟ قال : اللي في الشبكة راح .
-قالوا : صباح الخير يا جحا ، قال : دنا لسه سارح .
-أقول له طور ، يقول احلبه .

ولا يأتي الفعل " قال " في الصدر إلا إذا جاء في الوسط .

الحوار :

وقد يأتي الفعل " قال " أكثر من مرة في المثل الواحد ، فيكون على هيئة حوار يقولون :

دبور زن على مسن .
قال : عايز أيه ؟

قال : الحسك .

قال : أنا الحس الحديد .

ويقولون :

قالوا : تعرف الهايف بأيه ؟

قال : بكلامه .

وقالوا : تعرف السقيل بأيه ؟

قال : بسؤاله .

ويقولون :

قالوا للديب : ح يسرحوك في الغنم .

قام عيط .

قالوا : دا شيء تحبه .

قال : خايف يكون الخبر كدب .

ويقولون :

قالوا للعبد : سيدك راح يبيعك .

قال : يعرف خلاصه .

قالوا : تهربش

قال : اعرف خلاصي .

ويقولون :

قالوا للقاضي : يا سيدنا الحيطة شخ عليها كلب .

قال : تنهدم سبع وتتبنى سبع .

قالوا : دى اللي بيننا وبينك .

قال : أقل من الماء يطهرها .

ويقولون :

قالوا : يا جحا فين مراتك ؟

قال : بتطحن بالكرا .

وطحينك .

قال : كريت عليه .

قالوا : كنت خلي مراتك تطحنه .

وإذا كان الفعل " قال " جاء في الأمثال العامية المصرية ٢٨٦ مرة قبل المقولة ، فإننا نجد المقولة ترد في الأمثال الهوساوية ٧٨ مرة . ورد فيها الفعل " قال " ١٩ مرة ، مرتان في صدر المثل ووسطه ، و١٥ مرة في وسط المثل فقط ، ومقدرا في باقي الأمثال .

الفعل " قال " في وسط المثل الهوساوى يقولون :

" A yi maza a nade " in Ji barawon tabarma (96)

قال لص الحصيرة " بسرعة لفوها " أي قبل أن يراها صاحبها .

" Allah sarkin dadi " in ji barawon takanda (97)

قال لص قصب السكر "الله ملك اللذة" (98)

" Allah ubana " in ji shegiya .

قالت ابنة الزنا " الله أبى " أي أنها لا تعرف لها أبًا .

" Ba samun abinei ke da wuya ba wurin
(99)
da zaka ci " in ji dan tsako .

قال الفرخ الصغير " لا يصعب وجود الطعام ولكن المكان الذي يؤكل فيه " أي أنه مهدد من الطيور الجارحة .

" Ban sa a ka ba " in jibarawon tagiya. (100)

قال لص الطاقية عندما قبض عليه " لم أضعها على رأسي "

<u>الفعل " قال في صدر ووسط المثل الهوساوي .</u>

إذا كان الفعل " قال " جاء في الأمثال العامية المصرية في صدر المثل ووسطه ٦٠ مرة ، فإنه لم يرد في الأمثال الهوساوية إلا في مثلين اثنين فقط يقولون :

An ce da akuya " sarkin fawa ya mutu " ta ce
(101)
" oho ya mutu da wukar yanka ne ?"

قيل للعنزة : كبير القصابين مات " قالت " لا أبالى ، هل مات والسكين معه ؟ "

An ee da Kare " tuwo ya yi yawa a gidan
(102)
biki " ya ee " mu gani a kas"

قيل للكلب " الثريد كثر في منزل العرس " قال – منكرا –" هل يبدو هذا على الأرض :

والجدول التالي يوضح عدد مرات ورود الفعل " قال " وموضعه في العامية المصرية والهوساوية .

في الصدر فقط		في الوسط فقط		في الصدر والوسط	
المصرية	الهوسا	المصريه	الهوسا	المصرية	الهوسا
٥٩	٢	١٧٠	١٥	٥٧	٢

أما الحوار بالصورة التي نجدها في الأمثال العامية المصرية فإنها لا توجد في الأمثال الهوساوية . وإذا كان الفعل " قال " يرد في الأمثال المصرية ظاهرا ، فإنه يأتي في أكثر الأمثال الهوساوية مقدار ، أي لا يذكر في المثل – فقدر ورد مقدرا في ٦٣ مثلا ، من ٨٧ مثلا وردت فيها المقولات ، وإليك بعضا منها .

‘Arufe da buzu “ matar malami ta yi shige. (103)

عندما ولدت زوجة العالم سفاحًا قالت " غطوه بالفروة "

“A bari ya huee “ shi ya kawo rabon wani. (104)

قولك " اترك الطعام ليبرد " هو الــذي جعله من نصيب الغير .

“Allah ya ba ka hakuri “ ba ta cika Jaka . (105)

قولك للسائل " الله يصبرك " لا تمـــلأ حقيبته بالمال

“Banda tuna baya “ gyartai ya cisarauta. (106)

قال مصلح القرعـــات عنـــدما تـــولى السلطة " لا تذكروني بالماضي "

“ Can ga su gada “ zomo ya Ji kidan farauta . (107)

عندما سمع الأرنب صـــوت طبـــول الصيد قال " هاهي الغزلان " أي أنه يحول نظرهم عنه إلى الغزلان .

(108)

“Da kyau “ kare ya ga gawar kura .

قال الكلب عندما رأى جثـــة الـــذئب " حسنًا "

“Duba mini hanya “ makaho ya so tseegumi . (109)

قال الأعمى عنـــدما أراد الاغتيـــاب " راقب لي الطريق "

“Allah ya sa a dada “ wawa ya ei tuwon mutuwa . (110)

قال الأبله عندما أكل ثريد المتوفى "الله يزيد موتاكم "

وهكذا نلاحظ أنه لفهم الأمثـــال السابقة لابد من تقدير كلمة " قال " أو " قولك " أو " قال " ... " عندما "

مضمون المقولة :

يختلف مضمون المقولـــة فـــي الأمثال العامية المصرية من مثل إلى آخر ، فقد يكون المضمون ردًّا علـــى سؤال كقولهم :

-أبوك خلف إيه ؟ قال: جدي ومات .

_إيش حايشك عن الــرقص ؟ قـــال : قصر الأكمام .

-إيه رماك ع المر ؟ قال : أمر منه .

-ماله الدست بيغلي ؟ قال : من كتـــر ناره .

-مين يشهد لك يا أبو الحسين ؟ قال: نواره ويلي .

وقد يكون المضمون ردًّا على تحية . كقولهم :

-ليلتك سعيده ياضيف . قال : عليك وعلى ولادك .

-قال صباح الخير يا عوره . قال دا باب شر .

-قالوا صباح الخير يا جحا . قال : دنا لسه سارح .

-صباح الخير يا جاري . قال : انت في دارك وأنا فى داري .

-صباح الخير يا أعور . قال : دا شر بايت .

وقد يكون المضمون ردًّا على فعل أمر . كقولهم :

-حبني وخدلك زعبوط . قال هي المحبة بالنبوت ؟

-نام لما ادبحك . قال : دا شيء يطير النوم .

-يا ابو الحسين اقرا الكتاب . قال : مين يقرأ ومين يسمع ؟

-قالوا للحرامي احلف . قال : جا الفرج .

-قالوا للمشنوق: غطي رجليك . قال: إن رجعت عتبوني .

وقد يكون المضمون ردًّا على خبر . كقولهم :

-اقرع بياكل حلاوه . قال : بفلوسه .

-إللي يعيش يشوف كتير . قال " واللي يمشي يشوف اكتر .

-جملك بارك من عياه . قال : حملوه يقوم .

-حماتي مناقره . قال : طلق بنتها .

-كلب ابيض وكلب اسود . قال : كلهم ولاد كلاب .

-قالوا : يا للي أبوك مات م الجوع . قال : هو شاف شيء ولا كلش .

وقد يكون المضمون ردًّا على دعاء ، كقولهم :

-قال جاتك داهيه يا مَره . قالت : على راسك يا راجل

-قال الله يلعن اللي يسب الناس، قال: الله يلعن اللي يحوج الناس لسبه .

وقد يكون الرد على الدعاء بسؤال كقولهم :

-إن شاء الله اللي خدها يندبح بيها . قال : إيش عرفك إنها سكينة ؟

-قال : يارب دخلنا بيت الظالمين وطلعنا سالمين ، قال : وإيش دخلك ، وإيش طلعلك ؟

وإذا كانت المقولة كما رأينا ردًا على سؤال أو تحية أو فعل أمر نجد ظاهرة أخرى ، غير موجودة في الأمثال المصرية العامية ، وهي أن المقولة ، تقال في ظرف معين يستدعى قولها على النحو التالي :

يقولون :

(111)

"Abin yana da yawa " mutuwa ta shiga kasuwa .

قال الموت عندما دخل السوق "الموتى كثيرون "

أي وقع في حيرة من يقبض ومن يترك .

(112)

"Allah sitiri bukwi " `ya ta ga doron uwarta .

قالت البنت عندما رأت أتب أمها " الله يستر من النتوء "

(113)

"Allah ya ba mu lafiya " baba ya ga tsirara .

قال ذو العنة عندما رأى المرأة العريانة " اللهم هبنا العافية "

(114)

"Ban ga ta zama ba " an saei dan barawo .

عندما سُرِق ابن اللص قال " لا إقامة لي هنا "

"Daga nan muka faffara Kutura ya ga mai kyasfi . (115)

قال المجزوم عندما رأى البثرات البيضاء على الوجه " من هنا بلأنا "

أي هذه بداية مرض الجزام .

"Duba mini hanya " makaho ya so tsegumi . (116)

قال الأعمى عندما أراد الاغتياب " راقب لي الطريق "

أسلوب المقولة :

وقد يكون أسلوب المقولة أسلوبا خبريا كقولهم :

-يا فرعون مين فرعنك ؟ قال : ملقتش حد يردني .

-قالوا للديك صيح . قال "كل شيء في أوانه مليح .

-إيش غرض الأعمى ؟ قال : قفة عيون .

-إيش قلتم في جدع لاعشق ولا اتعشق ؟ قالوا يعيش حمار ويموت حمار "

-البقرة بتولد والطور بيحزق ليه ؟ قالوا : أهو تحميل جمايل .

وقد يكون مضمون المقولة إسلوبا إنشائيًا :

ومن الأساليب الإنشائية أسلوب الاستفهام كقولهم :

-حبني وخدلك زعبوط . قال : هي المحبة بالنبوت ؟

-غسِّله وأعمل له عِمه . قال : أنا مُغسِّل وضامن جنَّة ؟

-يا ابو الحسين اقرا الجواب . قال : مين يقرا ومين يسمع ؟

-غوله وعملت فرح . قال : يكفيها والا يكفي ولادها ؟

-إن شاء الله اللي خدها يندبح بها ، قال : إيش عرفك إنها سكينة ؟

-يا رب دخلنا بيت الظالمين وطلعنا سالمين . قال : وإيش دخلك وإيش طلعك ؟

ومن أساليب الأمر قولهم :

-ببا علمني التِبات . قال تَعَ في الهايفه واصَّدر .

-قالوا لحرامي الدقيق احلف . قال : يا مَره انخلى .

-أقول له طور . يقول احلبه .

-حماتي مناقرة . قال طلق بنتها .

-واحد شال معزة وظرط . قال : هات بنتها .

ومن أساليب الدعاء قولهم :

-خزانه من غير باب . ويقولوا : يا الله اكفينا شر الحساد .

-قال : الله يلعن اللي يسب الناس . قال: الله يلعن اللي يحوج الناس لسبه.

أسلوب المقولة في الأمثال الهوساوية:

لا يختلف أسلوب المقولة في الأمثال الهوساوية عنه في الأمثال العامية المصرية . فنجد منه الخبري كقولهم :

(117)

“Ban sa a ka “ in Ji barawon tagiya .

قال لص الطاقية عندما قُبض عليه " لم أضعها على رأسي "

“Daga nam muka Faffara “ kuturu ya ga mai Kyasfi . (118)

قال المجزوم عنــدما رأى البثــرات البيضاء على الوجه " من هنا بدأنا "

“Duniya ta yi dadi “ an kashe mutuwa . (119)

قال الناس عندما قُتل الموت " صارت الدنيا سعيدة "

“Gandoki mu Je biki “ ta ce “ zanena ya yi . “ gaba “ (120)

قيل للمتسرعة " هيا نذهب إلى الحفل قالت " ثوبي قديم "

“Gida ya fi dadi “ mahaukaei ya Je bauta . (121)

عندما صار المجنون خادمًا قال " بيتنا أجمل "

ومن الأساليب الإنشــائية ، أســلوب الاستفهام كقولهم :

An ce da akuya “ sarkin fawa ya mutu “ ta ce “ oho ya mutu da wuka ne ? “ (122)

قيل للعنزة رئيس القصــابين مــات " قالت " لا أبالي هل مــات والســكين معه"

Bawan yarda ya fi “ nawa aka saya?“ (123)

العبد الذي يقدم نفسه لك راضيا أفضل من قولك " بكم يشترى ؟ "

Gaza gami cewa “ Wane me kake kuka ? “(124)

قولك " ماذا تبكي يا فلان " عجز عن الرؤية .

ومن أساليب الأمر قولهم :

“A rufe da buzu “ matar malami ta yi shige . (125)

عندما ولدت زوجة العــالم ســفاحًا . قالت غطوه بالفروة "

“ A bari ya huce “ shi ya kawo rabon wani . (126)

قولك " اترك الطعام ليبرد " هو الــذي يبقيه حتى يأكل منه صاحب النصيب. (127)

“Allah ya ce “ tashi in taimake ka “

قال الله " قم لأساعدك "

“Cire min kaya na fi ka gudu “ ba yau aka fara ba . (128)

قولك " انزع لي الشوكة لأسبقك فــي الجري " لم يبدأ اليوم أي أنــه أمــر معروف ، يضرب لمن تساعده فيتفوق عليك .

“Duba mini hanya “ makaho ya so tsegumi . (129)

ومن أساليب الدعاء قولهم :

“a sha da lafiya “ tallan koko a Habuja . (130)

يقول بائع الثريد في مدينة أبوجا "تشرب بالعافية "
"Allah sitiri bukwi "`ya ta ga doron uwarta (131)
قالت البنت عندما رأت أتب أمها " الله يستر من النتوء "
"Allah ya ba mu lafiya " baba ya ga tsirara . (132)
قال ذو العنة عند ما رأى العورة " اللهم هبنا العافية "
"Allah ya sa a dada " wawa ya ci tuwon mutuwa (133)
قال الأبله عندما أكل ثريد المتوفى " . الله يزيد موتاكم "
(134)
"Da alheri " kishiya ta hau kura .
عندما ركبت الضرة الذئب – قالت الزوجة – " مع السلامة "

ومن أسلوب الرجاء قولهم :
"Bari mu taba mu Ji " mayya ta je barkar haihuwa . (135)
قالت الساحرة عندما ذهبت للتهنئة في يوم الولادة " دعوني ألمسه وأشعر به " أي أنها تريد تجربة سحرها فيه .
"Bari dai. In zauna " mai kwaclayi ya ga ana soya nama . (136)
قال الطماع عندما رأى اللحم يشوى "دعنى أجلس ".

ومن أساليب التمني قولهم :
"Da haka ake a ce ba'a so " am ba matsiyaei dambun nama (137)
قال الفقير عندما أعطى اللحم المفروم " لو هكذا يُفعل ما قال أحد لا أريد "
"Da haka ake yi a ce ba'a so on so wa majinyaci zuma a magani (138)
عندما وضع للمريض العسل في الدواء قال " لو هكذا يُفعل ما كره الدواء "

ومن أساليب النهي قولهم :
"Banda tuna baya "gyartai ya ci sarauta (139)
قال مصلح القرعات عندما تولى السلطة " لا تذكروني بالماضي .

الهوامش :

1- masani : عالم ، و n : للإضافة ، mashigi : مدخل ، shi : هو ، ko da: منذ القدم، kan : عادة ، kama : القبض على الشيء أو الإمساك به .

2- kiwo:الرعى،n للإضافة، yarda: المناسب، kadan : قليل، kan :عادة ، tashi :الخروج أو القيام،kawo : العودة ، ki :ضمير المخاطبة . gida: منزل .

3- ashe : عجبا ، rai: النفس، kan ga : ترى عـــادة ، dankoli :بـــائع الخـــردوات ، ya ga : رأى ، fura : طعام يصنع من الدقيق واللـــبن و r : للإضافة ، gero : الدخن .

4- takar kari : الثور ، kan: عادة، hora:التعود أو التدرب،Jaki:الحمار، ya saba : تعود ، da : بمعنى على ، kaya : المتاع .

5- a : في، baki فم و n: للإضافة، tsoho : العجوز، ne : بمعنى يكون، goro : ثمار الكولا ، kan : عـــادة ، tsufa : تسبيح .

6- kishiya : الضـــرة ، mai ban haushi:مثيرة للغضب، ana ganinki يرونك، Kan Zagi : يسبون عـــادة . miji : الزوج .

7- marayan : يتيم ، n لربط الصفة بالموصوف ، zaki : الأسد ، falà : القتال، da :مع، masu ذوى، iyaye: الآباء .

8- arziki : الرزق، kashi : عظمة، haihuwa : ولادة r : للإضافة، da: ابن ، namiji : ذكر .

9- ana: بمعنى يقال، ta تفيد الكثرة ، sa : الوضع، taka : الرماد، katsi : طين يستخرج من الحفرة المســـتخدمة في الصباغة ، يحرق حتـــى يصـــير جاف . فيستعمل كالأسمنت .

10- ana wahala : يتعـــب ، nema : طلـــب و n : للإضـــافة ، aure : الزواج ، ba : بدون ، kudi : مال .

11- an yi:عُمل بمعنى قدَّم، mana : لنا، kyauta : الهدية، koma : العودة ban daki :الحمَّام، ka yi kuka بكى .

12- bar :دع ، ganye : الـــورق ، daura : البس ، tufa : القمـــاش أو الثياب .

13- ana :بمعنى يقال، ruwa: الماء ، ya ci : أغرق ، makadi : الطبال . kana: بمعنى تتكلم عن أو تهتم بـــ ، gangarsa : طبلته، ta Jika : ابتلت .

14- ana : لاصقة الفعل المضارع في حالة المبني للمجهول وهنـــا بمعنـــى

يدافعون ، ta : تفيد الملكيــة ، kai : النفس ، wa : مَنْ ، yake : لاحقــة الفعل المضارع في حالة الغائب وهنا بمعنى يدافع عن ، kaya : المتاع .

15- Hausa: لغة الهوسا ، ba ... ba: أداة نفي، dabo :السِّحر، ne : بمعنى يكون .

16- kamar : مثل ، Jaki :حمار ، n للإضافة، kano : مدينة فــي شــمال نيجيريا .

17- ya ba ka : أن يهبك ، hakuri : الصبر ، ba : لا النافيــة ، ta cika : تملأ ، Jaka : حقيبة .

18- ku bar : دعـــــوا ، kisan : قتـــل و n : للإضـــافة ، Jemage: الخفــاش، magani : عـــلاج،mace : المرأة ، madi : الشراب والطعام.

19- abu : الأمـــر ، ya yi dadi : صار جميلا ، an bai : أُعطى، wa: حرف جر، mayya :الساحرة ، Jira: حراسة، n :للإضافة، gawa: الجثة .

20- maye : الساحر ، a :في، eiki : البطن أو الداخل ، na gida : رفيــق المنـــزل ، ya yi : تـــولى ، sarauta السلطة .

21- kare : الكلب ، da : باء حرف جر ، kudinsa : ماله ، sai حينئـــذ ، ya sha شرب ، lahaula : لا حول ، وهي عبارة عربية يكتبهـــا المشـــعوذ على ورق ليشربها المريد .

22- انظر المثل الســـابق ، rubuta : الكتابة .

23- ba ... ba : ليس، haka : هكذا، aka so:أريد، kanen : الأخ الأصغر، n : للإضافة، miji : الزوج ، ya fi: فاق ، kyau : جمال .

24- kudi:مال، n:للإضافة،gwamna: الحكومة ، masu : أصـــحاب gida : المنزل ، rana : الشمس .

25- ba su son : لا يريدون ، a samu :أن يوجد، a kulle : أن يربط.

26- ta gagari :تعذر على ، kandila: اسم رجل ثرى .

27- kome : مهما كان، gaggawa ، تعجل ، r :للإضافة ، da : ابن ، n : للإضافة، sha biyar : خمسة عشر ،

والمقصود هنا هو الساعي الذي يحصِّل رسوما تقدر بخمسة عشر قرشا من المتخاصمين، لدى القاضي.

ya bari : يترك أي ينتظر ، sai : حتى ، alkali:القاضي ، ya aike shi: يرسله .

28- gobara :حريق ، r : للإضافة ، Titi : اسم امرأة .

29- jifa : رمى ، r : للإضافة ، gafiyar : فأر هندي كبير ، Baidu : اسم شخص .

30- mahakurei:الصابر، mawadaei: الثري .

31- wanda : الذي ، ya isa : بلغ ، والمقصود القمة أو الغاية ، ba : لا النافية ، ya fada : يقاتل أو يخاصم .

32- fata :التمني، nagari : الحسن ، lamiri : ضمير .

33- makanwaei : الشره ، ba: لا النافية ، ya kafe : يجف اللحم .

34- mushe : جيفة ، n : للإضافة ، kura : الذئب ، ya wuee : تجاوز ، sarki : أمير أو رئيس .

35- انظر المثل رقم 28 .

36- Jiki:جسم ، magayi : متحدث ، أي ينم عما فيه .

37- kare : الكلب ، goro : ثمار الكولا، n : للإضافة ، kura : الذئب.

38- Jihacli :جهاد أو عناء، talla : العرض للبيع، n : للإضافة، turmi : الهاون .

39- daya : واحدة ، mata : زوجه، r: للإضافة، yaro:الخادم أو الصبي.

40- dare:الليل، mahauta :استراحة، r للإضافة ، bawa : الخادم .

41- banza :عبث، ta kori:طاردت ، wofi : عبث .

42- dabara : حيلة ، ta fi : فاقت ، karfi : القوة .

43- dasasshe:المشتول، ya fi :فاق ، shukakke : المزروع .

44- gani : الرؤية ، ya kori : طرد بمعنى فاق ، Ji : السماع .

45- gaba:الأمام، ta kai ni: دفعتني ، gabara: حريق ، r : للإضافة Titi: اسم امرأة .

46- انظر المثل السابق .

47- akuya:العنزة، a daure:المربوطة، in :إذا أداة شرط ، ta sami : وجدت أو نالت ، saki :الحرية أو الانطلاق ، babu : لا يوجد ، zama : بقاء .

48- انظر المثل السابق .

49- ana zama:يُصار، karya : كذب أو أمر غير معقول، Bamaguje: فرد من قبيلة وثنية . ya Z0 :جاء، gari : المدينة ، ya iske :وجد ba : لا يوجد، masussuke : فرن .

50- انظر المثل السابق ، in Ji : قال.

51- bari :دع ، nema :طلب ، Jini: الدم ، ga : لدى ، babe : نوع كبير من الجــراد ، don : لأن ، bai nufe : shi ba : لم يخصه .

52- انظر المثــل الســابق ، wurin : حيث .

53- a zo : تعـــالوا، gare mu : إلينـــا ، daki :الحجـــرة، ya fada : ســـــــقط ، wa: لام حـــــــرف جــر، gurguwa:العرجـــاء، tare da : مع ، dan : ابـــن :masu أصـــحاب، gida : المنـــزل ، ta ce :قالـــت،im : إنْ، أداة شــــرط ba .... ba: أداة نفـــي،ku zo:تعـــالوا، domina: مـــن أجلـــي،30 kwa : تعـــالوا، danku ابنكم .

54- انظر المثل السابق .

55- farin : أول، shiga : دخـــول ، n و r : للإضـــافة، ungozoma : الداية ، wasai : اســـم بلـــد،ana ga : يُـــرى ، cibiya : الســـرة a yanke : يُقطـــع : gindi:أســـفل والمقصـــود ذكر المولود .

56- انظر المثل السابق .

57- bari: دع ، nema : طلب ، n : للإضافة ، farin Jini : الحب أو خفة الدم ، ga : لدى ، fara : الجـــراد ، bai nufe ta ba: لم يخصها ، da shi: به .

58- duniya : الحياة الدنيا ، zama : حياة أو بقاء، n : للإضافة ، karuf : السوق ، kowa:كل واحد، da : بمعنى موجود، inda :حيث ، ya sa :وضع ، gabansa : أمامه .

59- fatsa: السنارة، bawa: عبد ، n للإضافة ، masunta : صيادها ، na :ba ka يعطيك ، kama bai : تعطى، baya : وراء .

60- abin da : ما اســم موصــول ، mutum: الإنسان، ya shuka : زرع ، shi : هو ، yake girbi : يحصد

61- garaje: السرعة،ba ... ba: ليست، karfi: قوة، ne: بمعنى تكون، kalma: كلمة، baki : الفم، kowa : كل واحد ، ya iya : يستطيع .

62- ya tsari : يحفظ، gatari : الفــأس، da بمعنى من ، noma : الزراعة .

63- انظر المثل السابق ، sara : قطع، n : للإضافة ، shuka : الفرس .

64- ashe : عجبا ، rai : النفس أو الـــروح ، kam ga : تــرى عـــادة ، Dankoli : بائع الخـــردوات ، fura : نوع من الطعام يصـــنع مـــن الثريـــد واللبن، r : للإضافة gero : الدخن .

65-انظر المثل السابق، Dan Banufe: النوفى، فرد من قبيلة Nufe ، toko : اسم شخص .

66- ba ... dan ba: لولا، daili : العلة أو سبب، me ماذا، zai sa : سيجعل، akama أن يمسك، zomo : الأرنب ، a: في، cikin: داخل، fatsa: السنارة .

67- انظر المثل السابق ، tarwada : الحوت ، toka : الرماد .

68- ba .. ban sa: لم أضع، a: علـــى، ka: الرأس، Ji in: قال، barawo: لص، n: للإضافة ، tagiya : القلنسوة .

69- انظر المثـــل الســـابق ، kare : الكلـــب ، da: واو المعيـــة، guda : زغرودة ، r : للإضافة ، gara : هدية الوالدين للعروسة في الصباحية .

70- ciwo : مرض ، n : للإضافة ، ciki : البطن ، sai : إلا أي ليس له إلا ، hakuri : الصبر .

71- انظر المثل السابق ، ido : عين .

72- duniya : الحياة الدنيا ، zama : حياة أو بقاء ، n : للإضافة karufi : السوق ، kowa : كل واحـــد ، da : بمعنى يوجد، inda : حيث ، ya sa : وضع ، gabansa : أمامــه وأصـــلها gaba : أمام ، n للإضافة .

73- انظر المثل السابق . marina :
مصبغه ، ce : بمعنى تكون .
74- sarauta : سُلطة أو قدرة ، r :
للإضافة، kare:كلب، a : في، baki :
فم، n : للإضافة ، zomo : الأرنب .
75- انظر المثل السابق ، kura :
الذئب ، kwikwiyo : الجرو .
76- samu : وجود ، n : للإضافة ،
kai : الرأس والمقصود هنا شعر
الرأس، ya fi:فاق أو خير من، aski:
قص الشعر .
77-انظر المثل السابق، fula:القلنسوة،
rijiya : البئر ، guga : الدلو .
78- wanda : الذي ، ya isa : بلغ
القمة أو العظمة أو القدرة ، ba : أداة
لنفي الفعل المضارع ، ya fada :
يقاتل أو يخاصم .
79- انظر المثل السابق ، shi : هو ،
yake yanka:يذبح ، doki: الحصان .
80- me : ماذا، allura :الإبرة ، zata
yi : ستفعل ، da : مع ، ruwa :
الماء، n : للإضافة ، kogi :النهر .

81- kaka : ماذا ، aka fara : عَمل
وأصلها حدث ، kaza : الدجاجة ،
take gudu : تهرب ، n : رابطة
لربط الفعل المضارع بالمفعول به ،
`ya`yanta : أفراخها .
82- yaya : بمعنى ماذا ، aka yi :
عُمل، mai gari : حاكم المدينة، da :
واو المعية، kira : الآذان،n:للإضافة،
salla : الصلاة .
83- ina : ما، amfani : فائدة ، n :
للإضافة، badi : العام القادم ، ba :
بدون ، rai : حياة .
84- yaushe :متى ، a :في، gari :
المدينة، kare : الكلب yaji ، سمع .
kugi عواء، n : للإضافة ، kura :
الذئب .
85- kome.مهما كانت،gudu : سرعة.
n : للإضافة ، barewa : الغزال ta
bar : تترك ، daji : الغابة .
86- a girma : كُبر ، a ci : يؤكل ،
kasa : التراب .
87- a ki :يُرفض ، marada :النَّمام
a zauna: يُجلس، da :مع، wa : مَنْ،

88- anemi : يُطلب ، jini : الـــدم ، ga : لدى ، kara : الجراد .

89- a nuna :يُدل، wa:لام حرف جر، na rigingine : المستلقي على ظهره ، fari :ضوء، n:للإضافة، wata:القمر.

90- a tambayi : تُســـأل ، kaza : الدجاجة، hanya:طريق، r : للإضافة rafi :النهر، agwagwa:البطة ، a sha تُعرف وأصلها تشُرب، labari:الخبر.

91- a tambayi : تُسأل، mai : ذات ، kundumi : الشعر الخفيــف ، labari خبر، n : للإضافة ، kitso : تصفيف الشعر .

92- ana layya : يضحي ، da : باء حرف جر ، daki : حصــــان ، ne : بمعنى يكون don:من أجل ، damo : الضّب، a yi صُنُعت، kambu : تميمة تربط على الزراع .

94- sakamako:جزاء، n : للإضافة، alheri : الخير ، mugunta : الشر .

95- wanzami :حلاق ، ba ya son : لا يحـــب، n :رابطـــة تـــربط الفعـــل المضارع بالمفعول به، Jarfa : عمل الوشم .

96- a yi maza : أسرعوا، a nade : تُلَف ، in Ji : تحال، barawo : لص، n : للإضافة ، tabarma :الحصيرة .

97- sarki : ملك ، n : للإضـــافة ، dadi : اللذة أو السعادة ، inji : قـــال barawo : لـــص ، n : للإضـــافة ، takanda : قصب السكر .

98- ubana : أبـــي ، in ji : قالـــت ، shegiya: ابنة الزنا .

99- ba … ba : ليس، samu :وجود، n : للإضافة ، abinci : الطعام ، ke da wuya : يصعب، wuri :مكان، n: للإضافة ، da : اسم موصول ، azka ci : ســـتأكل ، in Ji : قـــال ، dan: صفير و n:لربط الصفة بالموصوف، tsako : فرخ صغير أو كتكوت .

100- ban sa ba : لم أضع، a: على، ka:الرأس in Ji :قال، barawo: لص، n : للإضافة ، tagiya : القلنسوة .

101- an ce :قيل، da:لام حرف جر ، akuya:العنزة، sarki:أمير أو رئيس ،

n:للإضافة، pawa:الجزارة، ya mutu:
مات، ta ce : قالت ، oho :لا أبالي ،
da:باء حرف جر، wuka :السكين ،
r : للإضافة، yanka : الذبح ، ne :
بمعنى يكون .

102- an ce : قيل، da:لام حرف جر،
kare : القلب ، tuwo : الثريد ، ya yi
yawa : كثُر، a:في ، gida : منزل ،
n : للإضافة، biki العرس أو حفل ،
ya ce : قال ، mu gani : لنــر، a :
على ، kas : الأرض .

103- a rufe :يُغطى، da : باء حرف
جر، buzu :الفروة، mata : الزوجة ،
r : للإضافة،malami : العالم، ta yi:
عملت بمعنى حملت أو ولدت shige:
سفاح .

104- a bari:يُترك، ya huee :ليبرد ،
shi : هو، ya kawo : أحضر وهنـــا
بمعنى سبَّب ، rabo : نصـــيب ، n :
للإضافة ، wani : شخص ما .

105- ya ba ka : أعطاك ، hakuri :
الصبر، ba:أداة لنفي الفعل المضارع.
ta eika : تملأ ، Jaka : الحقيبة .

106- ban da :ما عدا، tuna :التذكر،
baya :الوراء وهنا بمعنى الماضي ،
gyartai :مصلح القرعات أو القدور ،
ya ei : تال ، sarauta : السلطة .

107- can : هناك، ga:ها اسم شارة ،
gada:الغزال، zomo:الأرنب، ya Ji:
سمع، kida:تطبيل، farauta :الصيد .

108- da kyau:جميل أو حسن، kare:
الكلب ، ya ga :رأى ، gawa : جثة ،
r : للإضافة ، kura : الذئب .

109- duba: راقب ، mini : لي ،
hanya :الطريق، makaho :الأعمى ،
ya so : أراد ، tsegumi: الاغتياب .

110- ya sa : جعل، a dada : يزيد ،
wawa :الأبله، ya ci :أكل ، tuwo :
ثريد، n:للإضافة، mutuwa :الموت .

111- abin : الشيء والمقصـــود هنـــا
النـــاس ، yana da yawa : كثيـــرون
mutuwa:الموت، ta shiga : دخلت ،
kasuwa : السوق .

112- sitiri : بمعنى يستر، bukwi :
النتوء، ya` البنـــت، ta ga : رأت ،

doro : أتب، n :للإضافة، uwarta :
أمها .
113- ya ba mu :أن يعطينا، lafiya :
الصحة أو العافية ، baba : ذو العفة
yaga : رأى، tsirara:العُرى أو العورة.
114- ban ga ba :لم أر، ta تعود علـــى
المكان الذي يعيش فيه ، zama : بقاء
أو إقامة، an saee:سُرِق، dan : ابن ،
n : للإضافة ، barawo : اللص .
115- daga : من حرف جر ، ban :
هنا، faffara muka :بدأنا ، kuturu :
المجزوم ، ya ga : رأى ، mai : ذو ،
kyasfi : بثرات تظهر على الوجه .
116- انظر المثل رقم 109 .
117- انظر المثل رقم 100 .
118- انظر المثل رقم 115 .
119- duniya : الحياة الدنيا ، ta yi :
صارت ، dadi :حلاوة أو سعادة ، an
kashe : قتل ، mutuwa : الموت .
120- gandoki :المتسرع أو متهور ،
mu Je :لنذهب إلى ، biki:حفل عرس
ta ce : قالت ، zanena : ثيابي ، ta
yi gaba : بليت .

121- gida :منزل، ya fi:فاق، dadi :
سعادة أو راحة،mahaukaei:المجنون،
ya Je:ذهب،bauta:الخدمة أو العبودية.
122- انظر المثل رقم 101 .
123- bawa :خادم أوعبد،n:للإضافة ،
yarda:الموافقة، ya fi :فاق أو أفضل
من، nawa : كم، aka saya:اشتُرى .
124- gaza :عجزعن، gani: الرؤية،
cewa : القول، wane : فلان، me :
ماذا ، kake kuka : تبكى .
125- انظر المثل رقم 103 .
126- انظر المثل رقم 104 .
127- ya ce : قال ، tashi : قم ، in
tuimake ka : لأساعدك .
128- cire : انزع، mini:لي، kaya :
الشوكة، na fi ka:فقتك، gudu :جَرْى،
ba … ba : أداة نفي ، yau : اليوم ،
aka fara: برئ .
129- انظر المثل رقم 109 .
130- a sha :يُشرب،da:باء حرف جر ،
lafiya:العافية،talla بائع وn:للإضافة،
koko : الثريد، Habuja : اسم مدينـــة
في شمال نيجريا .

131- انظر المثل رقم 112 .

132- انظر المثل رقم 113 .

133- انظر المثل رقم 110 .

134- dA :باء حرف جر ، alheri : الخير ، kishiya :الضرة ، ta hau : ركبت ، kura : الذئب .

135- bari:دع . mu taba : لنلمس ، mu : لنحس : mayya : الساحرة . ta je:ذهبت، barka:تهنئة، r: للإضافة ، haihuwa : الولادة .

136- bari : دع أو هيا ، dai : كلمة حشو، in zauma:لأجلس، mai: ذو ، kwadayi: الشراهة، ya ga:رأى ، ana soya : يشوى nama : اللحم .

137- da:لو، haka:هكذا،ake : بمعنى يكون،a ce:يقال، bauso لايراد ، am ba:أُعطى، matsiyaei:الفقير، dambu: طعام خليط من الدقيق والبصل واللحم المفروم، n : للإضافة، nama:اللحم .

138- da:لو، haka هكذا ، ake yi : يُعمل، a ce : يقال، ba a so لا يراد ، an sa :وضع، wa : لام حرف جر ، majinayei : المريض. zima :العسل، a : في ، magani : الدواء .

139- انظر المثل رقم 105 .

الأستاذ الدكتور مصطفى حجازى السيد

أستاذ لغة الهوسا

بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية

إشكالية الصيغة في المصدر الميمي

للأستاذ الدكتور مصطفى النحاس

أستاذ النحو والصرف - كلية الآداب

جامعة الكويت

مدخل :

حظي المصدر الميمي بعناية الباحثين في القديم والحديث ، وذلك لأن البحث فيه يتطلب الاتصال بقضايا أخرى تشترك معه في الصياغة ؛ لأن الميم ، وهي المميّز الذي تدور عليه صيغ المصادر الميميّة في اللغة العربية .. تأتي سابقة مفتوحة (مَ) للدلالة على اسم الزمان واسم المكان والمصدر الميمي من الثلاثي ، كما تأتي سابقة مضمومة (مُ) للدلالة على اسم الزمان واسم المكان والمصدر الميمي واسم المفعول من غير الثلاثي،فنحو:مَنْهَل: اسم زمان أو اسم مكان أو مصدر ميمي من الثلاثي .

ونحو : مُبتدأ : يصلح أن يكون اسم زمان أو اسم مكان أو اسم مفعول أو مصدرا ميميا من غير الثلاثي ، ويقوم السياق بالتفريق بينها .

وتذكر كتب الصرف أن المصدر الميمي من الثلاثي مفتوح العين مطلقا إلا في نحو: وعد يعد مَوْعِدا فمكسور. وأما اسم الزمان واسم المكان فمفتوح العين فيما مضارعة مضموم أو مفتوح، ومكسور العين فيما مضارعة مكسور ، إلا إذا كان معتل اللام كرمى ووقى فمفتوح دائما.

" وإنما جعلوا الظرف [أي اسم الزمان واسم المكان] من يَفْعَل بالفتح مفتوحا ، ومن يَفْعِل بالكسر مكسورا ، للتوافق بين الظرف وفعله . وألحقوا المضموم بالمفتوح ، فجعلوا الظرف من المضموم مفتوحا ؛ لقلّة المَفْعُل بالضم في كلامهم ، وكان إلحاقه بالمفتوح أولى من إلحاقه بالمكسور لخفة الفتح . لكن لما كان الموعد ونحوه بالكسر أخف من الموعد بالفتح بشهادة الذوق التزموا فيه الكسر

مطلقا؛ مصدرا كان أو ظرفا . وعكسه المولى ونحوه حيث التزموا فيه الفتح مطلقا لخفة الفتح ، ولإفضاء الكسر إلى صيرورة الاسم منقوصا " (بحرق :١٠٨)

إن القضية من التداخل بحيث لا يمكن الاحتكام إلى صيغة من الصيغ السابقة ما لم تستند إلى السياق ؛ ذلك أن الصيغ المطروحة للمصدر الميمي المَفْعَل والمَفْعِل والمَفْعُل والمَفْعَله والمَفْعِلة والمَفْعُلة - كما سيأتي - مما دعا العلماء إلى وضع قيم خلافية بين هذه الأبنية بهدف الفصل بينهما .

ويبلغ هذا التداخل قمّته في صوغ هذه المباني من الأفعال المزيدة ،إذ يحتفظ الجميع ببناء اسم المفعول ، حتى إن عالما كالأصمعي أنكرها (ابن جني ٣٦٦/١ ، ٢٩٤/٣) .

وإلى معاني هذه الصيغ ترجع أسماء فعلية بزنة (مِفْعال) أو (مُفاعَلة) تتّخذ ببساطة معنى حسيا، وذلك مثل: ميراث وميثاق ، ومُزَابَنة ومُعَاشَرة .. وسنحاول في الصفحات الآتية أن نتناول هذه المعاني من خلال محاور ثلاثة :

- ما ورد من صيغ المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان في كتب الصرف .
- علاقة بعض الصيغ بالمصدر الميمي
- القيمة التعبيرية للمصدر الميمي ، وما يفترق فيه عن المصادر الأخرى.

أولا – ما ورد في كتب الصرف :

١–إن التقسيمات الواردة في كتب الصرف لكل من المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان تقضى باشتراك هذه المعاني في صيغة (مَفْعَل) بالفتح ، من كل من :

- مضارع يَفْعُل مطلقا ، نحو : منظر - مقال .
- مضارع يَفعَل مطلقا ، نحو : مذهب - مركب - منام .
- معتل اللام مطلقا ، نحو : مسعى مرمى - ملهى - مولى .
- المثال غير محذوف الفاء ، نحو : مَوْجَل - مَوْحَل .

٢- وقد انتظمت ملاحظة الصرفيين في غير ما سبق للتفرقة بين المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان اعتمادا على المخالفة بين الفتح في (مَفْعَل) للمصدر الميمي ، والكسر في(مَفْعِل) لاسمي الزمان والمكان وشمل ذلك :

- المضارع الصحيح مكسور العين، نحو : مَضْرِب / مَضْرَب .

- المضارع الأجوف اليائي صحيح اللام ، نحو : مزيد / مزاد .

حيث تشكل حركة العين في هذين الموضعين قيمة خلافية للفرق بين المصدر واسمي الزمان والمكان . يقول الفراء (١٤٩/٢) : " فجعلوا الكسر علامة للاسم [أي اسم الزمان والمكان] والفتح علامة للمصدر " ويقول ابن القطاع (١٢/١) : "ومنها أسماء مبنية بالزيادة تشبه المصادر في وزنها ، وتخالفها في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر " .

٣- وتتفق هذه المعاني في (مَفْعِل) من المثال محذوف الفاء مكسور العين في المضارع صحيح اللام ، نحو : موعد - مورد - موئل ..

فإذا احتكمنا إلى السياق في التفرقة بين هذه المعاني لمَفْعَل ومَفْعِل ، فإننا نجد تداخلا كبيرا بين هذه الصيغ ؛ فقد سمع " مَرْجِع " في المصدر الميمي من " رجع " مع أنه ليس مثالا محذوف الفاء ، قال تعالى : " إليه مرجعكم جميعا " (يونس :٤) وسمع " مَنْطِق " من " نطق " في قوله تعالى: " عُلِّمنا منطق الطير " (النمل:١٦).

كما ورد الاستعمال بالكسر في اسمي الزمان والمكان ، فقالوا : مسجِد ومشرِق ومغرِب ومنبِت ومطِلع ومنِسك ، مع أنها ليست مكسورة العين في المضارع ، قال تعالى :

"ولله المشرِق والمغرِب "(البقرة : ١١٥)

" فولّ وجهك شطر المسجِد الحرم " (البقرة : ١٤٤)

" ولكل أمة جعلنا منسِكا " (الحج : ٣٤ قراءة)

"سلام هي حتى مطِلع الفجر" (القدر: ٥ قراءة)

وقد أورد صاحب القاموس كثيرا من الأمثلة التي خرجت عن القياس في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان ، ومن ذلك :

**قولهم في المصدر الميمي من رفق يرفق كنصر ينصر : المَرْفِق بالكسر بمعنى الرفق ، وقياسه فتح مصدره وظرفه.

**وفي المصدر من عصى يعصى رمى يرمي : المعصية ، وقياس معتل اللام فتح مصدره وظرفه مطلقا كالمرمَى والمولَى .

**وقالوا في المصدر من غفر يغفر كضرب يضرب : المغفرة ، وكذا من عذره يعذره كضربه : المَعْذِرة ، وقياسهما فتح المصدر وكسر الظرف.

**ومنه المكان من دبّ على الأرض يدبّ كحنّ يحنّ ، قالوا فيه : مدَبّ النمل ومدِبّ النمل ، وقياسه فتح مصدره وكسر ظرفه ، وقد جاء المصدر منه بالفتح لا غير على القياس .

**وقالوا في المكان من حشر يحشر كنصر وضرب ، بمعنى جمع ، ومن سكن الدار يسكنها ، ومن حلّها يحلّها، بمعنى نزلها (*) : المحشَر والمحِشر، والمسكَن والمسِكن، والمَحلّ والمِحِلّ ، وقياس المصدر والظرف معا منها الفتح .

ومن ذلك قولهم في المكان من وضع يضَع ووجل يوجَل : الموضَع والموضِع والموجَل والموجِل . والقياس فيهما الفتح ؛ لأن الكسر من اختصاص المثال محذوف الفاء مكسور العين في المضارع صحيح اللام ؛أما المثال مفتوح العين في المضارع أو غير محذوف الفاء فقياسه الفتح .

ونجد عند سيبويه (٩٣/٤) وأبي حيان (ص ١٣٢) أمثلة كثيرة على

(*) هذا احتراز من قولهم حلّ الدّين ونحوه اللازم ، فإنه على القياس ؛ المصدر منه مفتوح ، والظرف مكسور ، فنقول : حلّ الأجل محَلاّ بالفتح ؛ أي حلولا ، وبلغ الأجل محلّه بالكسر ؛ أي وقته . قال تعالى : "حتى يبلغ الهدي محِلّه " أي مكانه الذي ينحر فيه .

(مَفْعَل) من المثال الواوي محـذوف الفاء،وهي:مَوْكَل ، ومَوْطَن ومَوْهَب ، ومَوْحَد ، ومَوْرَد ،ومَوْهَبة ، ومَوْألة ، ومَوْرَق . مع أن القياس (مَفْعِل) .

ويردّ ابن القطاع هذا إلى الاختلاف اللهجي ؛ ذلك أن (مَفْعَل) من المثال خاصة بلهجة طيىء، يقول (١٥/١): " وطيىء تقول في هذه البنيـة كلّهـا بالفتح ، ولطيئ توسّع في اللغات ".

ويعزو الفارابي هذا التـداخل بـين المَفْعَل والمَفْعِل في مختلـف الأبنيـة المجردة إلى " أنها كانت في الأصـل على لغتين ، فبنيت هذه الأسماء على إحداهما ، ثم أميتت تلك اللغة ، وبقي ما بني عليهـا كهيئتـه " (١٩٠/٢) فهي - إذن - بقايا مـن اسـتعمالات قديمة .

ويمكن القول بأن باب (فعل يَفْعِل) بالكسر يأتي المصدر الميمي منه على (مَفْعَل) بالفتح ، والزمان والمكـان على (مَفْعِل) بالكسر ، وهـذا هـو المشهور في الأفعال الصحيحة من هذا الباب ؛ أما الأجوف اليائي منـه فقـد يأتي المصدر الميمـي منـه بالكسـر كالزمان والمكان ، وقد يأتي بـالفتح ، فهو موقوف على السماع ، نكسر مـا كسروه ، ونفتح ما فتحوه، ولا يقـاس على الصحيح ، فنحو : جاء مجيئـا ، وشاب رأسه مشيبا، وغاب عنه مغيبا، وبات مبيتا ، وزاد مزيـدا ، وسـار مسيرا، وصار مصـيرا ، وحاضـت المرأة محيضا ، وباعه مبيعا ، وقـال في الهاجرة مقيلا : أي قيلولة - كلّـه ورد بالكسر . ونحو : عاش معاشـا ومعيشا ، وعاب المتاع معابا ومعيبا ، وحاص عنه محاصا ومحيصـا ؛ أي مال ، وكال الطعام مكـالا ومكـيلا ، ومال الشيء ممـالا وممـيلا - ورد بالوجهين الفتح والكسر . والمختـار - كما يقـول بحـرق (١١٤) : " أن يكون قياس مصدر معتل العين باليـاء - الكسر ؛ حملا على أكثر الوارد منه، وللفرق بينه وبين معتل العين بـالواو كالمآب والمتاب والممـات والمعـاد والمعاذ والمـلاذ والمثـاب والمـزار والمغار والمنار والمفـاز والمعـاص

والمناص والمناط والمساع والمطاف والمذاق والمساق والمجال والمقال والمرام والمقام والملام ؛ إذا لم يزالوا يفرقون بين ذوات الواو وذوات الياء".

٤- أما (المَفْعَلة) و (المَفْعِلة) فقد وردت أمثلة كثيرة لهما ، وبخاصة في القرآن الكريم ، وقد اقتصر الوارد من (المَفْعِلة) على باب " فعَل يفْعِل " مطلقا ، مثل المَوْعِظة ، والمَغْفِرة ، والمَعْذِرة ، والمعيشة والمعصية .. وجميعها مصادر ميمية ، قال تعالى :- "وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكر للمؤمنين " (هود : ١٢٠)

" قالوا مَعْذِرة إلى ربكم "(الأعراف : ١٦٤)

" أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة " (البقرة :١٧٥)

ومثلها : المَعْرِفة والمَقْدِرة ..

أما (المَفْعَلة) فقد جاءت مما مضارعة مفتوح العين (يَفْعَل) ، وهي كثيرة مثل : المَرْحَمة ، والمَيْمَنة والمَشْأَمة ، مَتْرَبة ، مَقْرَبة ، مَيْسَرَة مَوَدّة .. الخ . وكلها مصادر ميمية ، قال تعالى :- " وإن كان ذو عسرة فَنظِرَةٌ إلى مَيْسَرة " (البقرة : ٢٨٠)

" كأن لم تكن بينكم وبينه مَوَدّة " (النساء : ٧٣)

" فأصحاب الميمنة ما أصحاب المَيْمَنة " (الواقعة : ٨)

" وأصحاب المشأمة ما أصحاب المَشْأَمة " (الواقعة :٩)

" وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمَرْحَمة" (البلد : ١٧)

وقد كثر ورود (المفعِلة) بالفتح والكسر مصدرا ميميا ، مثل : مَحْمِدَة ومِذَمّة ومَعْجَزَة ومَظْلَمة ومَعْتِبة ومَحْسِبة ، وجاء بالتثليث : مَهْلِكة ومَقْدَرة ومَأْدبة . وجاء بالكسر وحده: المَعْرِفة والمَغْفِرة والمَعْذِرة والمَعْصِية والمعيشة.(الرضي ١: ١٧٢- ١٧٣).

٥- أما ما دخلته التاء من أسماء المكان أو الزمان ، مثل : المَقْبَرة والمَزْرَعة والمَدْرَسة والمَشْرَبة - فإن هذه تطلق على أماكن مخصوصة ، ولا يراد بها موضع الفعل عموما؛ فالمقبرة مكان مخصوص،وليست اسما لكل مكان

يُقْبَر فيه؛ أي يدفن،"إذ لا يقال لمدفن شخص واحد مَقْبَرة " (الرضي ١ : ١٨٤) ولو أريد ذلك لقيل (مَقْبَر) على القياس ؛ فإن موضع الفعل يجرى على القياس .(سيبويه ٢: ٢٤٨، والرضي ١٨٤) وكذا المزرعة فهي اسم لمكان مخصوص ؛ إذ لا يقال لموضع زرع نبتةَ واحدة مزرعة ، بل يقال (مَزْرَع) على القياس . ونحوه : المدرسة ، فإنها بناء مخصوص لهذا الغرض ، ولا يقال لمكان حصول الفعل عموما (مدرسة) بل يقال له : (مَدْرَس) فإنك إذا قمت بفعل الدرس في مكان ما لا يسمى ذلك مدرسة ، بل يسمى مَدْرَسا .

" وكذا المَشْرَبة ليست اسما لكل موضع يشرب فيه الماء ويجرى " (الرضي ١: ١٨٤) وإنما هو اسم لهذا الموضع المخصوص ، وهو الغرفة أو الأرض المخصوصة بكونها أرضا لينة دائمة النبات .... (الفيروزبادي : شرب) ولو أريد موضع الشرب عموما لقيل:(مَشْرَب) على القياس .

فاتضح أن التاء في " المفعلة " لا تغير المصدر عن معناه ، بل يبقى معنى المصدر ، وقد تدلّ على كثرة مسماه ، كما في قولهم : (الولد مَجْبَنة مَبْخَلة مَحْزَنة) أي سبب لكثرة الجبن والبخل والحزن .

أما التاء في اسم المكان أو الزمان فإنها تغير موضع الفعل من العموم إلى الخصوص ، كما تقدم ، وتنقله من اسم المكان عموما إلى الاسم المختص. " وكل ما ثبت اختصاصه ببعض الأشياء دون بعض ، وخروجه عن طريقة الفعل فهو العذر في خروجه عن القياس .. " (الرضي ١: ١٨٤ – ١٨٥) .

وقد صاغوا من الثلاثي على وزن (مَفْعَلة) للدلالة على كثرة الشيء الجامد بالمكان ، كقولهم : أرض مَأْسَدة ؛ أي كثيرة الأسود ، ومَسْبَعة ؛ أي كثيرة السباع ، ومَذْأَبة ؛ أي كثيرة الذئاب (سيبويه ٢: ٢٤٩) .

٦- وذهب كثير من النحاة إلى أن أي تغيير في بناء (المفعل) يخرجه عن موضع الفعل وحلّه ؛ أي عن القياس، إنما يكون هذا التغيير له سبب دعا إليه ، ولو أريد اسم المكان مطلقا لم يتغير البناء ، فالمَسْجِد مثلا بكسر الجيم اسم لبيت مخصوص يكون فيه السجود ، ولست تريد به موضع جبهتك على الأرض ، ولو أردت ذلك لقلت مَسْجَد بالفتح على القياس . (سيبويه٢: ٢٤٨) . ومثله : المَنْسِك؛ إذ هو مكان نسك مخصوص، ولو أردت مكان النسك عمومًا لقلت (مَنْسَك) بفتح السين،وكذا (المفرق) ؛ لأنه مفرق الطريق أو الرأس ، ولو أريد مكان الفرق عموما لقيل (مَفْرَق) وكذا (المَنْخِر) صار اسما لثقب الأنف ، ولا يقصد به معنى النخر (الرضي ١ : ١٨٤) . ونحو هذا (المِطْبخ والمِرْبد) بكسر الميم فيهما ، فالمطبخ بيت تطبخ فيه الأشياء ، وليس مكان الطبخ عموما ، وكذا المِرْبد ، وهو موضع مخصوص تحبس فيه الإبل ، ولو أريد مكان الطبخ عموما لقيل (مَطْبح) بفتح الميم. وكذا (المربد) ولو أريد مكان حبس الإبل عمومًا لقيل بفتح الميم فهذه أبنية " تقع اسما للتي ذكرنا من هذه الفصول لا لمصدر ولا لموضع العمل... "(سيبويه ٢ : ٢٤٨) .

ومعنى هذه النصوص كلها أن ما ذكره الصرفيون من شذوذ بعض الصيغ ، وخروجها عن القياس - فيه نظر ؛ لأن مثل هذه الصيغ قد انتقل من معنى المصدرية أو الظرفية إلى مسمى آخر مخصوص ، كما تقدم .

ثانيا - علاقة بعض الصيغ الأخرى بالمصدر الميمي :

ونعنى بها :

- ما ورد من المصدر الميمي على طريقة اسم المفعول .
- الأمثلة التي وردت على (مَفْعُل) أو (مَفْعُلة) .
- الأمثلة التي على وزن (مفعال) .

صيغة (مفاعلة) وعلاقتها بالمصدر الميمي .

وسنتناول هذه النقاط بالترتيب ، على الوجه الآتي :

١-تقدم أن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من الأفعال المزيدة تكون بزنة اسم المفعول ، ويقوم السياق بالتفريق بين هذه المعاني نحو قوله تعالى : " وسيعلم الذين ظلموا أي مُنْقَلَب ينقلبون " (مصدر ميمي)

" وقل رب أدخلني مُدْخَل صدق وأخرجني مُخْرَج صدق " (مصدر ميمي)

" واتخِذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى " (اسم مكان)

ومنه قول الشاعر :

لولا بُنيّات كزغب القطا

رُدِدْن من بعض إلى بعض

لكان لي مُضْطَرب واسع

في الأرض ذات الطول والعرض

(اسم مكان)

ومن ذلك قولنا :

انصرف التلاميذ منصرفا منظما (مصدر ميمي)

سأمر عليك منصرف التلاميذ (اسم زمان)

أول النهار مضطرب الناس للسعي والعمل (اسم زمان)

هذه الساحة مضطرب واسع للأطفال (اسم مكان)

وقد يخرج المزيد من هذه المعاني عن بناء اسم المفعول إلى بناء المجرد ، إذا شاع استعماله ، مثل قولهم : مَناخ ومَطال - بفتح الميم - من (أفعل) أي من مزيد الثلاثي ، والقياس ضم الميم.

وفي رواية لقول امرئ القيس :

وأَعْدَدْتُ للحرب وثّابةً

جوادَ المَحَثَّة والمَرْوَدِ

جاء المصدر الميمي (مَرْوَد) بفتح الميم ، وهو من الإرواد ، وقياسه الضم ، ولذا جاء في رواية الأعلم "المُرْوَد " بالضم على القياس .

وأنكر الأصمعي الأمثلة من المصدر الميمي على زنة اسم المفعول ، .. وحاول أن يفسّرها على وجه آخر ، وذلك في المحاورة التي جرت بينه وبين أبي حياتم .والأمثلة التي كانت مدار النقاش هي :" مُسَحَّج ؛ أي

تســحيح ، ومُسَــرَّح ؛ أي تســريح ، ومُمَزَّق ؛ أي تمزيــق (ابــن جنــي ١/٣٦٦ ، ٣/٢٩٤) .

٢- أما ما جاء على وزن " مَفْعُــل أو مَفْعُلة " بضــم العــين ، مــن أمثلــة المصدر الميمي ، نحو : مَكْرُم ومَعُون - فسيبويه يقول : (٤/٩٠): " لــيس في الكلام مَفْعُل " بالضم .

والفــراء يــرى (٢/١٥٢) : " أن "مَكْرُم ومَعُون " جمع مَكْرُمَة ومَعُونَة. ويرى ابن جني أن (مَكْرُم ومَعُــون) قد حذفت منهما التاء؛أي أن أصلهما : مَكْرُمَة ومَعُونَة . (٣/٢١٢) . وبــه قال الفارابي (١/٢٨٧) وابن ســيده (١٤/١٩٤ - ١٩٥) والرضــي(١/ ١٦٩) أبو حيان (١٣٣) .

وإنما لم يُجعل (مَعُون) اسم مفعول (أي مَعْوُون) ؛ لئــلا يلزم فيه كثرة التغيير،من حذف الواو ،ونقل الحركة. بخلاف مــا إذا جُعــل (مَفْعُــل)؛ أي مصدرا ميميا ، فإنه لا يلزم فيــه إلا نقل الحركة من على حــرف العلــة، وهو الواو،إلى الساكن الصحيح قبلها، وهو العين .

وقال بحرق (ص ١١٣) نقلا عــن ابن مالك في التســهيل :" لــم يجــئ (مَفْعُل) ســوى مهلــك إلاّ مَعُــون ومَكْرُم ومَأْلُك ومَيْسُر ؛ أي في قــول الله تعالى : " فنظرة إلى ميسرة (*) " (البقرة : ٢٨٠) .

وقول الشاعر :

" على كثــرة الواشــين أي مَعُــون " بمعنى المعونة ،وقول الآخر :

" ليوم روع أو فعال مَكْرُم " بمعنــى فعل الكرم كالمكرمة ، وقول الآخر :

" أبلغ النعمان عني مَأْلُكا " أي رســالة كالمألكة "ويعزوالفيومي امتناع (مَفْعُل) منه الثلاثي لسبب الثقل ، فــ " لــم

(*) وذكر بحرق (ص ١١٢) نقلا عن ابن مالك في التسهيل أيضا :أن الميسرة " مثلّثة السين ، كالمقدرة ، والمشرقة (لموضع القعود في الشمس عند الشروق) والمقبرة ، والمأربة . وأن الضم شاذ مطلقا ، وكذا كسر المصدر من (قدر) و (أرب) ؛ لأن قياس (قدر) فتح مصدره وكسر ظرفــه ، وقيــاس (أرب) فــتح مصدره وظرفه معا . وكذا كسر الظرف من (شرق) شاذ ؛ إذ قياسه فتح مصدره وظرفه معا. وأما (قبر) ففتح ظرفه قياس ضم مضارعة ، وكسره قياس كسره .

يقولوا مَفْعُل بالضم طلبا للتخفيف"(٣٧٦/٢).

٣- وإلى هذه الأسماء تتوارد صيغة (مفعال) نسبة إلى الأصول التي يكون الصامت الأول فيها واوا، نحو: ميعاد وميقات وميزان وميثاق وميراث.

لقد تحدث اللغويون عن الإعلال في فاء الكلمة هنا ، وصنفوا كلمات مثل (ميزان) في اسم الآلة ، و (ميقات) في اسم الزمان أو المكان المحدّد لوقوع حدث ما ، لكنهم يقفون عند (ميراث) و (ميعاد) فلا نجد لهما ذكرا في المصادر الميمية . قد تذكر بعض المعاجم عن (ميعاد) أنه لا يكون إلا وقتا أو موضعا (الفارابي ٢٢٨/٣ ، الأزهري ١٣٤/٣) .

وبتتبع الأمثلة في الشعر الجاهلي وجدت كلمات مثل ميراث وميعاد لها دلالة مصدرية . يقول زهير بن أبي سلمى يرثي هرم بن سنان :

يَنْمِي إلى ميراث والده
كلّ امرئ لأرومة يَنْمِي

فدلالة (ميراث) في البيت دلالة مصدرية ، وإن كان هذه في سياق الشعر ، ومثلها تأتي (ميراث) في قوله تعالى : " ولله ميراث السموات والأرض " (آل عمران : ١٨٠ ، والحديد : ١٠)

أما (ميعاد) فقد وردت في قول الأعشى :

تَذكَّرُ تَيًّا وأنّى بها
وقد أخلفتْ بعضَ ميعادها

فالمعنى المصدري هنا واضح ؛ لأن المحبوبة لم تتأخر فقط في وقت الميعاد أو تجاهلت مكانه ، ولكنها تجاهلت الوعود التي وعدتها للشاعر. (المنصور : ٢٥٤)

ولا يعني هذا مخالفة أصحاب المعاجم من احتفاظ (الميعاد) بالدلالة على الوقت والموضع ؛ لأن الحكَم في ذلك السياق ، كما في قوله تعالى :" قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون " (سبأ :٣٠)

فميعاد في الآية دلّت على الزمان والموضع معا .

ويبدو أن الإشكال حول " ميراث وميعاد " قد نتج لغموض الفعل الذي يرتبطان به : أهو الثلاثي المجرد ؛ ورث ووعد أم غيره ؟

لقد حاول بعض الباحثين [١] أن يربط هذه الأمثلة بالفعل المزيد(أَفْعَل) ، ووضع تفسيرات مختلفة لصياغة (مفعال) من مثل (أَوْرَث)(وأَوْعَد)، منها : أن المصدر الميمي يصاغ من المزيد على وزن اسم المفعول ، واسم المفعول من(أوعد) : مُوعَد ، تحوّلت (مُوعَد) إلى ميعاد عن طريق مطل الفتحة في عين الكلمة لاتساع المعنى ، واستثقلت الضمة مع الواو ، فحوّلت إلى الكسرة هكذا : مُوعَد ـــ مُوعَاد ـــ مِوْعاد ـــ ميعاد

أو نقول : الفعل (أَوْعَد) مصدره القياسي : إيعاد ، استبدلنا بالسابقة (إ) السابقة (مِ) فنشأ عن الفعل صيغتان للمصدر : إيعاد ، وميعاد ؛ الأولى للمصدر الأصلي ، والثانية للمصدر الميمي . ومع هذا ليس هناك ما يمنع من القول باستعارة بناء اسم الآلة (مِفْعال) لقرب المعنى المادي المحسوس في (ميراث) ، ولما كان اللفظ في (وعد) من باب (ورث) أمكن صياغة (ميعاد) عليها .

ومن أمثلة ذلك في اللغة (ميثاق) فمعناه يتصل بالمحسوس ، كذلك اسم الآلة (ميزان) الذي يمكن أن يخرج في بعض سياقاته إلى المعنى المصدري ، كما في الاستخدام المعاصر : تعمل الدول الكبرى على التعادل في ميزان القوى بين الشرق والغرب .

وهذا شبيه بما قاله(رايت)من أن صيغ التكبير (المبالغة) عبارة عن أسماء آلة مستعملة على سبيل المجاز [٢] .

ويمكن أن يقال أيضا : إن صيغة (مِفْعال) تأتي مصدرا ميميا في بعض السياقات على سبيل المجاز ، ولذلك

(١)ينظر المنصور : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٢) ينظر : فليش : العربية الفصحى ص ١١٥

يرى "هنــري فلــيش" (ص ١١٥) أن المصدر الميمي يعود في صياغته إلى اسمي الزمان والمكان ، وعلـى هـذا الافتراض يفسّر التداخل بين الصـيغ في تلك المعاني ،كما يعدّ مثل ميراث وميثاق فرعا عن صيغ أسماء الزمان والمكان .

٤- وتتصل بأبنية المصـدر الميمـي صيغة (المُفاعَلــة) ، وتثيـر هـذه الصيغة نوعا مـن الغمـوض حـول تصنيفها في دائرة المصادر الميمية ، فقد صرّح علماء القرن الثـامن فـي حديثهم عن الميم التي تلحق المصادر أنها لغير المفاعلة (المرادي ٣/١١ ، وابن هشام: ٤١٠) ولما كان الأصل في المفاعلة المشاركة من فاعـل[*] ، مثل : المناظرة والمجادلة والمحاورة، والمقارعة،والمزابنة والمعاشرة - فإن علاقة المصدر الميمي بهذه الصـيغة غير واضحة .

ما المشكلة إذن ؟ إن من يتتبع كتـب النحو والصـرف يلحـظ أن النحـاة رصدوا للفعل(فاعَلَ) أكثر من مصدر: (فِعال،فيعال،مُفاعَلة) وهذا التعدّد في صيغ مصادر المزيـد يثيـر الحيـرة عندهم ؛ فالذي يألفونه هو التعدّد فـي صيغ مصادر الثلاثي المجرد ، حتـى إنهم ربطوا هذا التعدّد في مصـادره بالتعـدد المعـروف لأبـواب الفعـل الثلاثي. ولما كان الفعل المزيد ثابتـا في صياغته على بناء واحد اقتصرت أبنية مصادر الأفعال المزيـدة علـى البناء الواحد . ورفعهم هذا التصـوّر أمام مشكلة ، هي التعدّد الذي لم يألفوه في مصادر الأفعال المزيدة،مما دعاهم إلى تقديم تفسير لهذا التعدّد ، قائم على فكرة الأصل والفرع .

لقد تتبع النحاة صياغة المصـادر (فِعال وفيعال ومفاعلة) من (فَاعَلَ) ولحظوا أن فعلا نحو (قاتــل) تأتي

(*) يقول سيبويه :" اعلم أنك إذا قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك ،مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته" (الكتاب ٦٨/٤) ويقول ابن يعيش :" المناظرة ، المجادلة ، وهو مفاعلة من النظر ؛ لأن كل واحد ينظر فيما يفلح به على صاحبه " (شرح المفصل ٩/١).

منه المفاعلة والفعال والفيعال ، فيقال: قاتل قتالا قيتالا ومقاتله . وفي فعل نحو : (جَالَس) لا تأتي منه إلا المفاعلة ، فيقال : جالس مجالسة . ومن هنا كانت نظرتهم لصيغة المفاعلة أنها المصدر الذي لا ينكسر أبدا ، كما يقول سيبويه (٨٠/٤) ومعنى : لا ينكسر، أي لا يتأخر عن أيّ فعل من أفعال (فَاعلَ) ، إذ يأتي منفردا مع بعض الأفعال كما مرّ في (جالس) ويأتي مع (فِعال وفيعال) كما مرّ في (قاتل) .

ولحظ النحاة أيضا أن حروف الفعل (فاعَلَ) تثبت في صيغة (فيعال) مضافا إليها الزيادة الخاصة بالمصدر، أمّا (فِعال) فهي الصيغة المخففة من (فيعال) بتقصير الحركة الطويلة ، وقد شاعت هذه الصيغة (فِعال) لخفتها واندثرت الصيغة الأمّ (فيعال) ولم يبق منها إلا بضعة أمثلة . وينقل الفراء أنها [1] في لغة أهل اليمن ، لا يقاس عليها (١٦٦/١) .

أما صيغة (المفاعلة) فقد نص سيبويه على أنها تخالف الأصل ؛ إذ لابد من توفرّ زيادتين في الصيغة : الزيادة التي تكون في الفعل والزيادة الخاصة بالمصدر ، وبما أن المصدر (المفاعلة) لا توجد فيه إلا زيادة واحدة ، وهي الألف ، فقد حاول سبيويه أن يفسرّ الميم في أوّله ، والهاء في آخره،وذلك بقوله (٨٠/٤): " جعلوا الميم عوضا عن الألف التي بعد أول حرف منه ، والهاء عوض من الألف التي قبل آخر حرف " وقد غلّط السيرافي تفسير سيبويه ، منطلقا من أن الألف التي تلي الفاء هي الزيادة في الفعل (فاعل) . ومن ثم أخذ على سيبويه أنه يعوّض بالميم عن محذوف لم يحذف [2] .

وأغلب الظن أن سيبويه يقصد أن(الميم) في المفاعلة عوض من الألف المنقلبة ياء في المصدر الأصل

(١) الفارابي : ديوان الأدب ٣٩٣/٢ .

(٢) ينظر : سيبويه ٨٠/٤ هامش (١) .

(فيعال) ثم حذفت تخفيفا في الصيغة الجديد (فِعال) . وهذا ما يفهم من قول ابن يعيش (٤٨/٦) : " يعني أن في (فِعال) قد حذفت الألف التي كانت بعد الفاء ، وفي مفاعلة حذفت الألف التي قبل الآخر ، فعوض منها " وإن كان ابن يعيش قد وزّع الحذف على الصيغتين : فيعال وفِعال،وهما - لا شك - وجهان لشيء واحد .

ولما كانت (المفاعلة)مخالفة للأصل، فقد " جاءت كما يجئ المَفْعَل مصدرا والمَفْعَلة " (سيبويه ٨٠/٤) ، ويوضح هذا ابن يعيش ، فيقول (٤٨/٦) : " وفي الجملة : المقاتلة والمخالفة هنا ، كالمضرب والمقتل في مصدر ضرب وقتل ، جاءا على غير قياس أفعالهما "

وقد علّق محقق ديوان الأدب [١] على كلام ابن يعيش بقوله : " ويبدو أنه احتار أمام هذه التاء ، في حين أن الحل أمامه ، ذلك أنه ربط المفاعلة بالمصادر الميمية كالمضرب والمقتل[٢] وإشارة سيبويه كانت عن مماثلة المفاعلة للمصدر (مفعل ومفعلة) . وعلى هذا يكون الغموض قد زايل صيغة (المفاعلة) فهي تصاغ من الفعل (فاعل) على بناء اسم المفعول (مفاعل) ثم تضاف التاء . وهذا يطرد في أبنية المصدر الميمي :مَفْعَلَة (مَفْعَل + التاء) ومَفْعِلة (مَفْعِل + التاء) .. "

ثالثا–القيم التعبيرية للمصدر الميمي، وما يفترق فيه عن المصادر الأخرى:

ا- يرى النحاة أن المصدر الميمي لا يختلف من حيث المعنى عن المصادر الأخرى (سيبويه ٨٠/٤) . والمتتبّع للنصوص التي يرد فيها المصدر الميمي يلحظ أن هذا المصدر لا يطابق المصدر الآخر في المعنى تماما، ذلك أن المصدر غير الميمي حدث غير متلبس بشيء آخر ، أما المصدر الميمي فإنه حدث متلبس

(١) ينظر : الفارابي ٣٩٣/٢ هامش ٣ .

(٢) أي : ولم يربطها بالمفعلة أيضا كما ذكر سيبويه .

بذات في الغالب.. وعلى سبيل المثال:
- قوله تعالى:" إليّ المصير" (الحج: ٤٨) لا يطابق :إليّ الصيرورة؛ لأن المصير يحمل معه عنصرا ماديا، هو عنصر الذات .
- كذلك كلمة " المُنْقَلَب " في قوله تعالى " وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون " (الشعراء : ٢٢٧) لا تطابق المصدر (انقلاب) في المعنى، فالانقلاب حدث مجرد ، والمنقلب يحمل معه ذاتا .
- و " المساق " في قوله تعالى :" إلى ربك يومئذ المساق " (القيامة :٣٠) يختلف عن (السَّوْق) في قولنا:(إليه السَّوْق) .
- وكذلك : الحياة والمحيا ، والموت والممات والنوم والمنام ..
٢- هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن المصدر الميمي يختلف التعبير به عن التعبير بالمصدر غير الميمي ، - تقول : صيدورة الخشب رماد ؛ أي نهاية أمره ، ولا تقول : صيرورة الخشب رماد ، للمعنى نفسه .

وتقول : صيرورة الذهب خاتما أمر سهل ، ولا تقول : مصير الذهب خاتما أمر سهل .
وتقول : يعجبني صيرورتك رجلا ، ولا تقول : يعجبني مصيرك رجلا .
لأن المصير نهاية الأمر ، بخلاف الصيرورة .
-ومثله :" المُنْقَلَب " و (الانقلاب) فإن المنقلب يعني خاتمة الأمر وعاقبته؛ أما الانقلاب فإنه يعني التغيّر المعاكس ، قال تعالى :" لأجدنّ خيرا منها مُنْقَلبا " (الكهف : ٣٧) أي : عاقبة ومصيرا ، ولا يحسن وضع (الانقلاب) موضع "المُنْقَلَب " في الآية الكريمة .
- وكذلك النهاية والمنتهى ، تقول : هذه نهايتك وهذا منتهاك فنهايتك تعني: فناءك ، بخلاف منتهاك فإنها تعني مصيرك ؛ أي نهاية ما بلغت إليه ، قال تعالى :" وأنّ إلى ربك المنتهى " (النجم :٤٣)
- وقد أحس الراغب الأصفهاني(ص ٧٦) بمغايرة المصدر الميمي

للمصدر غير الميمي ، ففـزّق بـين التوبة والمتاب،وذكر أن معنى المتاب يعني التوبة التامة،وهو الجمـع بـين ترك القبيح وتحرى الجميـل ، قـال تعالى :" عليه توكلت وإليـه متـاب " (الرعد : ٣٠) فكأنه أراد الغاية في التوبة أو منتهاها .

٣- ثم من الملاحـظ أن العـرب لا تتوسع في استعمال المصادر الميميـة ما تتوسعه فـي اسـتخدام المصـادر الأخرى ، فإنها - أي العرب - لا توقع المصدر الميمي حالا في الغالب، فهي تقول:(أَقْبَـلَ زَحْفـا) ، ولا تقـول : (مَزْحَفا)،و(جاء سَعْيا) ولا تقـول: جاء مَسْعًى وتقول : (جاء طَوْعـا) ولا تقول : (جاء مَطاعًا) ...

كذلك يبدو هذا الأمر في المفعول له ؛ فإن الكثير فيه ألا يكون ميميا تقول : (فعلت هذا رأفة بـك) ولا تقـول : (مَرْأَفا بك) ، وتقول : (قتله خشـية الوشاية عليه) ، ولا تقول : (مَخْشَى الوشاية) . (السامرائي ٣٤ - ٣٧).

فدّل هذا على أن المصـدر الميمي لا يطابق المصادر الأخرى ، وأن دلالته التعبيريـة فيهـا معنـى المصـدرية وزيادة، ويظهر هذا واضحا من خلال السياق ، ولذلك نرى القرآن الكـريم يستخدم هذا المصدر كثيرا في سـياق الحديث عن أهل الجنة وأهل النـار ، وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، وأهل المغفرة ..

وإلى جانب ذلك : كثيرا مـا يـراوح القرآن بين المصـادر فـي الموقـف الواحد ، فيستخدم المصدر الأصـلي والمصدر الميمي، كما في قوله تعالى: وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " (البلد : ١٧)

" قل إن صلاتي ونسـكي ومحيـاي ومماتي لله ربّ العـالمين "(الأنعـام: ١٦٢)

" ولئن قُتِلْتم فـي سـبيل الله أو مُـتّم لمغفرة من الله ورحمـة خيـر ممـا يجمعون " (آل عمران : ١٥٧)

" ومن آياته منامكم بالليـل والنهـار وابتغاؤكم من فضله " (الروم: ٢٣)

"وجعل بينكم مودّة ورحمة"(الروم: ٢١)

وهذا التنويع في الصيغ ، والتـــداخل بين المبــاني ، واختيــار الكلمــات ، حسب ما يقتضيه الموقف اللغوي - من صميم علم الأسـلوب أو البلاغـة بمفهومها الحديث .

أ.د مصطفى النحاس

المراجـــع

١–بحرق : محمد بن عمـــر (٨٦٩ ـ ٩٣٠ هـــ) فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال لابـــن مالـــك – مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ .

٢–ابن جني:أبو الفتح عثمان (.. ـت ٣٩٢ هـــ) الخصائص (تحقيق محمد علـــى النجـــار) طبعـــة دار الكتـــب المصرية ١٩٥٢ .

٣– أبو حيان : أثير الدين محمد بـــن يوسف (.. ـ ت ٧٥٤ هـــ) ارتشاف الضرب (تحقيق مصطفى النمـــاس) رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر (بدون تاريخ)

٤–الرضـــي : محمـــد بـــن الحســـن الاستراباذي (.. ـ ٦٨٦ هـــ) شرح شافية ابن الحاجـــب (تحقيـــق محمد نـــور الحســـن وآخـــرين) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٥م .

٥–السامرائي:فاضل صالح (دكتور) معاني الأبنية في العربيـــة ـ المكتبـــة الوطنية ، بغداد ١٩٨١م .

٦–سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (.. ـ ١٨٠ هـــ) كتاب سيبويه ـ مكتبة المثنى (طبـــع بالأوفست) بغداد .

٧–ابن سيده : أبو الحسن علـــى بـــن إسماعيل (.. ـ ٤٥٨ هـــ) المخصص ـ المكتب التجاري للطباعة ، بيروت (بدون تاريخ)

٨–السيوطي : جـــلال الـــدين عبـــد الرحمن (.. ـ ٩١١ هـــ) المزهر في علـــوم اللغـــة وأنواعهـــا (شرح وضبط وتصحيح محمد أبـــو الفضل وآخرين) دار إحيـــاء الكتـــب العربية ، الحبلى وشركاه ، القـــاهرة (بدون تاريخ) .

٩–الفارابي : أبو إبراهيم إسحق ابـــن إبراهيم (.. ـ ٣٥٠ هـــ) ديوان الأدب (تحقيق دكتـــور أحمـــد مختار عمر) مجمع اللغـــة العربيـــة القاهرة ١٩٧٤م .

١٠–الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد (.. ت ٢٠٧ هـــ) معاني القرآن (تحقيق محمـــد علـــى النجار) الدار المصرية للتأليف

والترجمة .
١١–فليش : هنري اليسوعى:
العربية الفصحى (ترجمة دكتور عبد الصبور شاهين) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦م .
١٢–الفيومي :أحمد بن محمد المقرى (.. - ٧٧٠ هـ) المصباح المنير (تصحيح مصطفى السقا) مطبعة مصطفى البابي الحبلى بمصر (بدون تاريخ) ابن القطاع (أبو القاسم علي بن جعفر ٤٣٣ - ٥١٥ هـ) كتاب الأفعال - حيدر آباد ١٣٦٠ هـ
١٣–المبرد:أبو العباس محمد بن يزيد (.. - ٢٨٥ هـ) المقتضب (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٥م .
١٤–المرادي : ابن أم قاسم (.. - ٧٤٩ هـ) شرح الألفية (تحقيق عبد الرحمن علي سليمان) مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٧م .
١٥–المنصور : وسمية : أبنية المصدر في الشعر الجاهلي - طبع ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٤م .
١٦–ابن هشام : أبو محمد عبد الله جمال الدين (.. - ٧٦١ هـ) شذور الذهب (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٣م .

النَّحوُ حِصْنُ الْعَربيَّةِ

للأستاذ الدكتور كامل جميل ولويك

***القسم الأول**

النحو من حقائق الفصحى

لقد ترك السابقون للاحقين شيئاً أو أشياء، وليس صحيحاً ما يتردد على الألسنة أحياناً: ما ترك السابق للاحق شيئاً .

ورد فى كتاب " الأشباه والنظائر" للسيوطى أن النحو علم نضج ولم يحترق، ولكنى لا أدرى أين ذلك العلم الذى نضج واحترق، فإنّ التجديد فى العلم قائم ما قام فى الإنسان فكر متجدد، وقائم ما استمر بحث ونظر، وقد وضع سبحانه وتعالى فى الإنسان عقلاً يبنى ويجدد البناء ما دامت الحياة؛ والمهم فى الأمر أن يقدم المؤلف أو الكاتب ما ينفعُ جيله والأجيال القادمة، فيكون أخفش زمانه فى متداركه؛ والخليل فى عينه، وأبا عمرو بن العلاء فى وقفه وابتدائه.

ضع أمامك الآن صورة النحو المقنن والمقعد ثم انظر للنحو فى القرن الأول الهجرى، فإنك لا ترى شيئا يصلح أن يسمى قاعدة، كانت السليقة فى القمة ولكن ترجمة السليقة إلى علم ومعرفة محددة لم تكن قائمة. وانظر فى صورة النحو فى أواخر عهد المماليك الجراكسة المكرمين، فإنك واجد صوراً هائلة من الأحكام والقواعد والضوابط، إن هذا النمو فى الاتجاه النحوى لا يماثله نمو فى أى لغةِ من لغات العالم، وهذا شىء يعتز به علماء هذه الأمة ومثقفوها .

وأكاد أرى علماءنا فى القرنين السادس والسابع الهجريين قد شُغلوا بتلك الدواهى العظام التى أصابت الأمة الإسلامية فى الهجمتين الصليبية والتتارية، وهالهم الأمر فصرفهم عن البحث والدراسة العميقة ردحاً من الزمن وأصبح الجهاد همهم وشغلهم الشاغل، وكان المنطق يقتضى أن يكون ذلك، لأن كيان الدولة كله قد

انهار، ولا يرون أمامهم الإ سيوفاً مصلتة على رقاب المسلمين، فحلّ السؤال عن حال أمراء المسلمين والمسلمين ومدن المسلمين وقراهم وأشخاصهم محل البحث والدراسة؛ وانجلى انتصار المسلمين فى عهد الأيوبيين والمماليك المكرمين عن ارتفاع سيوفهم ثم سيوف العثمانيين وليس عن علوم قوية فى اللغة والنحو والبلاغة، إنهم أمة إسلامية مقاتلة، ولكن نمو العربية فيها بطيء جداً؛ قوة عسكرية هائلة وحب لله وشريعة الله، ولكن حصونهم الثقافية لغةً ونحواً وفقهاً وشريعة وبحثاً ودرساً لم تكن على مستوى القوة
العسكرية .

نتج عن القرنين حركة جمع لقواعد النحو السابقة ثم بُعدٌ عنها وتجاوز لأهدافها بالتشعب والتفريع حيناً، وبالجدل العقلى والتصورات الذهنية حيناً آخر، ونتج عنه أشياء كثيرة منها المنظومات النحوية، وكان أبرزها (الفية ابن مالك) وشغل العلماء بشرحها وضرب الأمثلة على قواعدها، وسيطرت ومازالت تسيطر على كتب النحو، ووضع السيوطى ألفية شاملة تستدرك ما فات ابن مالك، ولكن الفلاَح لم يحالفها كما حالف (ألفية ابن مالك) ؛ وتبع ذلك الحواشى وهى عقد نحوية مستحكمة فى الإعراب والتصورات الذهنية والمماحكات الإعرابية؛ وربما يحزن دارس النحو أن يقرأ فى إعراب جملة واحدة كتابا صغيرا سمى باسم الجملة المشهورة " ضربى زيدا قائما" ؛ أو حتى أو إذن أو ما كان على وزن فُعلى، أو غير ذلك.

انقطعت الصلة أو كادت تنقطع بين المنهج الأول الذى قام عليه النحو نظرية وتطبيقا، والمنهج السائد فى القرنين السادس والسابع الهجريين وما بعدهما، وجاء دعاةُ الإصلاح فى القرن الرابع عشر الهجرى الذى كتب الله تعالى لنا فيه العيش والأجل المسمى، جاءوا بمؤلفات عديدة وكان الهدف منها تيسير النحو، وأظن أن

إطلاق دعاة التيسير عليهم أدق من دعاة الإصلاح، فطبعوا ونشروا ودرست كتبهم في المدارس من الصف الأول الابتدائي إلى آخر صف من صفوف الثانوية كما درست بعض الشيء فى الجامعات، ولكن المتخصصين حافظوا على التزامات القرنين السادس والقرن السابع الهجريين، فصورة النحو من أقدم العصور حتى الآن كما يلى:

المنهج التأسيسي فى عهد الخليل وسيبويه، وتطور هذا المنهج إلى أن بلغ الذروة على يد ابن مالك فى القرنين السادس والسابع الهجريين، وشروحات ألفية ابن مالك المستفيضة، ثم الحواشي التي امتدّت حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ثم محاولات التيسير فى القرن الرابع الهجرى، ليفهم الناس القواعد النحوية الأصولية من دون تشعيب أو تفريع.

ولقد جعلت هذه التيسيرات منه علمًا عادياً يستطيع الدارس أن يفهمه ويستمتع به إلى حد ما ؛ أزالتْ عنه أغْشية الحواشي والتشعيبات والتفريعات والمماحكات؛ ولكن هذا لا يكفي، وسوف يصيبنا التجمد إن رضينا بهذا الحال، إذن ليس لنا من الاستمرار بُد.

فالخطوة التالية هي: ربط القواعد النحوية الميسرة بالمعاني، والمحافظة على هذه القواعد بعيدة عن التصورات والمماحكات والتشعيبات. وسأذكر هنا نماذج موجزة ثم يأتى التفصيل فيما بعد، وهذه الخطوة إن كُتب لها التوفيق ستجعل النحو مادة معنوية مؤثرة، ستجعل للنحو قيمة كقيمة اللفظ، فالمعنى لا يتضح إلا بفهم اللفظ ثم فهم التركيب، وعند التقائهما لفظاً وتركيباً نصل للمعاني الدقيقة؛ وهذا الارتباط سيكون له أعظم الأثر في تجديد صورة النحو ودفعها للأمام ليصبح النحو مادة تؤثر في الفكر والمعاني، وتوضح للقارئ والسامع أن هذه الحركات لها عملها في الجمل؛ إنها ليست حركات شكلية ناتجة عن قواعد صماء ، بل نظام فكري لغوي

معنوي متكامل.

اتلُ قول الله تعالى:﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾، وحافظ على حركة (العلماء) بالضمة، لا يجوز لك أن تغير أو تبدل فيها لأن المعنى مرتبط أشد الارتباط بهذه الضمة.

اتْلُ قوله تعالى: ﴿ووصى بها ابراهيمُ بنيه ويعقوبُ ﴾، وحافظ على الضمة في كلمة(يعقوب) فإن الإخلال بها يغير المعاني، إن وضعت فتحة على كلمة يعقوب فسوف يتغير المعنى، وإن وضعت كسرة فقد خرجت عن ضوابط القواعد النحوية من دون مسوّغ أو عله.

اتلُ قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ﴾ ،حافظ على الفتحة إن أردت واتقوا الأرحام، أي اتقوا قطع الأرحام، ولكنك هنا تجد عدة قراءات، من القراء من يقرؤها بالكسرة(والأرحامِ)ومنهم من يقرؤها بالفتحة (والأرحامَ) ، ومنهم من يقرؤها بالضمة ولكل منها معناه.

اتْلُ قوله تعالى:﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكُم إلى الكعبيْن ﴾
هل نستطيع أن نقرأ كلمة (وأرجلكم) بالنصب والكسر؟ نعم نستطيع ذلك، ويدخل العقل في بلورة المعنى الذي بُني على تغيير الحركة، وقد تداول القراء الحركتين، وهم يعلمون أثر ذلك في الوضوء غسلاً أو مسحاً، وإذا لم تتدخل السنةُ في حسم الموقف فلنا حق الخيار كمؤمنين نفكر ونجتهد وتدخل اللغة في فكرنا واجتهادنا .

نحن الآن فى حاجة ماسة لتجديد النحو، نحن الأقدر فى عصرنا على التجديد والتطوير فقد اتضحت لنا رحلة النحو من البادية حيث جمعوا أساليب ينطق بها أهل البادية بالسليقة وشهدنا وضع المصطلحات فى أول دَرْجها ثم فى عصور تطورها ، وشهدنا تأليف الكتب النحوية، بدأت بكتاب سيبويه وهو كتاب شامل لأكثر القواعد النحوية، وانتهت بكتب تيسير

النحو التى راجت سوقها فى البلاد العربية لتعليم الناشئة وتسهيل القواعد على الدارسين، وما بين هذه وتلك مررنا على معالم للنحو تعرفنا برحلته منذ البداية حتى هذا العصر.

كيف يكون التجديد؟

إنّ الإجابة عن السؤال التالى توضح لنا طريق التجديد، والسؤال هو : لماذا وضع علماء العربية علم النحو؟ ولماذا أصروا على مواصلة المسيرة فيه؟

أما الجواب فهو: وضعوه استجابة لداعيين: أولهما:لضبط اللفظ كما ضبطه أهل السليقة، حرفاً بحرف، وهو الضبط البنائي وهي مبادرة لحفظ لغتهم من الخلل الذي طرأ عند اعتناق الشعوب الإسلام ولم يكن لهم معرفة بقواعد اللغة وضوابطها، فضموا وفتحوا وكسروا على ما اتفق لهم لفظه، وكيفما وقع معهم، فتألم رجال مفكرون من الأمة لأنهم رأوها لغة عظيمة جميلة نافعة مؤثرة ورأوها يعتورها الخلل، فأرادوا حفظ كيانها، وهذا الضبط في اللفظة الواحدة ذو اتجاهين، حركات فوق الحروف أو تحتها لمعرفة الكلمة المفردة، فكلمة مثل (سَمِعَ) تختلف عن (سَمْع) وتختلف عن (سُمِع)وثانيهما: لضبط الحركة الإعرابية لأن الكلمة المركبة تختلف فيها حركة الحرف الأخير فى الأسماء والأفعال المعربة باختلاف موضعها في الجملة، فكلمة (الطائرة) تختلف حركتها باختلاف موضعها مثل: ارتفعت الطائرةُ، شاهدتُ الطائرةَ، نزل الركابُ من الطائرةِ؛ وهذا هو الضبط الإعرابي، وكل من الضبطين له وظيفته.

وكلا النوعين من الحركات يؤثر في المعاني، وقد اشتهرت قراءة الآية الكريمة ﴿إنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُه﴾ شهرةً هائلة، قالوا إن تلاوة كلمة(ورسوله) بالكسر تخرج الآية عن معانيها المقصودة إلى معانٍ مضادةٍ، والعياذُ بالله؛ والأمر لا يتوقف على آية أو آيتيْن، بل يتعدى ذلك إلى الاستعمالات الكثيرة جداً في كل

عبارة.

الحركات الإعرابية:

لكِل لغةٍ من لغات العالم قواعد تنتظمها، ولها ضوابط معينة يلتزم بها أهل تلك اللغة، ولم تكن اللغة العربية بدعاً من اللغات، فلها قواعدها وضوابطها، وقد امتازتْ هذه القواعد والضوابط بدقتها البالغة، فكانّ لكل كلمة أو حرف في هذه اللغة قواعد خاصة بها أو به، وليس هذا للمبالغة أو للزهو، وإنما النظرة الموضوعية الخالصة تبينّ ذلك، وسأضرب مثالين مما يتيسر لي وللقارئ للنظر فيهما، ولتكن الكلمة(جلس)، وليكن الحرف الفاء، ولا تظن أن الأمر محصور بجلس أو بالفاء، فأنت في خيرةٍ من البحث، خُذْ أي فعل أو أي حرف.

كلمة جلس: هي فعل ماضٍ لأنها تدل على حَدَثٍ في زمن ماضٍ، وكلمة جلس فعل لازم لأن هذا الفعل لا يأخذ مفعولاً به، وإنما يكتفي بفاعله؛ ونأخذ من كلمة جلس عدة أسماء نسميها المشتقات: كاسم الفاعل جالس، واسم المفعول مجلوس، والصفة المشبهة جليس، وصيغة المبالغة جَلاس، واسم المكان والزمان مَجْلسِ، واسم الهيئة والمرة جَلسة أو جِلسه، كما يتحول الفعل الماضي (جلس) إلى مضارع وأمر، ويتحول إلى متعدٍ ...... الخ.

ولا أريد أن أشقَّ على القارئ بكلمة(جلس) فإن قواعدها وضوابطها عديدة، ولكنها جزء من هذه اللغة ، واللغة العربية تشتهر بقواعدها وضوابطها.

وكلمة(ف) أي الحرف الفاء له قواعده وضوابطه، فالفاء يأتى للعطف مثل: نزل المطر فابتلت الأرض، مات صاحبنا فقُبر، وهو عطف يفيد التعقيب المباشر، ويأتى الفاء ليفيد السبب مثل: لا تكثر من لوم صديقك فتندم وتفيد الاستئناف أي البدء بكلام جديد مثل قوله تعالى: "فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام"، والفاء في جواب الشرط كقوله تعالى:

﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسنَ منهـا أو ردوها﴾ ويستطيع القارئ أن يميز بين الفاءات الثلاث الواردة ﴿فمن تمتع بالعمرة... أيام﴾ فلكل منها موضعه .

وأما الحركات الإعرابية فهي جزءٌ من هذه المنظومة الرائعة في ضوابط اللغة ، وقد تسلم راية النحو طائفة من العلماء عن طائفة من العلماء بحثاً ودراسةً وتنقيباً ، كما تسلمها مدينة عن مدينة، وجيل عن جيل حتى صار النحو علمًا قوياً راسخاً تجد فيه لكل حالة من حركات الكلمة الإعرابية ضمن التركيب ضابطاً يضبطها، وقاعدةً محددةً تنتظمها .

ليس المطلوب من كل عربي أو مسلم أو دارس للغة العرب أنْ يحيط بقواعد العربية كلها،وإنما يأخذ كل منهم من هذا الأمر بقدر، وليس المطلوب أن نحيط بقواعد (المقتضب) للمبرد، ولا (بألفية ابن مالك)ولا (بالمفصل) للزمخشري ولا (بالأشباه والنظائر) للسيوطي وغيرها، ولكنا نعالج ما نحتاج إليه في لغتنا باليسر والسهولة لفهم المعاني التي نبحث عنها، فنستعين بهذه القواعد النحوية التي نحتاجها في بعض الأحيان، ولكن المطلوب إدراك شيء جوهري: إن العلماء وضعوا علمّا شاملاً متعمقاً للغة العرب، فلا تسأل عَن ظاهرة لغوية، أو كلمةٍ أو حرف أو تركيب إلا وجدت له نظاماً خاصاً يسلكه؛ لقد حافظ هذا العلم على الصورة الحية للغة في وقت عنفوانها .

لم يجد الذين نادوا بالتسكين بدل الحركة الإعرابية حجة قوية منطقية تسندهم، كما لم يجد العامية حجة تظهر سلامة مذهبهم، وسواء أصدقت النية أم لم تصدق فإن التدليل والبرهنة على كلا المذهبين كان ضعيفاً جداً؛ لقد ظلت اللغة بحركاتها الإعرابية المعروفة الآن معرفة تامة هي الأصل والجوهر وتراث الأمة وسمة من سماتها الخالدة .

نقض الحركة الإعرابية :

نعني بالحركات الإعرابية تلك

الحركات التي تكون على أواخر الكلمات، فالجملة: اللهُ غنيٌّ عَنْ عباده، تشتمل على حركات إعرابية، فلفظ الجلالة عليه الضمة ، وكلمة(غنيٌّ) عليها تنوين الضمة، وكلمة(عبادِهِ) على الدال منها الكسرة، لكنَّ كلمتي عَنْ، والهاء في عبادِهِ عليهما سكون وكسرة، وقد اصطُلِح على تسمية السكون بعلامة بناء، وعلى حركة الضمير أي الكسرة على الهاء بحركة بناء، ولكن النحويين اعتادوا اتباع حركات البناء في الجمل المعربة لحركات الإعراب .

فالإعراب شيء متغير، فكلمة (اللهُ) في الجملة السابقة مبتدأ مرفوع بالضمة، ولكن إذا قلتَ : إنَّ اللهَ غفورٌ، أصبحت حركة لفظ الجلالة علامة نصب، لقد تغيرت الحركة بتغير العامل، وهذا النوع من الحركات المتغيرة هو ما يسمى بالحركات الإعرابية .

لا يُدخل النحويون الحركات في كلمة (سُمِعَ) في الحركات الإعرابية، وإنما هي حركات بنائية، وهي أقرب إلى الصرف منها إلى علم النحو، لقد حُصِرت الحركات الإعرابية بأواخر الكلمات فقط، على أن تكون قابلةً للتغير بتغير العوامل؛ ولكنّ النحاة يذكرون كلتا الحركتين في إعرابهم الجمل، يقولون: نامَ الطفلُ، نام فعل ماضٍ مبني على الفتح، الطفلُ فاعل مرفوع بالضمة؛ أي حركة الميم للبناء وحركة اللام للإعراب .

وما معنى كلمة (أعرب) ؟

لا أريد الخوض في معانيها المتعددة، ولكني أرى أن المعنى الأبرز الذي تلتقي عنده كافة المعاني هو (أبان)، أي كشف وأظهر وهذا يعني أن العرب عندما سموها حركات إعرابية قصدوا إلى أنها تكشف المعاني، وتقرب المعاني إلى الأذهان، فكأن المعاني مغلقة وتقوم الحركات الإعرابية بفتق الإغلاق، وإزالة الحجب، وإبانة المعاني.

ما الذي يدعو بعض الناس في العصر الحاضر إلى إطلاق لغة

سيبويه على النحو العربي، إذ تسمعهم يقولون عن شخص يهتم بلغته ونحوه، جاء سيبويه وذهب سيبويه! كأنهم يهزءون من الرجل الذي ألف أول كتاب علمي في التاريخ في موضوع النحو والإعراب، ربما لم يعرفوا أنّ سيبويه رجل مؤمن فارسي، وكان حريصاً على فهم لغته وقرآنه كما يحرصون هم على الحياة، وربما لم يعرفوا أنَّ غلطةُ واحدة في مجتمع علمي، أو مجلس شريعة بفهم اللغة هو الذي حركه ليضع علمّا يحفظ به لسانه من الزلل، ويحفظ ملايين الألسنة غيره، تقول كتب تاريخ النحو المختلفة: إن سيبويه كان يستملي الحديث على حماد بن سلمة بن دينار البصري، وبينما هو يستملي قول النبيّ ﷺ " ليس من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، ظناّ منه أنّ ليس هنا ناسخة، ولم يدرك أنها أداة استثناء، فقال حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، ليس أبا الدرداء، فقال سبويه: لاجِرم، لأطلبَنّ علمّا لا تلحنني فيه أبداً، وطلب النحو، وأخذ عن الخليل بن أحمد وعن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر وغيرهم وبرع في النحو وصنف كتابه الذي لم يسبقه إليه أحد مثله ولا لحقه أحد من بعده في نفس مستواه وسلامة اتجاهه.

هذه لغة سيبويه، إنها علم النحو والإعراب، إنها ثقافة بكر في عالم اللغة، إنها ضوابط اللغة كما سمعت عن العرب، وتقنين لهذه الضوابط في قواعد عامة ومصطلحات، إنها تمسك بالأمثلة، وفروق في المعاني بين جملة وجملة إذا اختلف حركات الإعراب؛ أو قل إذا اختلفت الحركات أينما وقعت مع ميل وتركيز على حركات الإعراب.

إذن ما الداعي لنقض الحركات الإعرابية إذا كانت جزءاً من هذه اللغة الشريفة بشرف كتاب الله؟ لقد اختارها سبحانه وعاءً لكتابه الكريم الدائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد

كانت الحركات وما تزال مكوناً أساسياً من مكونات اللغة في القرآن وغير القرآن .

النقض المعارضة :

ما السبب، وما علة السعي للنقض؟ لماذا نامت العقلاء عن نقض أي ظاهرةٍ لغويةٍ في التاريخ لأي لغة من لغات شعوب الأرض إلا عن لغة العرب لغة كتاب الله؟ لماذا نرى سهاماً كثيرة من صوب١ هذا وصوب ذلك تسدد لتطعن لغةً شريفة محافظة أحبها أهلها وكرموا فصحاءها ونصبوا أسواقاً لشعرائها؟ ما السر؟ ليس لنا من البحث بُدّ !

شرفها وعظمتها سبب النقمة عليها:

يبدو أنَّ شرفها وعظمتها وتأثيرها كانت هي الأسباب لقيام المعركة ضدها، وأظن أن لغتنا لو كانت ميتةَ أو كالميتة لما تألبت عليها القوى، فإن الميت يدفن، ولكنّ الحيّ القوي ذا الخطر والشأن هو الذي يحسب له حساب ويُقاوم، وسأذكر الآن حلقات متسلسلة من معاداة اللغة وطعنها، ستذكر بإيجاز لأن الغرض من الدراسة لا يقتضي التفصيل والاتساع .

أولاً– دعاة القضاء على الفصحى:

تولى أهمَ شؤون مصر بعد احتلال بريطانيا رجال أجانب ذوو شأن وكانت السلطات تسمع لهم، وتحث الشعب على التجاوب معهم، وقد كان جهد هؤلاء الرجال مركزاً على القضاء على الفصحى، فهي ركن من أركان الترابط في الأمة ووعاء كتابها العظيم، ولذلك ألف القاضي الإنكليزي ولمور أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية بمصر كتاباً سماه (لغة القاهرة) واقترح أن تكون لغة العلم والأدب، كان ذلك عام ١٩٠٢، واستمر في معاداته وطعونه إلى أن مات عام ١٩٣٢.

ودعا مهندس الري الانجليزي وليم ولكوكس عام ١٩٦٢إلى هجر اللغة العربية، وظل يدعو لذلك إلى أن مات، ومن أقواله: "طريقة الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن

ينمو بها أدب حقيقي ويتطور، طريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء المعقدة".

وجرى في الطريق ذاته أي الدعوة لهجر العربية وإحلال العامية عدة نشطاء منهم : لندبرج الذي اشترك في مؤتمر اللغويين المنعقد في ليدن عام ١٨٨٣ وانبرى يدعو لاحلال العامية محل الفصحى، وكارل فورس أمين عام المكتبة الخديوية بالقاهرة الذي ألف كتاب (قواعد اللغة العامية في مصر) ، وغير هؤلاء عدد كبير.

وتأثرت أقلام عربية وعقول عربية بدعوة أولئك لأنّ للاستعمار صولةً وأدوات وأساليب، قال سلامة موسى في مجلة الهلال عام ١٩٧٢: "التأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثاً إذ هو يرجع إلى قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها ، وقد اقترح أن يُلغى الإعراب فتسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك" لقد كان لفعل الأتراك لغوياً أثر سلبي شديد على العرب وتبنت مجلة مجمع اللغة العربية سلسلة من المقالات كتبها عضو المجمع عيسى اسكندر المعلوف تدعو إلى إحلال العامية محل الفصحى .

وقام أحمد لطفي السيد بجهد في سبيل إعلاء راية العامية، واقترح أسلوباً لكتابة الكلمات العربية كما في الإنجليزية فمثل كلمة محمد تكتب (موحامْماد) ، واذا نونت الدال تصبح [موحامْمادون] كما اقترح الأب انستاس الكرملي إصلاحاً مماثلاً لفكرة أحمد لطفي السيد ؛ كانت هذه الفئة متصلة بأرباب السياسة ، وليس طريقهم بعيداً عن طريق الساسة في فصل مصر نهائياً عن العالم العربي الإسلامي، وقطع علاقتها بلغة القرآن الكريم، وقد عبر عبد العزيز فهمي أحد أعضاء المجمع وأحد السياسيين البارزين في عصره عبر عن محاولة

فصم عرا الارتباط بين مصر وأمتها بأن اقترح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وألقى خطابين في المجمع ١٩٤٤، وترحّم على مصطفى كمال الذي أبدل الحروف اللاتينية بالعربية؛ إنه لم يبتعد عن طريق المستشرق كامغماير الذي قال صراحةَ : " إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالعربية".

ثانياً-:وقفة مجيدة في مناصرة الفصحى :

كافح كتاب في مصر وغير مصر من بلاد العرب من المثقفين النشطاء دعوات التغريب، وأجادوا في وقف الهجمة الشرسة في العشرينيات والثلاثينيات، ووضعوا دعاة التغريب في مأزق الرد، فالشعراء :منهم حافظ إبراهيم، وشوقي وعبد المطلب. والكتاب: منهم خليل اليازجي ومحمود مسعود، وطاهر الطناجي وغيرهم كثير لم يضعوا أسلحتهم؛ لأن حمل الأسلحة ظل ضرورياً ؛ وكان سلاح اللغة والأدب أمضى الأسلحة.

ثالثا- في عصرنا الحاضر:

وفي عصرنا الحاضر أي النصف الثاني من القرن العشرين انجرفت طوائف كبيرة من الأمة لتدرس في الخارج، إذ لم تتهيأ لها الفرص الكافية للدراسة في أوطانها،

ورجعت هذه الطوائف معجبة بالأسلوب الغربي حياةً وتوجيهات، وإن تسمع لهم تدرك أنهم لا يرضون عن شيء تقريباً لا في الحالة السياسية ولا في الاقتصادية، وأصاب الامتعاض لغتنا ولكن ثبت أن تأثرهم سطحي، فإنك أن وقفت بحسم تعطي وتبين جدارة هذه اللغة بالحياة اعترفوا بالحقيقة، واعترفوا أنهم لا يحيطون بأسرار اللغة وجمالها لا في النحو ولا في غير النحو .

الصحف والمجلات :

وأكثر ما يتبرم بالفصحى ولا سيما النحو منها هم كُتاب الصحف والمجلات، يظنون أن الفصحى ذلك

الكلام الغريب من الكلام المحشى في المعاجم، ولكنهم لم يعرفوا أنّ أدباءنا ولغويينا الكبار ومن بينهم الإمام السيوطى الذى يقول بصدق وأمانة؛ إن الكلام المتداول الواسع الانتشار الذي تستعمله في منطقك وكتابك هو الأفصح، وإنما يشترطون شروطاً يسيرة سهلة هي ألا يكون مخالفاً لمقاييس اللغة، فإن عُرفت هذه الحقيقة عُرف أن كلام الصحف والمجلات وأخبار الإذاعة والتلفزة هي الأكثر استعمالاً فهي الأقرب إلى الفصاحة بشرط ألا تخالف القياس لغةً ونحواً .

إن الشاعر الكاتب جبران خليل جبران وقع في الحفرة، وتلمس من كلامه أن اللغوي هو الباحث عن الكلام الغريب في القواميس: يقول جبران: "لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات ولي منها ما غربلته الأذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم"[1] لو اطلع جبران على كتاب (المزهر) للسيوطي وقرأ فصل الفصاحة لما قال كلمةً مما قاله، فالفصيح هو المستعمل وليس الذي في القواميس والمعجمات.

ولقد دعا الكاتب المشهور قاسم أمين إلى التخلص من النحو وإسكان اللغة لتسهيل الدراسة والفهم والقراءة، ودعوته ليست بعيدة عمن

دعوا للعامية لتسهيل الفهم والدراسة والقراءة ، وإذا قلنا قاسم أمين أو أحمد لطفي السيد فإنما نذكر تيارين ونذكر رموزاً لهما.

قال الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار: أما الدعوة إلى إلغاء الإعراب فهي من دعوات هدم الفصحى حتى تكون مثل العامية وعندئذٍ تذوب الفصحى في العامية، والإعراب في الفصحي ضرورة لا يمكن أن تكون الفصحي إلا به، والغاؤه بتسكين أواخر الكلمات يطيل زمن النطق بالجملة ...الخ .

ثم إن إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات يلغي قواعد الشعر والنَّظم ويقضي على الوزن والموسيقى والنّظم وإلغاء الإعراب

(١)الاتجاهات الوطنية (٢/٢٧٥) .

(٢)دفاعًا عن الفصحى، أحمد عبد الغفور عطار ، ص (٩٢) .

يفقد القرآن جمال الأسلوب ووثاقة التركيب [٢] .

والدكتور إبراهيم أنيس ذهب مذهبهما معاً، وعلل لهما بأسباب علمية فنية ؛ وهذه هي أسبابه "سقوط الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف لأكبر دليل على أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر وإن ما حرك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية دعا إليها الوصل؛ إن سقوط هذه الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف لا يغير من معنى العبارات ولا يشوه من الصيغ"[١].

وقال في الوصل وزيادة الحركات: "وقد قرر بعض المتقدمين من ثقات العلماء أنّ الحركة الإعرابية لا تعدو أن تكون لوصل الكلمات بعضها ببعض في الكلام المتصل، ولذلك جاز سقوطها في الوقف وجاز سقوطها في بعض المواضع من الشعر، وإن اعتبروا هذا من الضرورات الشعرية.. يقول سيبويه: "وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به [٢] .

وقال في إسكان القراءة "ومنذ رويت قراءةُ أبي عمرو بتسكين أواخر الكلمات في عشرات من الآيات القرآنيّة والخلاف محتدم بين النحاة وقراء القرآن، فالنّحاةُ لا يرونَ جواز حذف الحركات الإعرابية إلا في الوقف، ويرون أنَّ ما روي عن أبي عمرو ليس حذف الحركة بل اختلاسها" [٣] .

وقال في لغة الصحف:"ويكفي للبرهنة على أن لا علاقة بين معاني الكلام وحركات الإعراب أن تقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال فسنري أنه يفهم معناه تمام الفهم"[٤]، تحدث عن الوقف،والإسكان،

---

(١)من أسرار اللغة، د. ابراهيم أنيس ، ص (٢٤٨) .

(٢)أسرار اللغة ، ص(٢٣٧) .

(٣)المصدر السابق ، ص (٢٣٨) .

(٤)المصدر السابق ، ص (٢٤٢).

والصحف ، والعامية وما رآه معززاً لحذف الحركة الإعرابية.

إذن: وجد من الأدلة ما يكفي فيما يقدر لحذف الحركة الإعرابية، منها ما هو قديم ومنها ما استجد، كعادة الباحثين، يذكرون القديم لبيان الجهة التاريخية التي تؤيد أسبابهم وسنقف عند كل سبب، ونعالج قيمته ووجاهته ودلائله، ثم يذكر الرأي الحق.

خلاصة الآراء الناقضة:

جمع الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس بحكم مجيئه في النصف الثاني من القرن العشرين آراء من سبقوه،فذكر العامية وذكر آراء قطرب، واستشهد بإسكان أبي عمرو وفكرة الخليل بن أحمد عن الحركات، ولكن الإسكان شغله أكثر من سائر الموضوعات في كتابه من أسرار اللغة .

إنّ هذا الجمع يساعد الباحث، لأنه يحشد الآراء كلها في مرجع واحد، وسوف يتناول الباحث تلك الأدلة المتعلقة بخصائص العربية وأسرارها وفنيَّتها بالمعالجة وبالموضوعية والعلم، بعيداً عن مواطن الظن ودوافع الشك، إنه علاج علمي موضوع،وبالله التوفيق.

***القسم الثاني :**

حذف الحركة الإعرابية ؟

أدلتها ومعالجتها :

لقد ذكرت عدة أدلة لبيان أن الحركة الإعرابية لا تؤثر في المعاني، وذُكر أن هذه الحركات ما هي إلا رسائل لتسهيل النطق والتكلم، وليس لها في المعاني أثر وذكرت أدلة عن قراءات أبي عمرو بن العلاء، أنه كان يسكّن الحركات الإعرابية ولا يؤدى التسكين إلى اختلاف في المعاني،ولو أدى إلى ذلك لما أخذ به أبو عمرو وهو قارئ حجة، واستدل المنادون بحذف الحركة بقراءة الصحف واللهجات العامية، إذ كلا المصدرين يخلو من الحركات الإعرابية ولكنّ المعاني تظل معروفة ومفهومة، ولا يؤدى الخلاف بين قارئ في الصحيفة يَشْكُلُ الكلمات كما تيسر له وقارئ

آخر يَشْكُلُها بطريقة أخرى لا يـؤدي هذا إلى اختلاف في المعاني؛ كمـا لا يؤدى هضم الحركات الأعرابية لـدى العامة إلى اختلاف الأفكار والمعاني؛ فأفكـارهم تصل إلـى المسـتمعين إليهم بسهولة ويُسر .

وتوقف بعضهم كثيـراً عنـد الوقف وهو ظاهرة مهمة من ظـواهر الإسكان، وهو يعني فـي اصـطلاح الحركات تسكين الحركة الإعرابية في آخر الجملة عندها تقف علـى هـذه الكلمة؛ فسورة العصر فيها ثلاث آيات تنتهي كل منها بـراء عليهـا حركـة إعراب : ﴿والعصر، إنّ الإنسان لفـي خُسـِـر، إلا الـذين آمنـوا وعَملـوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبرِ﴾؛ فالوقف عليها من دون هذه الحركات الإعرابية لا يضير المعاني.

إذن مجمل القـول: إن النـاس تشق على أنفسـها بدراسـة طويلـة معقدة، ولا أثر لهذه الدراسة النحويـة في مفاهيم وأفكارهم، فعليهم أن يتركوا هذه الدراسات، وعلـيهم أن يريحـوا لغتهم من التأفف والضّجر من هذه الحركات الإعرابية المعقدة.

لـم أجـد أكثـر مـن هـذه الاسـتدلالات، إذ كانـت العاميـة والصحافة والوقف وما ذكر عن أبـي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد هي التعلات ولا تعلات غيرها .

إنها أمور هينة، أُحيطت بهالـة من التساؤلات واللفظ الفخم، ولكنها لا تحوي من أهدافها الاسـتدلالية شـيئاً يُذكر؛ واللغةُ حصينة إلى درجة منيعة تستطيع ببساطة أن تثبـت سـلامتها وعافيتها.

مع أبي عمرو بن العلاء والخليل بـن أحمد:

أ-الإسكان في قراءة أبي عمرو:

روى عن أبي عمرو بن العلاء أنـه كان يسكّن في عدة آيات قرآنية، وفي هذا يقول الدكتور أنيس : " أمـا رأي القراء في قراءة أبـي عمرو فيلخصه لنـا قول أبي عمرو الذاني: والإسكان

أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختار وآخذ به، وقراءة أبي عمرو بالإسكان نقلها لنا تلميذه اليزيدي ورويتْ لنا عن طريق السوسي الذي يعد أصح روايةً وأدق نقلاً لتوفره على قراءة أبي عمرو وتخصصه فيها) [1] .

والهدف واضح في هذا الاستدلال، فإن أبا عمرو كان شيخ قراء البصرة وهو أحد السبعة الذين يعتدُ بقراءتهم روايةً، فإذا قرأ بالتسكين أي بتسكين حركات الإعراب في كتاب الله، وهو الكتاب المقدس الذي نؤمن بأنه وصل إلى بيوت المؤمنين كما أنزله الله على رسوله، فالآيات هي هي، والحركات الإعرابية هي هي، فإن أسكنا فقد صح للمنادي بالإسكان أن يسكن جميع الحركات الإعرابية في اللغة العربية بكل مصادرها، لأنَّ المصدر الأول لِلُغة قَبلَ الإسكان، فهل يصح هذا التصور لقائله بهذه السهولة؟

ماذا أسكن أبو عمرو :

إن هذا الرأي فيه تعميم أكثر مما يقتضيه صنع أبي عمرو، ولو أنا أخذنا بالكلمة المحددة وفقاً لما صنعة أبو عمرو لما عممنا ونادينا بتسكين الحركات الإعرابية، ولما قلنا (وقراءة أبي عمرو بالإسكان)، فما صنعه أبو عمرو كان كما يلي:

قال الموصلي يشرح قراءة الإسكان:"وأسكن أبو عمرو على لغة بني أسد وتميم الراء من: ويأمرهم، ويأمركم، وتأمرهم، وينصركم، ويشعركم، حيث وقعت كلها تخفيفاً، ولتوالي الضمات في الأربعة المتوسطة، وأسكن أبو عمرو على لغة بني أسد وتميم الهمزة من بارئكم من قوله تعالى:﴿ فتوبوا إلى بارئكم ذلك خير لكم﴾ [2]، وقال الأشموني "قد تسكن ضمة الإعراب بقصد التخفيف وقد قرأ أبو عمرو ﴿وينصركم ويشعركم ويأمركم﴾ "[3]، وقال ابن الجزري معقباً على قراءة

(١) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ، ص (٢٣٨) .

(٢) شرح شعلة على الشاطبية ، (٢٦٢) .

(٣) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (٣/٦٠٤) .

أبي عمرو: "إن بعض أهالي مكة قرءوا (نعبد) بإسكان الدال ووجهها التخفيف كقراءة أبي عمرو: يأمركم بالإسكان " .

وكان في كتاب الحجة لابن خالويه ذكر لهذا كله، قال: " قوله تعالى إلى بارئكم، رواه اليزيدي عن أبي عمرو بإسكان الهمزة فيه ، وفي قوله : يأمركم وينصركم ويلعنهم ويجمعكم وأسلحتكم يسكن ذلك كله كراهية توالي الحركات، وحكى سيبويه عن هارون باختلاس الهمزة فيما رواه اليزيدي عنه بالإسكان" (١).

وقال السخاوي:" وقد ثبت الإسكان عن أبي عمرو والاختلاس معاً، ووجه الإسكان أن من العرب من يجترئ بإحدى الحركتين عن الأخرى، قال: وقد عزا الفراءُ ذلك إلى بنى تميم وأسد وبعض النجديين ذاكراً أنهم يخففون مثل يأمركم فيسكنون الراء لتوالي الحركات" (٢).

ا

الخلاصة :

ونتيجة هذه الأفكار، وخلاصتها كما يلي :

١-لم يكن الاستقراء لقراءة أبي عمرو شاملاً، ولذلك كان الحكم غير وافٍ .

٢-الاستقراء التام يدل على أن أبا عمرو أسكن في مواطن محددة لسببين أحدهما كراهة توالي الحركات ، وثانيهما للتخفيف .

٣-لم يذكر أحد من القُراء أو غيرهم، أن أبا عمرو كان يحرّك أو يسكن كيفما اتفق له لأن الحركات الإعرابية أو عدمها سواء، لم يقل أحد من النحويين ذلك؛ ولا أدري كيف تسرب هذا التصور إلى كتاب (من أسرار اللغة).

٤-إنّ أبا عمرو كان يحرك في آيات القرآن الكريم كلها، وإن رجع أحد إلى كتاب التيسير للداني، أو الحجة لابن خالويه، أو شرح شعلة على الشاطبية

(١) الحجة لابن خالوية ص (٥٤) ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم .

(٢) القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حمودة ، ص (١٣٥) .

للموصلي أو النشر لابن الجزري يجد لكل كلمة تقريباً حركة يتمسك بها أبو عمرو تمسك رواية وبينة لا تمسك ابتداع واختراع ؛ ولا يتساهل في تغيير هذه الحركة مطلقاً .

ب ــ مع الخليل بن أحمد :

تحدث الخليل بن أحمد عن الحركات، ولم يحدد أي حركات يريد هل هي الحركات الداخلة في بناء الكلمة كما يدخل الحرف في بنائها أو الحركات الإعرابية فكلمة (يُمَثِّل) فيها ثلاث حركات بنائية، هي الضمة والفتحة والكسرة، وفيها حركة إعرابية واحدة هي الضمة على اللام، قال سيبويه ذاكراً رأي الخليل في الحركات ما يلي:" وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به"(*). ويجب أن نفهم معنى زوائد، ويجب أن نميز بين يلحقن الحرف أو يلحقن الحرف الأخير في الكلمة .

إن كلام الخليل ليس غامضاً، فهويعني كل حرف في الكلمة وكل حركة على الحرف أينما وقع الحرف في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، وأينما وقعت الحركة، وسبب وضع الحركة ليسهل النطق به وليسهل وصل الحروف بعضها إلى بعض، فكلمةُ (يُمثّل)، تُسهِّلُ الضمةُ على الياء النطقَ بهذا الحرف وتسهل وصله مع الحرف الثاني أي الميم كما تسهل حركة الميم وصله بالثاء وهكذا؛ فالخليل يذكر خصيصة من خصائص العربية وهي تسهيل نطق الكلام ، فلفظه يمثل: يُ ، مَثْـ ، ثِـ ، لُ لا تنطق إلا بهذه الحركات؛ هذا ما يعنيه الخليل .

وأما في كتاب (من أسرار اللغة) فقد ذكر العنوان: ليس للحركة الإعرابية مدلول، وقال د. أنيس بعد ذلك: " لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء، بل لا تعدوا أن تكون

(*) كتاب سيبويه جـ ٤ ص ٢٤١ وتحقيق عبد السلام هارون، من أسرار اللغة (٢٣٨)

حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض" (*) ، وقد استشهد بقول الخليل

بعد ذلك مباشرة فكان أول استدلال للكتاب المذكور عن حذف الحركات الإعرابية لأنها فيما يرى لا مدلول لها؛ فيقول سيبويه:" وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة... التكلم به" ، وقال :" ومع هذا تمسك معظم العلماء بالحركات الإعرابية بل إن منهم من اعتبرها دلائل على المعنى" الحقيقة أنهم جميعاً تمسكوا بذلك وليس معظمهم باستثناء قطرب وذلك لأنهم اعتبروها دلائل على المعاني حقاً .

لم أجد من العلماء من أخذ فهم (من أسرار اللغة) أي الحركات زوائد بمعنى يمكن الاستغناء عنها ، إن عبارة الخليل تعني أن الحركة أينما وقعت تفيد في النطق والوصل، لأن كلمة (يُمَثّل) إذا أراد أن ينطقها من دون هذه الحركات فإنهّا تكون عسيرةً جداً، ولذلك قال عبارته المشهورة الرائعة:" ويلحق الحرف ليوصل إلى التكلم به، أي أينما وقع الحرف"، وفي كل الحروف: الباء والتاء والثاء والجيم في أي كلمة كانت هذه الحروف، وبأي حركةٍ وردت، لأن الحرف في العربية لا ينطق ساكناً بل محركاً .

وقال السيرافي شارح كتاب سيبويه في هامش الكتاب:" يعني أنّ الفتحة تزاد على الحرف ومخرجها من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضمة من مخرج الواو، لأن الكلام لا يخلو منهن أو بعضهن".

فالفتحة تزاد ليسهل التكلم بالحرف وكذلك الضمة والكسرة، وذكر السيرافي كلمة (مخرجها) أي طريقة نطقها، فليس الموضع موضع حركات إعرابية، وليس الموضع موضع البحث عن الدلائل والمعاني، بل الموضع النطق والمخرج والتكلم، وذكر السيرافي العلاقة بين الحركات وحروف المد، وكلاهما يعين على النطق والتكلم.

هذه حكاية الحركات الزوائد، فالباء حرف ساكن لا نتوصل إلى النطق به إلا بالحركات، فهو مرةّ مضموم(بُ) ومرةّ مفتوح(بَ) ومرةّ مكسور(بِ)، وذلك في مثل :بُن، تل، بِه، بُرتقال، بَلد، بِلاد.

وموضوع الحركات الزائدة عند سيبويه جاء تالياً لهذا الموضوع[هذا باب علم حروف الزوائد]:وهي عشرة أحرف، وبدأ سيبويه يَعُدُ العشرة ويفصّل مواقع عملها وأذكر هذين الحرفين مما ذكر:"وأما السين فتزاد في استفعل وأما الميم فتزداد أولاً في مَفعول ومِفعال ومَفْعل ومَفْعِل ومُفْعِل ومُفْعَل) (*) ، فهل هذا يعني الاستغناء عن الميم والسين والحروف الزوائد العشرة؟

هل يعني سيبويه بالحروف الزوائد العشرة أننا نستطيع حذفها لأنها لا مدلول لها كما أن الحركات الزائدة لا مدلال لها؟ إذن نستغني عن الألف والياء والسين والميم وغيرها.

لا أقول معظم العلماء لا يقول ذلك بل أقول إن أياً من العلماء القدماء لم يقل ذلك، لأنهم علموا أن الحروف الزائدة والحركات الزائدة هي مكونات أساسية لبناء الكلمة، وقد سميت الحركات زوائد لأننا نحتاج في الكلمة الواحدة لمعانٍ جديدة فنغير مواقع الحركات، فكلمة دَرَسَ تصبح دُرِسَ دَرِس نَدْرُسُ، وكلمة قَلَبَ، وقَلْب، وهكذا.

والأمر لا يحتاج إلى تأويل أو تصوير، فإن منهج الخليل بن أحمد كان يقوم على الحقائق المباشرة، ولم يكن بحث الزوائد في كتاب سيبويه ليدل من قريب أو بعيد على أنّ الحركات الزوائد والحروف الزوائد يمكن الاستغناء عنها، إنها من أسس اللغة، إنها بنيان الكلمات فإن كلمة: فَهِم لها معنى واحد، ولكنها بالزوائد لها معانٍ كثيرة، فماذا نعني بكلمة:استفهم، وكلمة تفاهم، والمشتقات منها: فهيم، وفاهم، ومفهوم، فَهّامة إنها معانٍ جديدة من الحروف الزوائد، وكذلك الحركات الزوائد، تعطي

(*)كتاب سيبويه ج ٢ / ٢٣٧ ، تحقيق : عبد السلام هارون

معاني جديدة بتغييرها، فالمقصود بالزائد أنه ليس من بنية الحرف، ولكن لا بد منه للنطق والتوصل إلى التكلم به، وعندما تركب الكلمة يظهر أثر هذه الزوائد في النطق والمعنى كما ظهر أثر الحرف الزائد في المعنى.

فقول الخليل" يصبُ في هذه البحيرة التي تلتقي فيها روافد جمالية تثرى الفصحى وتكشف عن سر من أسرارها، إنها الحركة التي تيسر النطق وتوصل إلى التكلم بسهولة." كأن الخليل يفسر قوله تعالى﴿لسان عربي مبين﴾ فالحركة تسهم في سلاسة اللسان وإبانته .

والمدقق في الأمر يرى أنَّ الحركة الإعرابيّة لها عملان: الأول- تسهيل نطق الحرف الأخير مع سابقه ومع الكلمة التالية. وثانيهما- أنها تؤثر في المعاني، وسيكون لنا موقف في الصفحات القادمة نبينّ فيه ارتباط المعاني بهذه الحركات الإعرابية .

جـ ـ مع الوقف:

إذا كنت تقرأ موضوعاً، فإنك في آخر كل عبارة أو جملة في هذا الموضوع تتوقف لتلتقط نفسك ، ومن ثَمَّ تواصل القراءة والوقف يكون على الأغلب بالسكون، ولكنه قد يأتي بالألف أو الواو أو الياء أي بحروف المد، وذلك مثل:

قرأتُ الكتابْ، وقرأتُ كتابي، لقد ضُمَّتْ مسألة الوقف إلى الآراء الداعية إلى إلغاء الحركة الإعرابية، ووجدوا أن الوقف أحد الأدلة القوية على تسكين أواخر الكلام لأن الحركة لا تقدم معنى ولا تغير في معنى فقال (أي الدكتور أنيس) : "إن شيوع الوقف بما يسمى السكون أو بعبارة أدق سقوط الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف لأكبر دليل على أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر، وأنّ ما حرك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية، دعا إليها الوصل[*]، وقد أشار الدكتور إلى المصدر الذي أخذ عنه وهو (sandhi Pheno-mens)

هذا ما ذكره، ويبدو أن استقراء الوقف في هـــذا الموضـــوع لم يكـــن شاملاً [illegible] الخليل وقراءة أبي عمـــرو شـــاملاً، ولبيان الحق نذكر ما يلي؛ أي نـــذكر جملاً يتنوع حال الوقف فيها :

١-قد أفلح المؤمنون ـــ لـــم تحـــذف حركة الإعراب، لأنها الـــواو ولـــيس النون؛ وكتاب الله عـــامر بالأســـماء والأفعال المنتهية بـــالواو والنـــون أو الياء والنون مثل: رب العالمين، ومثل أيها الكـــافرون، ومثـــل: الظـــالمون، ومثل: بالصالحين... الخ.

٢-قال تعالـــى:﴿سلاســـلَ وأغـــــلالاً وسعيرا﴾، الوقف بالألف، وقد ســـمى علماؤنا الفتحة جـــزءاً مـــن الألـــف، فالحركة موجودة، والمنصـــوب كلـــه يوقف عليه بالألف؛ ويوجـــد أســـماء وأفعال تنتهي كأصـــل بـــالألف مثـــل والضحا، سجى، قلى، الأعلى، هوى، غوى، الهوى...

٣-قال الشاعر: صبتْ نفسي إلى العليا ـــ ما تصبو، فـــالوقفِ بـــالواو وهـــو حركة مد كمـــا نعلـــم، ومثـــل ذلـــك ما انتهى مَن الأسماء أو الأفعال بالياء مثل: وصلنا إلـــى الـــوادي، وكقولـــه تعالى: ﴿ذلك ما كنا نبغـــي ﴾، ومثـــل: نعم أنا لا أدري.

٤-يعلم كل قارئ فـــي كتـــاب الله أن ورود الأفعال المضـــارعة يعملـــون، ويكسبون ويـــذكرون، ويتّطهـــرون، ويؤمنـــون، ويمكـــرون، ويعلمـــون، ويفتـــرون ويعـــدلون، ويتقـــون، ويصـــدقون، ويظلمـــون، ويشـــكرون ويفلحون وأمثالها، كثير جداً جداً وهذه الأفعال مرفوعة بـــالنون ولا يوقـــف على حركتها الإعرابية إلا بهـــا، لأن علامة الرفع هي النون، وهذه النـــون موجـــودة ولا نســـتطيع حـــذفها، فالمضارع إذا لم يسبق بعامل الجـــزم أو النصب تثبت فيـــه النـــون، وهـــذه النقطة ثلمة في الموضوع السـكون؛ كما كان الوقف بالألف والواو واليـــاء ثلمات أيضاً .

٥-تصور الحركة ولـــو ســـقطت: أنّ كلمة مثل (الكبير) لها معنى، ولكنك

لا تحصر هذا المعنى في شيء واحد إذا سمعت الكلمة مقطوعة عن غيرها، فتظن أن الكبير جبل، وتظن أنه فيل، أو إنسان ضخم، أو فعل يستحق التقدير، وهكذا، ولكن وضع الكلمة ضمن تركيب معين مع حركتها يدل على العلاقة بين الكلمات بعضها ببعض ويتحدد معنى الكبير، قال تعالى: " يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير" وإذا قيل لقد سقطت حركة (كبير) وسكناها، وبرغم ذلك ظل المعنى واضحاً فأننا نقول: إن الحركة في ذهن العربي قائمة، إنه أسكنها لظرف طارئ وهو الوقف والتقاط النفس وتقسيم المعاني العامة إلى معان مفردة، ولكن الذهن يحيط بالعلاقة التي تسببها الحركة كما لا يغيب عن بالنا أثر الحركة البنائية، وندركها ولو لم تكن مكتوبة، وإذا أعطينا فرصة أشرنا لحركاتها تقول مخاطباً المفرد المذكر: لقد ظهر لي أن المشكلة حلت عندما جئتَ أنتْ .

نحن في الوقف نتصور ذهنياً حركة (أنتْ) ونعرف أنها بالفتحة ، ولا تظنها كسرة أبداً. وتقول مخاطباً المفردة المؤنثة: لقد ظهر لي أن المشكلة حلت عندما جئتِ أنتْ .

فنحن أيضاً نتصور الحركة ذهنياً، ونعرف أنها الكسرة، ولا يظنها فتحة أبداً. وسبب ذلك أن المعاني السابقة أعطتنا فكرة واضحة عن الكلمة الأخيرة.

ونربط بين كلمتي قتالٌ وكبيرٌ، ولم نربط بين قتالٍ الأولى المجرورة وبين كبير المرفوعة، لأن الحركة تمنع هذا الربط، لماذا نجيز لأنفسنا القول: إن السكون هو الأصل برغم عثورنا على مئات الآلاف من الأبيات من الشعر المستشهد به وهو محرك بل ومشبع بالحركة عند آخر البيت، فالحركة هي الأصل، والوزن الموسيقى لكل بيت يدل على أن الحركة هي الأصل، والنغم القرآني يدل أن الحركة أصل، وقد استخرج الخليل بن أحمد ١٥ بحراً من أوزان

الشعر، ولم يكن ذلك إلا بعد معرفة لكل تفعيلة، والتفعيلة تقوم على المقاطع المتحركة والساكنة، فإذا تناول بيتاً مثل :

يميناً/ لنعم السيدان / وجدتما/

U-- U-- U--

على كلّ حال من / سحيلٍ / ومبرم/

U-- U-- U--

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

وجد أن الحركة الأخيرة مشبعة فبدل الكسرة إشباع للكسرة حتى تتحول إلى ياء؛ وقف الشاعر عليها كما نقف عليها الآن، وهي بكسرة مشبعة، فماذا بقي بعد ذلك؟ وقد أورد ابن جني مثالاً يصور فيه وجود هذه الحركة في ذهن الأعرابي، وأثرها في ربط الكلام بعضه ببعض ضمن التركيب الواحد، قال ابن جني يصف لقاءه بابن عساف التميمي :"كيف تقول ضربتُ أخوك؟ فقال: ضربْتُ أخاك، فأدرتُ على الرفع فأبى وقال: لا أقول أخوك أبداً، قلت فكيف تقول ضربني أخوك؟ فرفع، فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً ؟ فقال: إيش ذا اختلفت جهتا الكلام " (*) فعلاقة الحركة بالتركيب والمعنى قائمة، وقد علم ابن جنى من إصرار ابن عساف التميمي على تثبيت (الواو) في الأسماء الخمسة في حال الرفع، وعدم الانزلاق إلى الألف أنَّ المعنى سيختلف لو قبل التغيير، فأصر الأعرابي على الواو للرفع وعلى الألف للنصب. إن هذه الحركات تعبير عن معانٍ محددة في الذهن؛ وليس الأعرابي بدْعاً من الأعراب، فهم كذلك، وقد نقلت عنهم اللغة وهم يحفظون حركاتها ويحافظون عليها .

ويجدر بنا أن نقف مع الخليل بن أحمد وقفة تقدير واستذكار، لقد سألوه وهو يضع قواعد النحو والإعراب والمعاني عن العلل، إذ يقول يرفع هذا الاسم لسبب كذا وكذا، وينصب هذا الفعل لسبب كذا وكذا، لو أرادوا معنى كذا لقالوا كذا، ويذكر سيبويه له ٥٢٢ رأياً معللةً في الحركة الإعرابية وأسبابها.

" قالوا له : عن العرب أخذتها

(*)الخصائص لابن جنى (١ / ٢٥٠)

أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفتْ مواقع كلامها، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها واعتللتُ أنا بما عندي أنه علة لما عللتُه منه فإن أكن أصبتُ العلة فهو الذي التمستُ " (*) ، هذا هو قول الخليل ومنهجه وليس ما تعجلوا بفهمهم أن الحركات زوائد أي لا تتمسكوا بها

د ــ مع الصحافة :

الأسلوب الصحفي الآن واسع الانتشار، ولهذا الأسلوب خصائص متعددة، منها ما يتعلق بالأسلوب نفسه، ومنها ما يتعلق بالقائمين عليه، وقد عايشتُ هذا الأسلوب والقائمين عليه عدة سنوات، كانت المعايشة ميدانية، ولذلك كان لها أثر في فهمه وفهم القائمين عليه على قدر ما شاء الله لي.

أهم خصائصه أنه كلام سهل، لا تحتاج فيه إلى معجم لتبحث عن معنى غريب أو كلمة غير شائعة الاستعمال، ومنها الحركات الإعرابية، بل قُلْ حذف جميع الحركات الإعرابية، ومنها تعلق الأسلوب فكرةً بالواقع القائم، وارتباطه بالحدث ارتباطاً لا ينفصم، فهو لا يصور حادثة تاريخية قديمة، ولا يصور مراحل أدبية سابقة، ولكنه ينقل إلى قارئ الصحيفة أو مستمع الإذاعة والتلفاز صورة الواقع عن الاقتصاد أو الاجتماع أو السلام أو الحربِ أو السياسة أو العلم أو الثقافة وهو واقع يهم القارئ ويسأل عنه.

وأما القائمون عليه فلهم حظ من اللغات الأجنبية، ويلجؤون إلى الترجمات كثيراً، ويحل على ألسنتهم كثيراً لفظ أجنبيّ للتعبير عن الواقع العربي في نقطة من نقاط البحث أو الشرح أو البيان إنهم لا يجدون إلا للتعبير عن استكشاف (Exploration) النفط، ويرون كلمة (Design) أوضح

(*)الإيضاع فى علل النحو للزجاجى ، ص (٦٥-٦٦)تحقيق د.مازن المبارك .

من التخطيط يظنونه أقرب إلى التعبير في هذه النقطة من الكلمة العربية بل يرونها أدق إيضاحاً، لا أريد أن أضرب أمثلة كثيرة فإن هذا متداول ونسمعه كل يوم .

إذن عليك أن تنتظر تبرماً منهم بسبب هذه الحركات الإعرابية ذات المنظومات الدقيقة المحكمة لأنهم لم يألفوها ولا تعجبْ إذا لمستَ شيئاً غريباً من بعض الصحفيين، لا تعجب إن سمعتهم يقولون لغة سيبويه، ولغة زيدٍ وعمروٍ، ولغة الإعراب، فإن البيئة تفرض هذا التبرم وتلك الغرابة، أعني بيئة الترجمة والثقافة الأجنبية وتوارد الأخبار عن بلاد أجنبية تحكم العالم، إنّ هذا يضعف الصلة بالعربية كلها هذا واقع نراه ونلمسه ونعايشه؛ وكنا نستطيع أن نضع لغتنا في المقام الأسمى أمامهم ليعرفوا أن لغتنا حية، ونبضها قويّ، واستيعابها واسع .

إنّ الحركات الإعرابية اختفت من الصحافة، كما اختفت من اللهجات العامية، وسبب ذلك أنَّ موضوعات اللغة العامية ، وموضوعات الصحف والمجلات جلية واضحة وهي مفهومة بمعناها وفكرتها بسبب تداولها، والتعامل اليومي معها؛ لا نريد أن يكون حذف الحركات الإعرابية من الصحف منطلقاً للمطالبة بإلغائها كلها، إنك تنزع عن جسمك كثيراً من الثياب في الصيف، ولكن فعل ذلك في كل الفصول ضار .

حذف الحركة في اللغة كلها :

لسنا بكل تأكيد مع الرأي القائل: " يكفي للبرهنة على أنْ لا علاقة بين معاني الكلام وحركات الإعراب أن تقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال فسنرى أنه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدنا الخلط في إعراب كلماته" (*).

الدعوة هنا واضحة لنزع كل الثياب، إن الحذف سيؤدي إلى اختلاط المعاني في لغة الصحافة اختلاطاً ما،

(*) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ، ص (٢٤٢) .

ولكنه سيؤدي إلى تشويشها تشويشاً شاملاً إذا وقع في لغة الأدب للشعراء والكتاب ولغة القرآن والحديث النبوي، إنه سيدمر إذا أخذ به الفصحى؛ وسأضرب أمثلةً على هذا الاختلاط والتشويش، ولن يعجزك شيء إن أردت البحث، فستجد أمامك وفرة .

أمثلة على الحركة :

١-قال المذيع: أقبل اللبنانيون على شراء أغذيةِ يومِ أمس

والصواب هو: أقبل اللبنانيون على شراء أغذيةٍ يومَ أمس .

الجملة الأولى تختلف في معناها ومضمونها عن الجملة الثانية، ويقع الاختلاط فيها شيئاً ما لدى العامي والفصيح .

٢-وأما في اللغة الفصيحة فأضرب هذا المثل: قال المؤذن: أشهدُ أنَّ محمداً رسولَ الله، قال ابن قتيبة في كتابة (عيون الأخبار)، سمع أعرابي هذا الأذان، فقال: ويحك يفعل ماذا؟ لقد دُمر المعنى الذي أراده النبيﷺ ؛ كلمة رسول خبر عن محمد، فيجب رفعها، ولما نصبها المؤذن لم تصبح خبراً فسأل الأعرابي يفعل ماذا أي أين الخبر ؟

٣-وهذا مثل أراه يقع بين بين ، أي بين الفصحى والأسلوب الصحفي، وهو يحتاج لشيء من التفكير .

قال الكاتب الصحفي: يرافق الملكَ في الجولة عدداً من المسؤولين .

ولكن الصواب هو: يرافق الملَك في الجولة عددٌ من المسؤولين .

والمعنى بين الجهتين مختلف، الجملةُ الأولى لم تعط للملك قَدْرهُ، ولكن الثانية أعطت، إن هذا مصدره الحركة الإعرابية، والتلاعب فيها يؤدي إلى اختلاف في المعاني .

موضوعات الصحافة:

إنّ الموضوعات العامة التي تتناولها الصحافة تسهل على الناس فهمها، لأنها من بيئة الناس وواقعهم وشغلهم الشاغل، فأسفار المسؤولين، ولقاءاتهم، وتصوير المشروعات والكلام عنها، ونقل أخبار المعارك والصراع، إنها أمور تسمع كثيراً

وتشاهد الآن كثيراً فأي حديث عنهـا يكون مفهوماً؛ وليس سبيل الفهم وجود الحركات أو حـذفها ولكـن السـبيل تصويرها لواقع يعيشـه كـل إنسـان معاصر.

الحرف (ال) :

الغريب أننا تقبلنـا منـذ عـام ١٩٦٧حتى الآن اختلاف السياسين في فهم النص الإنجليـزي لقـرار ٢٤٢ الصادر بسبب الأراضـي المحتلـة، يقولون في الحوار: الانسـحاب مـن أراضي محتلة، يختلف عن الانسحاب من الأراضـي المحتلـة؛ إنّ (ال) التعريف من صميم النحو عندنا فـإذا أردنا الحوار فيها خمس دقائق أظهروا التبرم، لا حـول ولا قـوة إلا بـالله، يريدون أن يهدموا لغة حية محافظـة، بينما تحاول الأمم المتماسـكة إحيـاء لغاتها الميتة !.

شمولية النحو وأمثلة عليها :

ليست الحركة الإعرابية هـي النحو كله، فالنحو شـامل لاسـتعمال الكلمة، إفراداً وتثنية وجمعاً، والنحـو يبحث في التصغير والنسب ومعـاني الظروف وحروف الجر، وغير ذلـك كثير، وهذه أمثلة من صميم النحـو، وهي بسبب الترجمات تفقـد رونقهـا العربي :

أ- لندن تصعَد أزمـة رشـدي مـع طهران:

لو كانت الجملة مستقلة، وليس لها في أذهان القراء تمهيـد واسـع، لكـان معناها:

لندن وطهران معـاً تصـعدان أزمة رشدي ضد...... فكلمة مع ظرف يفيد الصحبة، لكن كثرة الأخبار فـي الموضـوع تجعـل الإنسـان يفهـم المقصود من دون تدقيق في معنى هذه الكلمة أو تلك .

ب ـ توقفتْ المفاوضات فيما استمر إطلاق النار.

لم يستعمل العرب كلمة (فيمـا) بـدل كلمـة (بينمـا)، فهـذا الجـار والمجرور (فيما) استعمل للاسـتفهام، أو استعمل للاسم الموصول، نقـول:

فيمَ أنت من ذكراها؟ ونقول: فيما كانوا فيه يختلفون.

إذن الصواب هو : توقفت المفاوضات بينما استمر إطلاق النار، وربما تأتي (بينما) و (بيناً) بمعنى واحد، وقد ذُكر:" بيناً نحن نسير مع رسول الله ﷺ " لكن في لغة الصحافة تأتي كلمة على لسان صحفي لم يدقق في الكلمة معنّى واستعمالاً، ثم يشيع الخطأ، والأجدر أن نكون حريصين على وضع الفصحى في موقعها المناسب.

جـ ـ يُقال كثيراً : لم تتبينّ لنا الحقيقة المرجوّة لحد الآن .

كيف اقتحمت عبارة (لحد الآن) على الوسائل الإعلامية لغتها؟ يغلب على الظن أن أحد الإعلاميين في البدء كتب لحد الآن كترجمة لعبارة until now ثم شاعت حتى صارت من حقائق اللغة الإعلامية اليومية .

أما الصواب فقولنا: لم تتبين الحقيقةُ المرجوة حتى الآن.

ولنا في شواهد لغتنا ما يثبت هذا الاستعمال (حتى الآن) بدل عبارة (لحد الآن) قال سبحانه : " سلام هي حتى مطلع الفجر" .

د ـ خبر إذاعي (مونت كارلو ١١/٧/٩٧ الساعة ١٠ ليلاً) .

قال المذيع: [فإن عجز الميزانية ٣,٥% كان يجب أن يكون ٣% في الحد الأعلى وهذا يقلل المناورة لجهة وعود الناخبين ولذلك على الحكومة التقشف أو زيادة الضرائب، وهذا يعطى القوة لجهة دخول فرنسا لعملة أورو] .

إني من مجمل الأخبار ومجمل الفكرة التي تحدث عنها المذيع أستطيع أن أحدد المعاني التي تريدها، ولكن دراسة الجملة كتركيب ولفظ ومعنى كما هي أمامنا لا تؤدى إلى الفهم الدقيق المطلوب؛ فليس الأسلوب الصحفي موفقاً دائمًا في إعطاء المعاني، إن هذا الخبر لا يهم الإنسان الأردني في بلادنا كثيراً ولذلك لا يستطيع الإلمام به لأنه لا يجد من

البيئة ما يسهل له الغموض، ولكن لو كان الخبر الغامض عن إغلاق الضفة الغربية وقطاع غزة، لعلم من فوره ما المقصود بالإغلاق ولكان المبهم فسره بما يحتويه مخزونه من المعرفة السابقة .

هـ ـ ورد في كتاب (من أسرار اللغة) .

ورد في كتاب (من أسرار اللغة) (*) أزواج من الجمل متقفة المعاني فيما يرى، ولم يختلف الأمر بينها إلا في حركة واحدة في الجملة كلها في إحدى الكلمات، إنها منصوبة مثلاً ثم تجرّ بالكسرة ولكن المعنى يظل كما هو. قال الدكتور أنيس: " إنّ بعض حالات النصب لا تكاد تختلف في معناها عن بعض حالات الجر مثل: قمتُ بهذا ابتغاءَ وجه الله، قمت بهذا لابتغاءَ وجه الله. فلِم كانت كلمة ابتغاءَ في الأولى منصوبة وفي الثانية مجرورة ؟ "يقصد أن الجملتين بنفس المعنى، وذلك برغم اختلاف الحركات الإعرابية .

"ومثل: جاءني من باع السمكَ، جاءني بائعُ السمكِ. لم كانت السمك في الأولى منصوبة وفي الثانية مجرورة؟ "، فالجملتان بنفس المعنى، واختلاف الحركات لا قيمة له،

ومثل: سهرتُ الليلة الماضية، سهرتُ في الليلةِ الماضية؛ حدث كل هذا الأسبوع الأول من ولادته، حدث كل هذا في الأسبوع الأول من ولادته.

هل هذه الأزواج الأربعة تحمل معنى واحداً؟ هل كل جملتين من نفس الزوج لهما معنى واحد فقط لا يختلف في شيء عن نظيره؟ ألم يؤثر دخول اللام ولا اسم الموصول (مَنْ)ولا حرف الجر في؟ إن مثل هذه الأمثلة متداول وقد رغبت في جمع عدة آراء فيها كاستطلاع ورصد إجابات فيما يقال الآن:

لقد ساءلت الأساتذة من مختلف الدرجات، وساءلتُ من حولي من مختلف الثقافات عن هذه الجمل مجتمعة أو متفرقة، وفقاً لما يقتضيه المقام، فأسأل: (هل جملة صليتُ

(*)من أسرار اللغة د . إبراهيم أنيس ص ٢٤٠.

ابتغاءَ وجه الله) تحمل نفس المعنى لجملة(صليتُ لابتغاءِ وجه الله)؟كلهم يذكر فرقاً وإن اختلفوا في تحديده.

وساءلت: هل جملة (جاءني بائع السمكِ) لا تختلف في معناها عن: (جاءني من باع السمكَ)؟لقد سألت في هذا الزوج أُناسا لهم حظ متوسط أو قليل من ثقافة العربية وأسرارها، ولكن الإجابة دلت على الفرق، الأولى بائع معروف معين، والثانية قد لا يكون باع سمكاً إلا مرة واحدة، يوجد في الأولى تعريف قوي ويوجد في الثانية شيء من التنكير.

وأما الظرفان الليلة والأسبوع فكان جواب الجميع أن الفرق قائم بينهما، فالسهر أو الشيء الذي حدث استغرق الليل كله والأسبوع كله، ولكنهما في حالة الجر يفيدان الجزئية، أي السَّهر في جزء من الليل والحدوث في جزء من الأسبوع.

كانت الجملة الأولى: (ابتغاء وجه الله)، و (لابتغاء وجه الله) أدق على الجميع في الإجابة، لأنها أرقى الجمل، فالفرق قائم لكن الحيْرة شديدة في حجم الجملة الثانية حرف اللام وهي تفيد هنا التعليل، ولكن المفعول لأجله(ابتغاء) يفيد التعليل فيكون وضع اللام من قبيل الحشو، أضف لذلك أنك باعدتَ بين قيامك وابتغائك باللام، فتكون الجملة الأولى أقرب إلى المعنى المطلوب، وأدق في نيل الهدف.

لقد فرق أساتذة النحو بين جملة: كادتُ الشمسُ تطلع، وكادت الشمسُ أن تطلع. فقالوا إن الجملة الأولى تعني القرب الشديد، وأما الثانية فالقرب ليس شديداً لأنك أدخلت شيئاً بين كاد وتطلع مما أبعد الفترة؛ وقد استشهدوا بكتاب الله تعالى:" يكاد زيتُها يضيء"، و" يكاد البرق يخطف أبصارهم" ، فالإضاءة والخطف قريبان جداً .

البحث الحق:

إنَّ الجهد في سبيل ضرب أمثلة متقاربة في تراكيبها كما سبق، ولكنها تختلف في الحركات الإعرابية بقصد الوصول إلى قناعة إلغاء هذه

الحركات جهد غير مثمر، فإن هذه اللغة الشريفة وردت إلينا بلفظها وتركيبها محركةً وهذه الحركة لها دور في المعنى والنطق وتداولتها مئات الأجيال الواعية المفكرة بهذه الصورة القوية المحافظة المبينة وقدمت بها أكبر كنوز الثقافة في العالم، وكان الأوْلى بحث آثار هذه الحركة لنكشف بعض أسرارها المفيدة للغة؛ ونعرف دقائق أسرارها، علينا أن نحسن اختيار البحث.

كان جميلاً جداً من الباحث أو الباحثين أنْ ينظروا في غير هذين السببين أو السرين من أسرار الحركة أي غير إفادة المعنى وتسهيل النطق لربط الحروف بعضها ببعض، إذن لقدموا خيراً جديداً للغة، لكنْ أن نظل في هذه المواقف المقلدة في كل شيء سطحي وظاهري حتى في اللغة فإن خسارتنا محققه؛ وا أسفا على أمة العرب التي تريد وأد لغتها الحية العملاقة بينما أسباط بني إسرائيل تسعى لأحياء لغة ميتة!.

خلاصة البحث:

لقد هدفت هذه الورقة إلى بيان العلاقة الحميمة بين النحو والمعاني، ورفض الأفكار التي تنادي بالعامية أو حذفت الحركات الإعرابية، وقد استندت الورقة إلى آراء شيوخ لغويين ونحويين ممن كان لهم باع طويل في اللغة والنحو، كما استندت إلى أمثلة عديدة تبين قوة الصلة بين النحو والمعاني في اللغة الفصيحة.

وقد تعرضت بعض التعرض لآراء الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس التي ضمنها كتابه (في أسرار اللغة)، كما تعرضت لآراء شيخ سابق هو قطرب تلميذ سيبويه وبينت أن ما ذكراه من تقليل شأن النحو بتلك الأمثلة التي بنيا عليها آراءهما كان ضعيف الأصول والأركان ولا يرقى إلى درجة الحجج والاستدلالات .

وكانت الأمثلة التي ذكرتها قرآنية، وأوضحت علاقة الحركات فيها بالمعاني، وقد توقف البحث عند

استشهاد الدكتور أنيس بقراءة الإسكان لدى أبـــي عمرو بن العلاء واستشهاد بقول الخليل بن أحمد:

" أن الحركات زوائد " أي الحركـــات الإعرابية زوائد، وبذا يمكن الاستغناء عنها، وأشرت إلى أن ما قصده أبـــو عمرو والخليل بعيد كل البعـــد عمـــا فهمه الدكتور منها.

ولا بد من القول: إن النحو ركن مـــن أركان اللغة، وأحد حصونها القوية ولا تسير اللغة سليمة فصيحة من دونه .

دكتور كامل جميل ولويك

البدل فى الجملة العربية
دراسة فى ضوء علم اللغة النفسى

للأستاذ الدكتور علي محمد المدني

بلغ علم اللغة الحديث مبلغا عاليا من التطور بتشعبه إلى فروع عديدة ، منتفعا في ذلك بغيره من العوم الحديثة التى اتصل بكثير منها بسبيل أو آخر، معتمدا في تحقيق هذا الاتصال على المناهج العلمية الحديثة. ولعل من أهم العلوم التى استعان بها علم اللغة الحديث : علم النفس ، وعلم الاجتماع العام ، وعلم الأجناس البشرية ، وعلم الوراثة ، وعلم الحياة العام ، وعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح ، والفيزياء ، والتاريخ ، والجغرافيا، وغيرها (*) .

ونقتصر هذه الدراسة على صلة علم اللغة بعلم النفس، ونقتصر من علم اللغة على النحو العربى، ونقتصر من النحو العربى على باب البدل متخذين منه، نموذجا دراسيا تطبيقيا،فى مجال علم اللغة النفسى.

ولقد خصص هذا الباب بهذه الدراسة، لما يبدو فيه من وثيق الصلة ببعض مظاهر السلوك النفسى الذى يعنى به علم النفس .

ومبلغ علمى أنه لا توجد دراسات تطبيقية في هذا المجال ، بمعنى أننى لم أقع على شيء من المحاولات العلمية، التي تعنى بإبراز الجوانب النفسية فى باب من أبواب النحو العربى . هذا من جانب ومن جانب آخر هذا الجهد محاولة للنفوذ إلى دراسة البنية العميقة فى الجملة البدلية فى اللغة العربية ، بواسطة الكشف عن الإيماءات النفسية التى يمكن التوصل إليها ، من خلال تحليل البدل بالاعتماد على تعريف النحاة به أولا ، وتتبع وظيفته فى الكلام ثانيا ، ومحاولة الكشف عن الموقف النفسى لكل من المتكلم والسامع ثالثا .

(*) علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى ، محمود سعران ، ص ٦٩ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت .

والملاحظ أن الدراسات العربية التطبيقية فى علم اللغة النفسى تتوجه غالبا إما إلى لغة الطفل ، أو إلى عيوب النطق، أو إلى بعض الظواهر اللغوية العامة، وهى مع ذلك قليلة فى عمومها بالنظر إلى سعة جهود الغربيين فى هذا الحقل (١) .

ويحسن بنا أن نقدم لهذه الدراسة ببيان صلة علم اللغة بعلم النفس . وهى صلة وثيقة جدا ، فعلم النفس يدرس القواعد العامة التى تحكم سلوك الإنسان بوجه عام ، وأما علم اللغة ، فإنه يتناول نوعا واحدا من أنواع السلوك ، وهو اللغة التى يتكلم بها الإنسان (٢) .

واللغة عبارة عن مجموعة أصوات لها مدلولات معينة ، يتعارف عليها كل من المتكلم والسامع ، عن طريق عمليات عقلية متعددة منها : الوعى والإدراك والتذكر والفهم والمعرفة وغيرها من العمليات العقلية، التى يعنى بها علم النفس فى حين يعنى علم اللغة بالعبارات المنطوقة (٣) التى تكون مجموعة أصوات ، يرتبط بها عند كل من السامع والمتكلم ــ تصور ذهنى لغوى .

ويتبين من هذا أن مهمة علم اللغة موجهة إلى الرسالة التى يريد المتكلم أن ينقلها إلى السامع ، فى حين أن من مهمات علم النفس دراسة العمليات العقلية التى تسبق إنتاج الرسالة (٤) .

ويرى علماء النفس أن اللغة هى الوسيلة التى يمكن بوساطتها تحليل أى صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها ، بحيث يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى فى أذهاننا ، أو

(١)انظر للتعرف على بعض هذه الجهود : prucha, j,information sources in psycholinguistics, mouton, the hogue, paris, 1972

وانظر : اللغة وعلم النفس ، لموفق الحمدانى ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، بغداد ، (مقدمة المحقق) ص ١٠-١٣

(٢)انظر Kess, J.F, psycholinguistice introductor prespectives, Academic press, new york ,P,Z،

(٣)علم اللغة ، محمود السعران ص ٧٣ .

(٤)سيكولوجية اللغة والمرض العقلى ، جمعة سيد يوسف ، سلسلة أعلام المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٠م ، ص ١٦ .

أذهان غيرنا ، بوساطة تأليف كلمات ووضعها فى ترتيب خاص [١] .

ولا ريب أن المواقف النفسية التى يمر بها كل من المتكلم والسامع لها أثرها البالغ فى التعبير والاستيعاب ، فقد تكون جمل المتحدث منتظمة أو مضطربة ، وقد يسرد كلامه سريعا أو بطيئا [٢] وفى المقابل قد يستوعب المتلقى كل ما يسمعه ، وقد يستوعب بعض ما يسمعه من محدثه . وكل ذلك تبعا لصفاته الذهنية ، وحالته النفسية من انتباه وغفلة ، أو ذكاء وجهل ، أو راحة وقلق ، أو غيرها من الصفات والمواقف النفسية المختلفة التى يظهر أثرها واضحا فيما يطلق عليه " اللغة الانفعالية " وذلك في مقابل " اللغة النحوية " التى تعنى بسلامة التركيب ، وفقا لقواعد معينة . ويرى بعض الدارسين أن اللغة الانفعالية هذه أسبق ظهورا من اللغة النحوية،(وهذا واضح فى لغة الطفل)حيث يتم التعبير عن الفكرة فى بدايتها تعبيرا مختلطا بعناصر انفعالية ، قد تضطرب فيها القواعد النحوية ، ثم يتلاشى الانفعال تدريجيا إلى أن يظهر الكلام واضحا مترابطا ، محكما بالقواعد النحوية [٣].

على أن هذه اللغة الانفعالية لاتنفصل بأى حال عن اللغة النحوية، وإن اضطربت القواعد والألفاظ عند المتكلم أحيانا ، فى حالات الانفعال .

هذا وقد تطورت الدراسات اللغوية النفسية فى السنوات الأخيرة تطورا واضحا ، بحيث ظهر فرع مستقل من فروع الدراسات اللغوية ، عرف بعلم اللغة النفسى ، أو علم النفس اللغوى[٤] (Psycholinuistics) الذى يعزى الفضل فى نشأته إلى عالمى

(١)انظر اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها ، عبد العزيز عبد المجيد ، دار المعارف بمصر ،القاهرة ١٩٦١م ج ١ ص١٥ .

(٢)محاضرات فى علم النفس اللغوى ، حنفى بن عيسى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٠،ص١٣٧-١٣٨.

(٣)انظر علم النفس اللغوى،نوال محمد عطية،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٧٧- ٧٨ .

(٤)انظر:علم اللغة النفسى،عبد المجيد سيد أحمد منصور،جامعة الملك سعود ، الرياض ، ص ١٥. وانظر : التعريف بعلم اللغة ديفيد كريستل،ترجمة حلمى خليل،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة١٩٧٩م،ص ١٨٤ .

النفس ميلر (George Miller) وأزجود[١] (Charles Osgood).

ولكن بعض الدراسين يـــرى أن التأسيس الحقيقى لهـــذا الفرع،يرجـــع الفضل فيه إلى تشومســـكى (Chomsky ١٩٧٥و١٩٦٥و١٩٧٥) الذى عنى به عناية كبيرة فاتضـــحت معالمـــه علـــي يديه،إلى درجة أن بعض اللغويين يرى أنه من الصعوبة بمكان الخوض فـــى مجال علم اللغة النفســـى مـــن غيـــر رجوع إلى بعض مؤلفات تشومسكى[٢].

ولو رجعنا إلـــى كتـــاب جـــان بروشـــا (jan Prucha) الموســـوم مصـــادر المعلومات فـــى علـــم اللغـــة النفســـى (Information Sources in Psycholinguistics)؛ لتبين لنا سعة حقول الدراسة فى هـــذا العلم، فهناك علم اللغة النفسى العام ، وعلم اللغة النفسى التطبيقـــى، وفـــروع اللغـــة النفســـى بمختلـــف مباحثـــه كالأسلوبية،والتفكيـــر اللغوى، والسلوك اللغوى النفسى، والأصـــوات اللغويـــة النفسية ، والكتابة النفسية أو علم نفس الكتابة باعتبارها وســـيلة اتصـــال[٣]، والدلالات اللغوية النفسية ، والجوانب النفسية فى القواعد النحويـــة أو علـــم النفس النحوى،إن صح التعبير.

وهذا الفرع الأخير مـــن علـــم اللغة النفسى هو الذى يعنينا فى هـــذه الدراسة، وبمعنى آخر سوف نتنـــاول الجانب النفسى المتصل بالبـــدل فـــى اللغة العربية، من غير أن ندخل فـــى تفاصيل باب البدل على النحو المبثوث فى كتب النحو العربى؛ فذلك أمر قـــد كفيناه قديما وحديثا[٤]. وسنكتفـــى من

(١)انظر:Rieber,R.W., (editor, psychology of language and thought, plenum press New york,:1980.p.3

(٢)انظـــر: Foss, D. j., and Hakes, D.T., Psycholinguistics, An Introduction to The Psychology of Language,Prentice – Hall, Inc, New jersey,1978, P.27..2

(٣)انظر مجموعة الدراسات التى حررها هارتلى فى هذا المجـــال : Hartly, j ., The Psychology of written Comunication, Kogan Page, London, 1980

(٤)انظر مثلا:كتاب سيبويه، تح. عبد السلام هارون، عالم الكتب، القـــاهرة، ١٩٨٣م،ج١/١٥٠ ـــ١٥٨ و٤٣٩، ج٢/١٤ـــــ١٩ وغيرها، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للســـيوطى، تـــح. عبـــد العـــال ســـالم مكـــرم،دار البحـــوث العلميـــة، الكويـــت، ١٩٧٩م،ج٢/٢١٢ـــ٢٢٢،وحاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـــــ، والمقرب، لابن عصفور، تح.أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى،بغداد،١٩٨٦،ص٢٦٦ـــ٢٧١، وشرح الرضى على الكافية ، للرضى الأستراباذى ، تح . يوسف حسن عمر ،جامعة قاريونس، ١٩٧٨م،ج٢/٣٧٩ـــ٣٩٤،والتوابع فى النحو العربى ، محمد يسرى زعير ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧٩م،ص١٠٣ـــ٢٠٧،والتوابع فى الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ص١٤٩ـــ١٦٤.

هذا الباب بما يخدم الدراسة اللغوية النفسية إن شاء الله .

تعددت تعريفات النحويين للبدل، ولكنها كلها محصورة فى معنى واحد، يدل على أن البدل هو التابع المقصود بالحكم ــ قصدا مستمرا ــ بلا واسطة (*)، نحو سافر أبو عمرو زيد، فالمقصود بالحكم هنا هو زيد وليس أبا عمر .

وابتداء يلاحظ فى هذا التعريف لفظ " القصد " يعنى قصد المتكلم الذى يوجه خطابه إلى متلق يسمعه. والقصد شعور وتصور ذهنى فى باطن النفس والجملة السابقة تركيب لغوى سليم، وقد يبدو فيها الإشكال بادىء ذى بدء فتتعدد احتمالات المعانى فيها بين قصد المتكلم ، وفهم المتلقى، وسياق الكلام، والموقف الذى قيلت فيه، فيمكن من خلال ذلك كله ومن خلال النفوذ إلى البنية العميقة فى التركيب ــ أن نخرج باحتمالات منها:

١-أن كلا من المتكلم والسامع يعرف أن هناك أكثر من شخص يكنى بأبى عمرو، فينصرف التصور الذهنى إلى عدة أشخاص، فيأتى البدل ليحسم المعنى مؤكدا ومقرر أن واحدا ممن يكنون بأبى عمرو هو مقصود المتكلم.

٢-وربما اعتمد المتكلم على البدل فى كلامه بسبب تردد طرأ على نفسه، لشكه فى علم السامع أن أبا عمرو هو زيد ، فيقطع هذا الشك بالبدل .

٣-وفى مثل هذه الحالات من التردد ربما تنطلق الجملة فى البداية بسيطة من فعل وفاعل هكذا سافر أبو عمرو، وسرعان ما يتذكر المتكلم أن مخاطبه لا يعرف أبا عمرو، ولكنه يعرف زيدا. وعقب هذا الإدراك يأتى الكلام ــ بعد سكتة على (عمرو) ــ متبوعا بالبدل ، ليزيل اللبس الذى علق بذهن المخاطب .

٤-وقد يصدر الكلام على النحو الذى يريده المتكلم، ولكن بصورة لاشعورية، فيستخدم البدل مثلا من غير أن يتعمده، أى بصورة عفوية.

(*)انظر : همع الهوامع ، ج٢/٢١٢ ، وحاشية الصبان ، ج٣/١٢٣ .

وبمعنى آخر ينطلق فى سلوكه اللغوى هذا بدافع لاشعورى عام. وهو "الدافع الذى لا يشعر به الفرد أثناء قيامه بالسلوك أيا كان السبب فى عدم الشعور به"(١) . وبهذا المعنى العام يفسر كثير من الحاجات والاتجاهات النفسية والعادات الدافعة ومستوى الطموح ومستوى الطموح، على أساس أنها دوافع لاشعورية (٢) .

وعلى هذا النحو من التفسير النفسى للغة ، يمكن القول إن الإنسان كثيرا ما يعبرعما فى نفسه لاشعوريا. فعندما يقال :(سافر أبو عمرو زيد) قد يحمل المعنى على أحد الاحتمالات الثلاثة السابقة ، وقد لايحمل على أحدها بل يحمل على دافع اللاشعور ، وهو احتمال رابع .

ومن هذا كله يتبين أن اللغة فى عمومها تتعلق بعمليات نفسية مختلفة، يعيشها صاحبها قبل أن يظهرها منطوقة. وتبدأ هذه العمليات النفسية بمجرد شعور المتكلم بالحاجة إلى توصيل رسالة ما إلى سامعه، ثم يستتبع هذا الشعور التفكير فى طريقة التعبير عن هذه الحاجة، وقد يمر بتردد فى إخراج العبارة(الرسالة)، كما أنه يحتاج إلى تذكر معرفة علم السامع بالمتكلم عنه. وربما قفزت صياغة الفكرة إلى لسانه لا شعوريا من غير تفكير .

وقد فطن أسلافنا إلى مثل هذه العوارض النفسية التى تمر بالمتكلم، ففسروا البدل على أساسها، يذهب الصيمرى فى تفسير(بدل بعض من كل)ويسميه (بدل الشىء من الشىء وهو بعضه) إلى أنه يحتمل وجهين: "أحدهما أن يكون الكلام مبنيا على الثانى الذى هو البدل، إلا أنه كرر ذكره توكيدا، وذلك أن القائل قد يقول:رأيت قومك،وهو يريد البعض، فيفهم ذلك عنه.وإذا قال:رأيت قومك أكثرهم، فقد ذكر البعض الذى قد كان يجوز أن يعلم من غير ذكره توكيدا..

والوجه الثانى : أن يكون

(١)أصول علم النفس ، أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الاسكندرية،١٩٧٣م،ص١٠٨.

(٢)المصدر نفسه .

المتكلم لم يقصد البدل فى أول كلامه، إنما بدا لـــه أن يبـــين مـــا أراد بعـــد الاقتصار على الأول فـــذكر الـــبعض للتبيين"[١] .

وبأدنى تأمل إلى الوجه الثـــانى فى تفسير الصيمرى، يتبـــين أن ثمـــة ترددا يساور المتكلم، فيجعله يوضـــح كلامه بمزيد بيان .

وهذا التردد ــ كمـــا يفســـره علماء النفس ــ ما هو إلا رد الفعـــل الظاهر لما هـــو معـــروف بالتنـــافر المعرفى(Cognitive dissonanace)[٢]. علـــى أن التردد والعفوية ليس هو التفســـير الوحيد فى لجوء المتكلم إلى البدل فى كلامه، فقد قرر أسلافنا أن المقصـــود بالبدل هـــو بيـــان الحكـــم وتوكيـــده وتقريره، لأن فيه إسناد الشىء مرتين: مرة إلى المبدل منه،وأخرى إلى البدل.قال ابن عصفور: " البدل إعلام الســـامع بمجموع اسمين أو فعلين على جهـــة تبيين الأول أو تأكيده"[٣]. فمثال التبيين قولك: حضر المعلم زيد. ومثال التأكيد قولك:جدع زيد أنفه، إذا كان المقصود هو قطـــع الأنف خاصة، فإذا أتيـــت بلفظ الأنف فقد أكدته .

ويؤكد علماؤنا هذين المعنيـــين فـــى البـــدل، حـــين يطلقـــون عليـــه "التبيين"[٤]و"التفسير"و"الترجمـــة"لأنـــه ترجمة عن المـــراد بالمبـــدل منـــه، وتفسير وتبيين له وتكرير[٥] "ذلك لأن الشىء يكرر بلفظه، أو بغيـــر لفظـــه للتوكيد.

وتلك هى وظيفة البـــدل فـــى العربية، إذا استثنينا منه البدل المباين، لأن المراد من هذا النوع هو ما بـــاين فيه البدل المبـــدل منه على نحو مـــا

(١)التبصرة والتذكرة، لعبد الله بن على الصيمرى، تح.فتحى أحمد على الدين ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢م،ج١/١٥٨.

(٢)انظـــر فى موضـــوع التنـــافر المعـــرفى: Atkinsons, K., et al, Introduction to Psychology, Harcourt Brace jovanovich College Publishers, New York, 1991,PP.707-709.

(٣)المقرب ، ص ٢٦٦.

(٤)انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢/٢١٢، وشرح التصريح، خالد الأزهرى ، انتشارات ناصر خسرو ، طهران ، ج٢/١٥٥.

(٥)حاشية الصبان ج٣/١٢٣ ، وانظر مصطلحات النحو الكـــوفى ، دراســـتها وتحليـــل مـــدلولاتها، عبـــد الله الخثـــران، هجـــر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢٧ــ٣٤.

سيأتى. قال الصيمرى موضحا وظيفة البدل فى اللغة:

"اعلم أن البدل يجىء فى الكلام على تقدير وقوعه موقع الأول، من غير إلغاء الأول، وإبطال الفائدة بذكره، ولكن على أن البدل قائم بنفسه، غير مبين عن الأول بيان النعت الذى هو تمام المنعوت.

والدليل على هذا أنك إذا قلت: زيد رأيت أخاه عمرا)، جعلت (عمرا) بدلا من الأخ، فلو كان التقدير إزالة الأخ وإبطال الفائدة به،لكان تقدير اللفظ:زيد رأيت عمرا،وهذا فاسد، فقد بان بأن البدل غير مبطل للمبدل منه.

وإنما الفائدة بذكر البدل، أن الشىء الواحد قد يكون له أسماء مشتقة من معان، فيشتهر ببعضها عند قوم، وببعضها عند آخرين، فإذا جمعتها فى لفظك فقد بينته من جميع وجوه البيان، ألا ترى أنه قد يعرف بعض الناس أخا زيد بعينه ولا يعرف اسمه، وبعضهم يعرف اسمه ولا يعرف أنه أخو زيد؟ فإذا قلت: زيد رأيت أخاه عمرا، فقد جمعت له الاسم والأخوة، فعرفه من لم يعرفه من الجهتين جميعا، فكذلك إذا قلت:مررت بزيد رجل صالح، فقد يجوز أن يعرف زيدا، ولا يعلم أنه رجل صالح، فقد ذكرت صلاحه ليعرفه المخاطب كما عرفته"(*).

وهذا الذى ذهب إليه الصيمرى، من أن البدل لا يعنى إلغاء المبدل منه، لا يصلح فى البدل المباين ــ كما سيأتى ــ وإن صح فى بقية أقسام البدل .

والبدل المباين ثلاثة أقسام هى: الغلط والنسيان والإضراب ، وهذه الأقسام الثلاثة من البدل المباين، تجعله من أظهر الموضوعات النحوية المتصلة بالجانب النفسى فى النحو العربى، وذلك مسوغ يدعونا للوقوف عليه وقفة متأنية.

وأقسام البدل المشهورة أربعة هى:

١-بدل المطابقة(أو بدل كل من كل)

(*)التبصرة والتذكرة ، لعبد الله بن على الصيمرى ، ج١ /١٥٦.

٢-بدل بعض من كل

٣-بدل الاشتمال

٤-البدل المباين

وهناك قسم خامس، اختاره السيوطى ــ خلافا لجمهور النحاة ــ وهو بدل كل من بعض[(١)].

والقسم الذى يعنينا كثيرا من هذه الأقسام فى هذه الدراسة هو البدل المباين بأنواعه الثلاثة: بدل الغلط وبدل النسيان، وبدل البداء أو الإضراب. وقد جمع ذكرها سيبويه بقوله:

"وإنما يجوز رأيت زيدا أباه ، ورأيت زيدا عمرا ، أن يكون أراد أن يقول: رأيت عمرا، أو رأيت أبا زيد، فغلط أو نسى، ثم استدرك كلامه بعد، وإما أن يكون أضرب عن ذلك فنحاه، وجعل عمرا مكانه"[(٢)].

وإذا ما تأملنا السلوك النفسى وجدنا أن الغلط والنسيان والبداء أو الإضراب ، من أشهر مظاهره التى عنى بها علماء النفس، وأفردوها بالدراسة النظرية والتجريبية. ومن هنا كان التلاحم بين النحو باعتباره فرعا من فروع علم اللغة، وبين علم النفس الذى يعالج كل واحد من الموضوعات الثلاثة السابقة باعتباره مظهرا من مظاهر السلوك النفسى، فبينما يعالج النحو كل واحد منها على أنه مكون من مكونات الكلام فى اللغة العربية، يعالج علم النفس كل واحد منها بوصفه سلوكا نفسيا عند الإنسان.

أولا - بدل الغلط :

وذلك فى نحو قولك:أكلت عنبا تفاحا)، حيث يسبق لسانك إلى ذكر الأول، وأنت تقصد الثانى، فتقول: أكلت عنبا، فتتدارك الغلط فى الحال، فتقول: تفاحا.

فهذه صورة من بدل الغلط، وهى الاستدراك بعد النطق بالكلمة (المبدل منه) كاملة بحروفها الثلاثة (ع ن ب) . وقد يقع الاستدراك قبل إتمام

(١)همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ج٢/٢١٦.

(٢)كتاب سيبويه ١/١٥١ــ١٥٢.

النطق باللفظ، فيقطع المتكلم كلامه على حرف العين أو النون مثلا، فيقول:أكلت عـِ ٠٠٠ تفاحا)، أو:أكلت عِنَ ٠٠٠ تفاحا). وربما خرج صوت النون بدون حركة،واستدرك المتكلم على نفسه قبل أن يخرج حركتها، وعندئذ يكون كلامه على هذا النحو (أكلت عِنْ ٠٠٠ تفاحا).

وغالبا ما يكون ذلك كله مصحوبا بتردد واضح فى النطق، مما قد ينتج عنه حبسة[١] أو تأتأة طارئة لحظة قطع الكلام.

وهذه التأتأة ظاهرة لغوية نفسية تعترى المتكلم بسبب الحرج الواقع عليه من سبق الخطأ إلى لسانه. وهى ليست تلك التى تناولها كل من اللغويين وعلماء النفس بوصفها أحد عيوب النطق، لأن التأتأة المعيبة غالبا ما تكون ملازمة صاحبها ، بل وقد تكون بسبب خلل فى جهاز النطق، وأما هذه فهى طارئة. إلا أنه قد يجمع بين نوعى التأتأة عامل واحد، هو العامل النفسى الذى فسرناه بالحرج.

وهذه الصورة الثانية من بدل الغلط، التى يقع فيها اللفظ المبدل منه قبل إتمام النطق به، صورة لم يعن بها النحويون العرب، لأنها فيما يبدوا غير داخلة عندهم فى باب البدل ، إذ لم يذكر فيها المبدل منه تاما(يعنى قطع اللفظ عن النطق قبل إتمامه) .

ومهما يكن من أمر فى تقسيم البدل عند النحاة العرب ، فالحقيقه أن هذه الصورة جزء مكمل لدراسة بدل الغلط.

ومعنى بدل الغلط: البدل الذى كان سبب الاتيان به الغلط فى ذكر المبدل منه، لا أن البدل هو الغلط [٢].

والواضح أن هذا النوع من الغلط، إنما يقع بسبب سبق اللسان إلى ذكره غلطا، كما صرح بذلك أبو حيان فى ارتشاف الضرب[٣]. وقال ابن

(١)راجع كلام الجاحظ عن الحبسة فى البيان والتبين، بتحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجى، القاهرة، د.ت، ج١/٣٩.

(٢)شرح الرضى على الكافية، ج٢/٣٨٦.

(٣)ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسى، تح أحمد النماس، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٦٢٥.

يعيش: " وإنما يكون مثله فـــى بــدأة الكلام، وما يجىء على ســـبيل ســـبق اللسان إلى مالا يريده فيلغيه حتى كأنه لم يذكره، وذلك نحو(مـــررت برجـــل حمار)، كأنك أردت أن تقول ومررت بحمار)، فسبق لسانك إلى ذكر الرجل، فتداركت وأبدلت منه ما تريده"[١].

ومثل هذا النوع من الغلط إنمـــا يقـــع بدافع لا شعورى، يمكـــن أن يفســـر بالسهو، أو الغفلة أو العجلة أو غيـــر ذلـــك مـــن الأعـــراض النفســـية، ك (Disorder) الذى قد يؤدى إلى خطـــأ أو بطء فى الإدراك، ينتج عنه الغلط فى التعبير[٢].

والدافع اللاشعورى بمعناه العام هو الدافع الذى لا يشعر به الفرد أثناء قيامه بالسلوك، أيا كان السبب فى عدم الشعور به[٣]. ويرى فرويـــد- زعـــيم مدرسة التحليل النفسى ــ أن وراء كل هفوة دافعا لا شعوريا ، لا يفطن الإنسان إلـــى وجـــوده أو صلتـــــه بالهفوة[٤]. وعلى هذا يمكن تفسير بدل الغلط فى قول القائل : (أكلت عنبـــا تفاحا)، بأن المتكلم كان يشتهى العنب أصلا، وبقيت هذه الشهوة لأكل العنب ملازمـــة لـــه فـــى العقـــل البـــاطن (اللاشعورى)، ثم أكل التفاح، ولكـــن لسانه سبقه إلى ذكر العنـــب؛ لـــذلك الارتباط اللاشعورى به، ثم تبين لـــه الغلط فصححه حالا . وهـــذا الـــدافع اللاشعورى يمكن أن يتعـــدد، لتعـــدد المواقف النفسية التى يمر بها المتكلم.

ثانيا- بدل النسيان:

لقد أحسن النحاة العـــرب فـــى تقسيمهم البدل؛ إذ جمعوا كلا من بدل الغلط، والنسيان والبداء فى قسم واحد، هو البدل المباين، بل إن من النحاة من جمع بدل الغلط وبدل النسيان فى قسم واحد، وسماه بدل الغلط[٥].

ولو تأملنا الأنواع الثلاثة لتبين

---

(١)شرح المفصل، عالم الكتب ، بيروت، د.ت ، ج٣ ص٦٦ .

(٢) انظر أسس علم النفس العام، سعد جلال، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٧٠٠ .

(٣)أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، ص١٠٩.

(٤)نفسه ص ١١٣.

(٥)شرح التصريح على التوضيح، ج١٥٩/٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران.

لنا أنها مرتبطة بصلة نفسية وثيقة، وكثيرا ما يذكر الغلط والنسيان فى سياق واحد، وقد جاء فى الحديث" رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" .

وكما فسرنا وقوع بدل الغلط فى الكلام، بوجود دافع لاشعورى، فإن النسيان أيضا قد يكون وراءه دافع لاشعورى، كما يقرر ذلك علماء النفس، حيث"اتضح أن كثيرا من حالات النسيان تكون تعبيرا مباشرا عن دوافع لاشعورية"[1]. ومثاله فى البدل قول القائل: (فاز زيد عمرو)، ويقصد الإخبار عن فوز عمرو لا زيد، ولكنه نسى فقدم ذكر زيد، يعنى اعتمد ذكر ما هو غلط، ليس لسبق لسانه إلى ذكره، وإنما لنسيانه المقصود، ثم أدرك الصواب فذكره حالا مكان الخطأ. والفرق بين سبق اللسان إلى الخطأ وبين النسيان جلى ، ويربطهما دافع لاشعورى كما سبق. وقديما قيل: إن الغلط يتعلق باللسان، والنسيان يتعلق بالجنان وهو القلب[2].

والنسيان ــ كما يعرفه علماء النفس ــ هو فقدان طبيعى جزئى، أو كلى، مؤقت، أو دائم، لما اكتسبناه من معلومات ومهارات حركية "[3].ومن النسيان: النسيان بالكبت، الذى يمكن اعتبارة نسيانا بالتداخل ــ تداخل رغبة لاشعورية، لايفطن الفرد إلى وجودها ، مع رغبة شعورية هى القصد الظاهر للفرد، كما هى الحال فى فلتات اللسان وزلات القلم[4] .

والرغبة اللاشعورية الكامنة فى نفس القائل فى الجملة السابقة(فاز زيد عمرو) هى رغبته فى فوز زيد، لاعمرو، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق، إذ فاز عمرو، فبقيت فى لاشعور المتكلم، وعندما أراد أن يخبر عن الفوز ، غلبه الدافع اللاشعورى ، فكان

---

(١)أصول علم النفس أحمد عزت راجح. ص ١١٣.

(٢)شرح التصريح على التوضيح ، ١٥٩/٢.

(٣)التعلم، نظريات وتطبيقات تربوية، أحمد عبادة، دار الحكمة ، البحرين، ١٩٩٣، ص١٥٧.

(٤)أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، ص ٢٥٣.

ظاهر كلامه أنه أبدل من زيد عمـرا. وأما القصد الحقيقى للمتكلم فهو(فـاز عمرو) .

وعلى هذا يمكن تفسير النسيان ــ بما فى ذلك النسيان فـى التعبيـر اللفظى عن الشىء ، ــ يعنـى بـدل النسيان ــ يمكن تفسيره بمبدأ حتميـة السـلوك Pychic deteminis ، والحتميـة اعتقاد بأن أى حادث فى الطبيعية ، له أسباب وليس مجرد الصدفة الحضـة. وتعنى الحتمية فـى الإنسـان، إن أى عمل يقـوم بـه أو أى فكـرة أو أى انفعال[يصدر منه] لـه أسـبابه، وإن كانت هذه الأسباب معقدة، [يصعب] معرفتها لتعقد الكائن الحى نفسـه ، وتعقد بيئته. فالسلوك وراءه دافع، فإن لم تكن هذه الدوافع شـعورية، فهـى دوافع لاشعورية، فزلات القلم واللسان والنسيان، أو أى حادثة من الحوادث، كلها تخفى وراءها رغبات مسـتترة، كما أنها ترمى إلى هدف[1].

ثالثا- بدل البداء أو الإضراب:

(البداء) لغة، الظهور يقال : بدا الشىء يَبْدو بَدْوًا وبَدَاءً وبَدًا أى ظهر. ويقال : بَدا لى بَداءٌ، أى تغير رأيـى على ما كان عليه. وقال الفراء: بـدا لى بَداءٌ أى ظهر لى رأى آخر. وقال ابن الأثير: والبَداء: استصواب شـىء علم بعد أن لم يعلم[2].

ومن هذا يتبـين أن مصـطلح البداء فى البدل، يدل على إثبات لفـظ مكان لفظ بعد أن يظهر للمـتكلم رأى آخر، يحمله على تغيير كلامه، بحيث لا يهدم التركيب كله، ولكنه يبدل لفظا بلفظ. وقد وضح السيوطى هذا المعنى الاصطلاحى بقوله:" وهو مالا تناسب بينه وبين الأول[- يعنى المبدل منه-] بموافقة، ولاخبرية، ولا تلازم، بل هما متباينان لفظا ومعنى نحـو(مـررت برجل امرأة). أخبرت أولاً أنك مررت برجل ، ثم بدا لـك أن تخبـر أنـك مررت بامرأة ، مـن غيـر إبطـال الأول ، فصار كأنهما إخباران مصرح

(١)أسس علم النفس العام، سعد جلال، ص٢٩٨.

(٢)لسان العرب (بدأ) .

بهما"[1]. وهذا معناه أن المتكلم يذكر المبدل منه عن قصد وتعمد، ثم يـــوهم أنه غالط لكون الثانى أجنبيا.

وقال ابن عصـــفور: " هـــو أن تبدل لفظا تريده عن لفظ أردته أولاً ثم أضربت عنه"[2].

وأما(الإضراب) لغة فهو مـــن أضْرَبَ عن الشىء يضرِب إضْـــرابا، أى كف وأعرض وصـــرف عنــــه[3]. والكف فى بدل الإضراب، يكون عن المبدل منه إلى البدل.

ومن هذا التعريف اللغوى يتبين أن الطرح ــ يعنى طرح المبدل منــــه ــ مقصود فى بدل الإضـــراب علـــى اختلاف بين النحاة فى ذلك. ولكـــنهم متفقون على أن البدل عندئـــذ يكـــون على معنى حرف الإضراب. ولايقـــع هذا الإ بسبب تردد يطرأ على ســـلوك المتكلم ولذلك قالوا: إنه لايقع فى قرآن ولا شعر فصيح ولا فى كلام صـــادر عن روية وفطانة، وإنما يكون علـــى جهة سبق اللسان[4]، ويتضح من هـــذا أنه يجمع بين البداء والإضراب عامل نفسى واحد، هو التردد، الذى سبق أن تبين لنا أنه رد فعل ظـــاهر للتنـــافر المعرفـــى (Cognitive dissonance)، ممـــا يجعل المتكلم مضطربا، يصدر منـــه اللفظ، ثم يبدو له غيره، فيبدل منه أو يضرب عنه إلى غيره، كما فى قـــول القائل(أكلت خبزا تمرا)، فـــأخبر أولاً أنه أكل خبزا، ثم بدا له أن يخبر أنـــه أكل تمرا، فأبدل من الخبز تمرا عـــن قصد لا عن خطأ، أى أنه أضرب عن الأول (الخبز) ــ بعد أن قصـــده ــ وذكر الثانى؛ وإنما وقع هذا الإضراب بسبب تردد طرأ على المتكلم.

وهذا التفسير الذى أخذنا به فى وقوع بدل البداء أو الإضراب ، قد لا يصلح فى جميع أحوال هذا البدل، فقد ذكـــر النحـــاة أن هذا النوع من البدل

(١)همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، ج ٢/٢١٤ – ٢١٥.

(٢)المقرب ، ص ٢٦٧ .

(٣)لسان العرب (ضرب)

(٤) انظر شرح الرضى على الكافيه ، ج٢/٣٨٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ج٣/٦٦، والتبصرة والتذكرة ، ج١/١٥٩.

يعتمد فى الكلام كثيرا للمبالغة والتفنن فى الفصاحة... كقولك :(هند نجم بـدر شمس)، كأنك ــ وإن كنت معتمد الذكر ــ تغلط نفسك، وترى أنك لم تقصد فى الأول إلا تشبيهها بالبدر، وكذا قولك بدر شمس[1].

هذا وقد وقف سيبويه على الأنواع الثلاثة وفرق بينها فقال:

"هذا باب المبدل منه، والمبدل يشرك المبدل منه فى الجر، وذلك قولك: مررت برجل حمار، فهو على وجه محال، وعلى وجه حسن" فأما المحال فأن تعنى أن الرجل حمار، وأما الذى يحسن فهو أن تقول (مررت برجل)، ثم تبدل الحمار مكان الرجل فتقول: حمار؛ إما أن تكون غلطت أو نسيت فاستدركت، وإما أن يبدو لك أن تضرب عن مرورك بالرجل ، وتجعل مكانه مرورك بالحمار، بعدما كنت أردت غير ذلك"[2].

ومن هذا يتبين أن " القصد " هو الحد الفاصل بين الأنواع الثلاثة للبدل المباين، يعنى هل المبدل منه مقصود قصدا أولا؟،لأن البدل لابد أن يكون مقصودا على ماسبق إليه اللسان، فهو بدل الغلط. وإن قصده المتكلم، ثم تبين له فساد قصده، فهو بدل النسيان. وأما إن تعمد قصده ثم وهم أنه غالط، لكون الثانى أجنبيا، فهو بدل البداء أو الإضراب[3].

وبعد، فهل البدل فى الكلام العربى مؤشر من مؤشرات المرض فى النطق، لدى المتحدث، معدود فى الاضطرابات اللغوية التى عنى بها علم النفس اللغوى؟

لقد تبين لنا ــ فيما سبق ــ صلة البدل المباين ببعض مظاهر السلوك النفسى، كالنسيان والغلط والتردد والاضطراب والحبسة والتنافر المعرفى وزلات اللسان، وكل هذه المظاهر أعراض مرضية .

ومن هنا يبدو أن كثرة اعتماد البدل المباين فى الكلام يدل على اضطراب فى السلوك اللغوى لدى

(١) شرح الرضى على الكافية ج٣٨٦/٢.

(٢) الكتاب ج٤٣٩/٢.

(٣) انظر شرح الرضى على الكافية ج٢٨٦/٢.

المتحدث، مما يعد من العوارض المرضية المنافية للفصاحة والانطلاق فى الكلام. وذلك مما يعيق مقدرته على تنسيق الوحدات اللغوية وانتقائها انتقاء متأنيا .

والملاحظ فى ذلك كله أن الاضطراب يصيب المستوى اللفظى فحسب، وأما التركيب النحوى فإنه يبقى سليما. ولعل البدل فى مثل هذه الحالات علاج للمحافظة على سلامة التركيب وإن وقع الاضطراب فى النطق.

هذا فيما يتعلق بالبدل المباين أما بقية أنواع البدل، فلاشك أنها لا تدل على عوارض مرضية، بل الاعتماد على أحدها يدل على زيادة إيضاح فى الكلام، لأن المتكلم إنما يلجأ إليه لبيان الكلام وتوضيحه وتأكيده.

الدكتور على محمد المدنى

كلية الآداب - جامعة البحرين

مصادر البحث

١-ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسى، تح، أحمد النماس، مطبعة المدنى .

٢-أسس علم النفس العام، سعد جلال، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، ١٩٨٠,

٣-أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٧٣م.

٤-البيان والتبيين، تح. عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجى، القاهرة د.ت.

٥-التبصرة والتذكرة، لعبد الله بن على الصيمرى، تح. فتحى أحمد على الدين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

٦-التعلم، نظريات وتطبيقات تربوية، أحمد عبادة، دار الحكمة، البحرين، ١٩٩٣,

٧-التوابع فى الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الزهراء، القاهرة.

٨-التوابع فى النحو العربى، محمد يسرى زعير، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٧٩م.

٩-حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـ.

١٠-سيكولوجية اللغة والمرض العقلى، جمعة سيد يوسف، سلسلة أعلام المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م .

١١-شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، انتشارات ناصر خسرو، طهران.

١٢-شرح الرضى على الكافية، للرضى الأسترابادى، تح. يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.

١٣-شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

١٤-علم اللغة، مقدمة للقارئ العربى، محمود سعران، ص٦٩، دار النهضة

العربية، بيروت، د.ت .
١٥-علم اللغة النفسى، عبد المجيد سيد أحمد منصور، جامعة الملك سعود، الرياض، ,١٩٨٢
١٦-علم النفس اللغوى، نوال محمد عطية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ,١٩٨٢
١٧-كتاب سيبويه، تح. عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة،١٩٨٣م.
١٨-لسان العرب (بدا) .
١٩-اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، عبد العزيز عبد المجيد، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦١م.
٢٠-اللغة وعلم النفس، لموفق الحمدانى، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، بغداد.
٢١-محاضرات فى علم النفس اللغوى، حنفى بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.
٢٢-مصطلحات النحو الكوفى، دراستها وتحليل مدلولاتها، عبد الله الخثران، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ,١٩٩٠
٢٣-المقرب، لابن عصفور، تح أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ,١٩٨٦
٢٤-همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطى، تح. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٩م.
٢٥- Atkinsons, k et al, Introduction to psychology, Harcourt Brace Jovanovich College Publishers, New York, 1991.
٢٦- Foss, D. j., and Hakes, D.T., psycholinguistics, An Introduction to The Psychology of Language, Prentice-Hall, Inc, New jersey, 1978
٢٧- Hartly, J., The Psychology of written Comunication, Kogan Page, London, 1980
٢٨- Kess, J. f., Psycholinguistics Introductory Prespectives, Academic Press, New York,1976
٢٩- Prucha, J., Information Sources in Psycholinguistics, Mouton, The Hague, Paris, 1972
٣٠ Riebe,R.W.,(editor),Psychology- of Language and Thought, Plenum Press, New York, 1980.P.3

جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تعريب المصطلح العلمي

للأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز

توطئة

مجمع اللغة العربية بالقاهرة من ثمار النهضة العربية الحديثة ، وتلبية لحاجة شعرت بها الأمة العربية لكي تكون لغتها الفصحى وافية بمتطلبات الحياة المعاصرة وملائمة لمقتضيات الآداب والعلوم والفنون .

لقد بدأ زعماء النهضة الفكرية الطهطاوي وعلى مبارك والشدياق ومحمد عبده وحفني ناصف .. وغيرهم يحسون بما في العربية من، عجز وقصور ، وبأن مفرداتها لا تفي بحاجات أهلها في مجالات التعبير المختلفة . وجَهَد هؤلاء - فيما كتبوا أو ترجموا - في معالجة هذا العجز وهذا القصور ، لكن جهودهم لم تكن كافية أو محققة لما تطلعوا إليه، فنشطت بينهم الدعوة إلى إنشاء هيئة تقوم على اللغة العربية ، تنهض بها في غير طفرة ، وتسير بها إلى الأمام في حزم وحكمة .

ظهر مجمع (البكري) سنة ١٨٩٢، وكان معنياً بألفاظ الحياة اليومية وتنقيتها من الدخيل والعامي، ولكنه لم يعمر طويلا ، ثم انعقدت ندوة أبناء دار العلوم سنة ١٩٠٨، وألقيت فيها بحوث في اللغة العربية ووسائل تنميتها، وانتهت الندوة بقرار في تعريب المسميات الحديثة، وبالدعوة إلى إنشاء مجمع للغة العربية، وتأليف لجان لاقتراح الألفاظ الفصاح للشائع في لغة الناس من العامي والدخيل.

وفي عام ١٩١٦ كون أحمد لطفي السيد مجمع (دار الكتب) على غرار الأكاديمية الفرنسية ، ودرس بعض المصطلحات وألفاظ الحياة العامة ، .. بيد أنه لم يعمر طويلاً

فانفض على إثر قيام ثورة ١٩١٩ .

وفي عام ١٩٣٢ صدر مرسوم بإنشاء (مجمع اللغة العربية) صدى لتلك المحاولات السابقة ، وبدأ دور انعقاده الأول في يناير ١٩٣٤ ، وفي هذه الدورة المباركة وضع لائحته، وحدد أهدافه ووسائل تحقيقها، وما إن فرغ المجمعيون من هذه الإجراءات حتى تفرغوا لمهمتهم الأصلية ، وعنوا خاصة بأصول اللغة وأقيستها العامة ، وقدموا فيها بحوثًا قيمة ،واتخذوا قرارات فيها تجديد وسعة .

وقد حرص المجمع - منذ إنشائه – على تحقيق هدفه في أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية لمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، وملائمة لحاجات الحياة الحديثة ، وتنوعت وسائله في تحقيق هذا الهدف، ومن تلك الوسائل:

تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف ، وتوفير المصطلحات العلمية ، وألفاظ الحضارة ، وتهذيب المعجمات اللغوية ، ووضع معجم تاريخي شامل العربية،وتشجيع الإنتاج الأدبي،وإحياء التراث القديم في اللغة والأدب .

وما زال المجمع – بحمد الله – قائمًا على تحقيق تلك الأهداف مصطنعًا إليها أيسر الوسائل وأنجعها، وما زال المجمعيون – برعاية الله - عاكفين بروية وفي صمت على العمل في الحفاظ على الفصحى وتنمية ثروتها وتيسير استعمالها للوفاء بأغراض الناس بعامة والعلماء بخاصة .

١–جهود المجمع في وضع الأسس المنهجية للاصطلاح

وقد واجه رجال النهضة من الأدباء والعلماء مشكلة المصطلح بقدر ما سمحت لهم ظروفهم ومعارفهم ، فكانوا يؤدون الحقائق العلمية أداء لا يخلو من تعجل ونقص وقصور ، ومن ثم كانت مهمة المجمع عسيرة ، ومع ذلك فلم يتردد في أن يضطلع بالعبء - على ثقله - منذ الدورة الأولى

لانعقاده . ومن ثم أعد لهذا الأمر عدته فتعددت لجانه العلمية المختصة بأبواب المعرفة المتعددة ، وهي في أغلبها لجان مصطلحات ، وبدأت أعمالها في جمع المصطلحات من مظانها القديمة ومصادرها الحديثة وتوثيقها ومراجعتها وإقرارها .

ولم يستقم للمجمع لأول وهلة - ومع توفر كم عظيم من المصطلحات - منهج واضح لوضع المصطلحات وإقرارها ، بيد أن هذا المنهج - بتنامي أعمال اللجان العلمية وحرصها على متابعة التقدم العلمي المتسارع ، وبروز عوائق في نقل المصطلحات من مصادرها الحديثة - بدأ يتضح شيئًا فشيئًا ليستقر في نهاية الشوط .

وسوف نغمط المجمع حقه إذا توقفنا في البحث عن هذا المنهج في قراراته العلمية لأنها - في أغلبها تتعلق بالنواحي الإجرائية الخاصة بجمع المصطلحات ودرسها ونشرها - فلم تعتن تلك القرارات بالأبعاد النظرية للمنهج بقدر عنايتها بصناعة المصطلح وتأليف المعجمات . بيد أن الأمر سوف يكون في نصابه إذا ما وضعنا في الاعتبار البحوث التي ألقاها أعضاؤه في مجلسة أو في مؤتمره أو نشرت في مجلته الرصينة.

ولهذه البحوث أهمية كبيرة ، لأنها لا تمثل أصحابها فحسب بل تمثل - في الغالب - رأيًا مستقرًا بين المجمعيين يكاد يصل إلى مرتبة القرارات في الاحتجاج .

وقد أوفت هذه البحوث بهذا الجانب المنهجي خير الوفاء على ما سنراه بعدُ .

١-٢ المصطلح بين العلماء واللغويين

المصطلح - كما يقول الدكتور إبراهيم مدكور : أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء .. وهو جزء من المنهج العلمي ، ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداء صادقًا .. والمصطلح ثمرة من ثمار العلم يسير بسيره ويتوقف لوقوفه .. وتاريخ

العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها".

ويقول - في مدى حرية العالم في وضع المصطلح - وللعالم أن يختار اللفظ الذي يرتضيه لأداء الحقيقة العلمية ، وحقه في وضع مصطلحة واضح ، وحريته ينبغي أن تكون كاملة .. لأنه هو الباحث عن الفكرة ولابد له أن يبحث عن الثوب الذي يلائمها فيضع لها اللفظ المطابق، مستمدًا إياه من الفصحى أو العامية ومستعينًا بلغات حية أو ميتة " .

ويقول عن طبيعية العلاقة بين العالم واللغوي : وقد يشكو العلماء من قصور اللغة عن أداء ما يريدون فيلجئون إلى الرموز والإشارات ، كما صنعوا في الرياضة والكيمياء ، وللغويين شكواهم من تهجم العلماء على اللغة ، ويأخذون عليهم أنهم ربما اشتقوا على غير قاعدة ، ونحتوا في غير داع ، وعربوا وأدخلوا ألفاظًا أجنبية " .

ويقول في حسم تلك المشكلة : ولا شك أن في اللغة فنًا ، وأن للفن قيوده وأوضاعه ، ولكن لا شك في أن للعلم دقته ، وأن الحقيقة العلمية يجب أن تؤدي أداء صادقًا ، وعلى هذا لا يصح أن تقف قدسية متن اللغة حجر عثرة في سبيل تقدم البحث العلمي ".

١-٣ اللغة العلمية

اللغة العلمية - كما يحدها الدكتور محمد كامل حسين : هي من حيث صفاتها العامة يجب أن تطابق روح العلم الذي تتناوله وطبيعته ، ويجب أن تكون محدودة الألفاظ واضحة المدلولات، بسيطة الأسلوب، وأن تكون قابلة للنمو الذي لا حد له ، وأن تسمح طبيعتها بالتصنيفات العلمية الحقة التي تتبني على صفات لها خطرها ، ولا ينبغي - على أية حال - أن يضحي فيها بشيء من الدقة والوضوح في سبيل الفصاحة أو الجمال ، ويحسن أن تكون بعيدة عن متشابه القول في اللغة العامة .

١-٤ صفات المصطلح العلمي

يحددها الدكتور محمد كامل حسين بما يأتي :

- أن يكون لفظًا لا عبارة حتى يسهل تداوله .

- أن يكون محدد المعنى تحديدًا تامًا، ولهذا حسن تجنب الاشتقاق من ألفاظ الحياة العامة . ولكي يتجاوز العلماء هذه المشكلة لجئوا إلى اللغات الميتة ، فأشتقوا منها وحددوا لألفاظها مدلولات لم يقل بها أحد ، واستباحوا في هذه السبيل كل خطأ وتجاوز وتأويل ، ولم يكن ذلك مستطاعا في لغة حية .

- أن تكون المصطلحات - بطبيعتها - قابلة للتنسيق العلمي .

- أن تكون قابلة للنمو والزيادة .

وبمراعاة تلك الصفات أقام العلماء بناء علميًا ضخمًا قوامه عدد لا يكاد ينحصر من الألفاظ الجديدة التي توافق طبيعة العلوم ، ونجحوا في جعلها رموزاً دقيقة واضحة فيها فائدة الرمز وسهولة التداول ، وبساطة العلاقات ، وتفادوا كل عيوب لغة التفاهم وملابسات المعاني المرتبطة بالألفاظ العامة ".

١-٥ المصطلحات منظومة

لقد كان المجمعيون واعين تمامًا بأن المصطلحات العلمية ليست مفردات فحسب ، بل منظومة تتعقد بينها علاقات ، ومن ثم يفسر بعضها بعضًا .

يقول الدكتور أحمد عمار : المصطلحات العلمة تسودها علاقات نظامية انسجامية أملتها مقتضيات الترتيب المنهاجي " ومن ثم فقد أوجب عند الإجراء : ألا تترجم أشتاتًا وفرادى إلا إذا كانت منقطعة الصلة بأية مصطلحات سواها تمت إليها بقربي . أما إذا كانت مرتبطة بمصطلحات أخرى في أصل الاشتقاق أو في ضروب التصريف أو في العلاقات المعنوية كالضدية أو التغاير أو التناظر فمن الواجب أن تسلك في مجموعة مطردة التساوق ، ومن شأن هذا المسلك : إضفاء مزية التنظيم العلمي والانسجام الصياغي على رصيدنا المصطلحي وفقًا للمنوال العلمي ، وتيسير حفظ المصطلحات المصوغة بهذه الطريقة لا على حدتها

فحسب ، بل على التقابل مع نظائرها الأجنبية " .

١-٦ ما ينبغي أن يتوفر في منظومة المصطلحات العربية

لعله من فضول القول أن نتحدث عن حاجتنا إلى منظومة مصطلحية عربية لكل علم من العلوم ولكل فرع منها وأن نتحدث عن عجزنا عن ملاحقة ما يستحدث من مصطلحات في اللغات الأجنبية ، ولكنه حديث لا بد أن يقال .

وقد كان المجمع حريصًا غاية الحرص على أن يوفر تلك المنظومة بكل سبيل ، وقد تبين للمجمعيين منذ بدأت اللجان العلمية المختصة بالمصطلحات علمها أنهم لن ينجحوا في هذا العمل إلا إذا توفرت له دواعيه من تهيئة العربية له بتوسيع أقيستها وأحكامها العامة وتيسير الانتفاع بأبنيتها ، ومن وضع القواعد المنهجية التي تجرى عليها اللجان في أعمالها ، وقد كان بلاء المجمعيين في الأمرين حسنًا ، وسنعود إلى الأمر الأول في موضعه من البحث .

أجمل المجمع هدفه من وضع المصطلحات - ما دامت قائمة على منظومة متوفرة في اللغات الأجنبية - في : أن تكون موائمة لنظائرها الأجنبية في كل ما هو من خصائصها، ومن شأن هذه المواءمة أن تسد الفجوة العلمية السحيقة بيننا وبين التقدم العلمي ، وأن تكون العلاقة بين المصطلح العربي والأجنبي علاقة متبادلة .

وقد بذل الدكتور أحمد عمار غاية الجهد في رسم خطة منهجية وافية لصوغ المصطلحات ، وأوجزها في مجموعة من القواعد مشفوعة بشروحها وأمثلتها ونكتفي هنا بعناوينها الرئيسية :

١-مضاهاة الإفراد اللفظي بمثله ، أي ترجمة المصطلح المفرد بمفرد مثله ، ولهذا فضل مصطلح (الصُمات) ترجمة للمصطلح aphasia على (احتباس الكلام) .

٢-إفراد المصطلح الواحد بترجمة

واحدة وقصرها عليه ، والمقصود الاقتصار على ترجمة واحدة للمصطلح الواحد والتزامها في جميع استعمالاته مثل ترجمة depression تارة بالضيق وأخرى بالاكتئاب والأولى أن تترجم بـ (الاكتباب) الذي معناه الامتلاء غمًا .

٣-مقابلة المترادفات بأمثالها : وينشأ ذلك غالبًا من الجمع بين التسمية العلمية والدارجة ولا سيما في الأمراض الشائعة فمرض (السل) مثلاً يسمى :

phthisis, consumption, tuberculosis

ويمكن أن تقابل هذه المترادفات على التوالي بـ:(الدرن والسُل والسُحاف).

٤-توخى وضوح الدلالة وتجنب إبهامها . ومن أمثلة الإخلال بهذه القاعدة ترجمة sporadic cases بالحالات المنتشرة ، والمقصود هو حدوث الإصابة ببعض الأمراض على نحو فردى لا جماعي ، وفي أماكن متباعدة لا في مكان منحصر ، والتعبير بالانتشار قد يؤدي عكس المعنى المراد ، والأصوب أن يترجم بالحالات المتفرقة لا المنتشرة .

٥-مقابلة التعدد اللفظي بمثله . ولا داعي إلى التزام ما لا يلزم من الإفراد اللفظي في ترجمة التسميات المتعددة الألفاظ ، والأحجى ترجمتها بما يساويها عددا ، ومن ثم يترجح(الشفة الأرنبية) في ترجمة :

hare lip على (العُلْمة) .

٦-تجنب الإغراب والابتذال في غير ضرورة ملجئة .

٧-توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم، إذا كان المصطلح مشترك الاستعمال بمعنى واحد بين علوم مختلفة ، ومن أمثلة تعدد ترجمات المصطلح الواحد ترجمة crisis بالبُحران في علم الأمراض وبالأزمة في الطب الباطني.

٨-مراعاة صلات الترابط الاشتقاقي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات . ومن أمثلة العثرات المسببة عن إغفال هذه القاعدة أن

مشتقات الأصل الأجنبي Trophy وهي : Trophic Nerve, Trophic Disturbance, و Dystrophy, Atrophy, Hypertrophy : قد ترجمت بألفاظ متباعدة لا ترابط ولا تناسق بينها وهي : عصب الاغتذاء ، وحَثَل وسَغَل ، وضمور ، وضِخَم .

٩-الترخص في التحلل من القديم إذا لم تتوافر صلاحيته للاستعمال الاصطلاحي الحديث .

١٠-إيثار الألفاظ النادرة التداول ، والغرض من ذلك هو تخصيص الكلمة بمعناها العلمي ، وضنا بهذه المعاني عن الابتذال ، وتحرزا من إقفار اللغة من رصيدها من الألفاظ المتداولة ، ولهذا يفضل في ترجمة المصطلح Deficiency Diseases المصطلح العربي أمراض الإعواز على أمراض النقص .

١١-التوسع في تطويع اللغة للاشتقاق، لأن الاشتقاق هو الطريقة المثلى لصوغ المصطلحات العلمية وهو أقرب إلى طبيعة اللغة العربية .

١٢-قصر التعريب (النقل الصوتي) على مقتضيات الضرورة وتوخى الخفة .

١٣-استعمال النحت جائز ، ولكنه غير مستحب ، لأنه نادر في العربية، واللجوء إليه مشروط .

١-٧ المنهج المعتمد وإجراءات تحقيقه

وفي سنة ١٩٨٠ قدم الدكتور محمود مختار إلى المجمع نهجًا علميًا في ترجمة المصطلحات أو تعريبها كي يستنير بها العلماء كافة . وقد أقره المجمع وأبلغه المجامع والهيئات اللغوية والعلمية في البلاد العربية ، ومما جاء فيه :

١-وضع المقابل الإنجليزي أو الفرنسي بإزاء المصطلح العربي ، مع الاستضاءة بالأصل اللاتيني أو الإغريقي إن وجد ، ومع مراعاة أن يتفق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية الحرفية .

٢-إيثار الألفاظ غير الشائعة ، فتفضل

كلمة (امتزاز) على(امتصاص سطحي) لأن المصطلحات العلمية تحتاج إلى كلمات تحمل معناها دون أي لبس .

٣–التعريب عند الحاجة الملحة . وذلك إذا كان المصطلح يعود إلى أصل يوناني أو لاتيني أو شاع استعماله دوليًا أو كان منسوبًا إلى عَلْم عرف به بين العلماء مثل ديناميكا dynamics .

٤–عد المصطلح المعرب عربيًا وإخضاعه لقواعد اللغة في الاشتقاق والتصريف ، فالكلمة المعربة (أيون ion) تثنى وتجمع فيقال : أيونان وأيونات ، ويوصف بها فيقال جهد أيوني ويشتق منها مثل : أيَّن وتأيُّن ..الخ .

٥–صوغ المصطلح في مفردة ، ما أمكن لأن ذلك يساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة .

٦–توحيد المصطلحات المشتركة عربية أو معربة ذات المعنى الواحد بين فروع العلم المختلفة .

٧–تحديد مصطلحات علمية دقيقة تفرق بين الألفاظ المترادفة أو المتقاربة المعنى فمثلاً : resistance تقابل المقاومة بينما تقابل reluctance الممانعة .

٨–يعرف المصطلح تعريفًا بينا واضحًا .

٩–يكتب اسم العلم الأجنبي وكذلك المصطلح المعرب بالصورة التي ينطقان بها في لغتها .

١٠–تكتب المصطلحات الأجنبية في المعاجم مبدوءة بحروف صغيرة ما لم تكن أعلامًا ، ويلاحظ في المصطلح العربي المقابل ألا يعرف بالألف واللام تيسيراً للكشف عنه في المعجم.

٢– طرق الوضع

لم ي رج المجمع – كما يقول الدكتور مدكور : عن وسائل الوضع اللغوي المألوفة ، فقال بالاشتقاق والنحت والتعريب ، ولكنه يسر أمرها وأفسح مجال تطبيقها ، وأقر فيها أصولاً ما أجدر المؤلفين والمترجمين أن يفيدوا منها ".

وقد كان قرار المجمع في التعريب الذي صدر في الدورة الأولى بداية بحث ومراجعة حتى عهد قريب جدًا ، يقول القرار : يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم وكذا كان قراره في تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد وجواز استعمال الألفاظ المولدة واللذان صدرا في الدورة نفسها .

٢-١ المصطلح العمي بين اللفظ العربي والمعرب

وقد كان علاج المجمع لهذه الموضوعات في هذه المرحلة من حياته المديدة المباركة بشيء من الحذر والحيطة ، فقيد التعريب بالضرورة والتوليد بعدم مخالفته للقياس ، ومن ثم استمر البحث والجدل فيها واتجه الرأي - فيما يتصل بالمصطلحات خاصة - إلى اتجاهين : الاتجاه الأول يؤثر التعريب، ولكنه يستخدم اللفظ العربي في أحوال ، والاتجاه الثاني يؤثر اللفظ العربي ولكنه لا يمنع التعريب في أحوال .

٢-١-١ الاتجاه الأول :التعريب أولاً

ويمثله الدكتور محمد كامل حسين وكان - رحمه الله - يرى أن مشكلة المصطلحات العربية أكبر مما يتصورها اللغويون التقليديون ، وأن فهمنا لأبعادها ليس كافيًا للأسباب الآتية :

١-أن ما نصوغه من المصطلحات في بعض العلوم أقل مما يستحدث منها .

٢-أن ما كان منها معروفًا عند القدماء لا يفيدنا كثيرًا ولأن أكثر المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظامًا خاصًا ، ولأن اختلاف المناهج، ومذاهب التفكير العلمي يجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والجديدة محالاً.

٣-أن مشكلة المصطلحات ليست مجرد بحث عن ألفاظ ؛ لأن طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حية لتطور العلوم ، وهي تدل على ما في

تاريخ العلم من صواب أو خطأ ، وهي جزء لا يتجزأ من أساليب التفكير العلمية .

وهنا نجئ إلى لب المشكلة ، هل يمكن وضع نظام عربي خاص للمصطلحات ؟

لا يخفى الدكتور محمد كامل حسين انحيازه إلى العلم وضوابطه المحكمة ومصطلحاته المستقرة ، لأن مستقبل الأمة العربية يرتبط بتقدمها العلمي ، ومن ثم فإنه يقرر : ليس أمامنا – بكل أسف – فرصة لإيجاد نظام مصطلحي ، لقد قام بناء المصطلحات على الأصول التي أخذت عن اليونانية واللاتينية ، واصبح من المستبعد أن نغيرها مهما يكن السبب في وجودها ، المهم أنها موجودة فعلاً وأنها جزء من نظام عام، وأنها تطبعت بطابع التفكير العلمي ، فأصبحت جزءاً من العلوم وإيجاد أسس جديدة محال وعبث ".

ماذا بقى لنا إذاً ؟

يقول : بقيت طريقة التعريب ، ولا يريد الدكتور محمد كامل حسين أن يطلقها إطلاقًا عامًا بدون قيد ، ولكنه – مع ذلك – لا يريد أن يجعلها مما لا يباح إلا عند الضرورة القصوى ، وهذه مقترحاته :

١-كل مصطلح علمي خلق خلقًا جديدًا خاصًا ، ويكون من أصل كلاسيكي ، ويكون دالاً على عين من الأعيان يجب تعريبه كالأكسجين والأيدروجين.

٢-كل مصطلح علمي خلق خلقًا جديدًا خاصًا ، ويكون من أصل كلاسيكي ويكون دالاً على تصور علمي خاص يجب تعريبه ، مثال ذلك (الأنزيم) و (الأيون) هذه لا تترجم ، لأن ترجمتها تذهب بقيمتها العلمية .

٣-كل مصطلح يتبين أنه جزء من تصنيف يجب تعريبه ، ومن هذه أسماء الأجناس والأنواع في الحيوان والنبات ، وسلسلة المواد المتشابهة كيميائيًا .

٤-أما الألفاظ العلمية المشتقة من اللغة العامة مثل (المناعة) immunity

و(الكبت) Refoulement فتترجم من غير شك ، والفرق بين الاثنين أن (الأكسوجين) يفهم وتعرف خواصه كلها من غير أن نفهم أصول الكلمة ، أما المناعة فيستحيل فهمها دون معرفة معناها العام .

٢-١-٢ الاتجاه الثاني:الترجمة أولاً

في هذا الاتجاه جرت محاولات عديدة نقف عند واحدة من أهمها : محاولة الدكتور مصطفى الشهابي في مجال علوم النبات والحيوان .

يلخص الشهابي خطته في ترجمة هذه المصطلحات أو تعريبها على النحو الآتي :

أولاً : الألفاظ الدالة على الشعب والطوائف والرتب

وهذه الألفاظ قسمان : قسم له في لغاتهم وفي لغتنا أسماء مشهورة كالطوائف الخمس في شعبة الفقاريات وهي السمك والضفدعيات والزحافات والطير والثدييات ، وقسم وضعوا له في اللغة العلمية أسماء تدل على أهم صفات فيه كقولهم في طويئفات السمك أو في رتبها مثلاً ما ترجمته غضروفيات الزعانف ، ولينات الزعانف وشائكات الزعانف ... الخ . ولا مجال هنا للتعريب ، وترجمة الألفاظ بمعانيها هو المجال الأوسع .

ثانياً:الألفاظ الدالة على الفصائل والقبائل

الحيوانات والنباتات التي لها أسماء عربية قديمة أو حديثة تكون أسماء فصائلها عربية . أما التي لها أسماء معربة فتكون أسماء فصائلها معربة، فيقال : الفصيلة الكلبية والضبعية .. الخ . أما في الفصائل المنسوبة إلى أسماء معربة مثل : الفصيلة السيكاسية والصقلابية والفوقسية وأشباهها فتعرب .

ثالثا : الألفاظ الدالة على الأجناس

وهي من حيث أصولها قسمان : قسم سمى بأسماء أعلام .. ولا خلاف في تعريب تلك الأسماء مثل الزهرة المعروفة بـ (دهلية Dahlia نسبة إلى عالم سويدي اسمه دهل) . أما إذا كان لأحدها اسم عربي صحيح أو

مولد أو عامي سائغ مشهور فهو يسمى به مثل النبات المسمى بـ (غندليا Gundelia) فهو على اسم أحد العلماء ، وكان من الواجب الاكتفاء بتعريبه ، ولكن لهذا النبات اسمًا عربيًا شهيرًا هو (العكوب) لا يجوز إهماله ، أما القسم الثاني من الأسماء العلمية للأجناس النباتية فيشتمل على أسماء اشتقت أو اقتبست من اليونانية أو من اللاتينية ، ودلت على صفات بارزة لأجناس تلك النباتات ، فما عرف له اسم عند القدماء جرينا على استعماله مثل : القمح والشعير والخردل ... الخ . أما الأجناس التي لم يعرفها القدماء ، وليس لها أسماء عربية ، فالقول فيها: إذا كان اسمها قابلاً للترجمة في كلمة عربية واحدة مثل جنس الزهر المسمى (فلوكس Flox) فترجمته بالعربية (القبس) وإذا لم يكن عرب، والتعريب أصلح من الترجمة إجمالاً.

رابعًا: الألفاظ الدالة على السلالات والأصناف

وألفاظها مختلفة قد تكون نعوتًا أو أرقامًا أو حروفًا أو غير ذلك ، فالنعوت والأرقام كثيرًا ما تترجم ، أما البقية فستعمل في مختلف اللغات بلغاتها .

٢-٢حد التعريب أهو ضرورة أم قيد؟

تبين مما قلناه أن الباحثين لا يختلفون في أن التعريب لا مندوحة عنه في المصطلحات العلمية ، ولكنهم يختلفون في حدوده ومداه ، فقرار المجمع لا يستحب الترخص فيه، ويستصوب قصره على الضرورة، وبعض هؤلاء يجعل حد الضرورة استعصاء ترجمة المصطلح ترجمة ملائمة بطريق الاشتقاق ، والدكتور محمد كامل حسين مع أنه يعتده وسيلة ناجحة في إيجاد المصطلح - لا يستحب إطلاقه إطلاقًا عامًا بدون قيد، لكن القيد عنده لا يصل إلى حد الضرورة ، وحد القيد وجوب تعريب المصطلحات العلمية الخاصة ذات الأصل الكلاسيكي الدالة على عين من الأعيان أو الدالة على تصور علمي

خاص ، أو التي تعد جزءاً من تصنيف علمي عام ، أما الألفاظ العلمية المشتقة من اللغة العامة فيجب ترجمتها .

والخلاف بين هذين الاتجاهين هو – بعامة – من قبيل الخلاف على أيهما أولى بأن نبدأ به ، حيث ينبغي أن نبدأ عند الدكتور الشهابي بالترجمة على حين ينبغي أن نبدأ بالتعريب عند الدكتور محمد كامل حسين .

٣-٢ الأولويات

وفي تلك المرحلة من الحوار المتواصل بين هذين الاتجاهين دعا الدكتور الشهابي إلى الفصل بينهما ، ولخص القواعد التي ينبغي اتباعها فيما يأتي على التتابع :

١- تحرى لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي .

٢- إذا كان للفظ الأعجمي معنى علمي جديد لا مقابل له في العربية ، ترجم بمعناه كلما كان قابلاً للترجمة، أو اشتق له لفظ عربي مقارب .

٣- إذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد إلى التعريب مراعيًا قواعده على قدر المستطاع .

وقد استحسن المجمع تلك القواعد وارتضى أن يلتزم بها في أعماله، بل أكدها في عيده الخمسيني، ودعا الباحثين والعلماء إلى النهج عليها .

٣-١ قرارات المجمع في تيسير الوضع اللغوي

لم يكن لدى المجمع منذ دورته الأولى وإلى فترة من عمله خطة واضحة لمعالجة الموضوعات اللغوية، بل كان الأمر مرهونًا باهتمامات أعضائه ، وبما يتقدمون به من مقترحات ، أو بما تتعرض له لجانه من مشكلات ، ومع ذلك فقد مضى إلى غاية بعيدة في تيسير قواعد العربية وتوسيع أقيستها ، وبذلك تخطى كثيرًا من العقبات التي تعترض سبيل العلماء والكتاب وغيرهم . وبهذا التيسير أزال حرجًا ووسع ضيقًا حتى بلغ الغاية المطلوبة حين أجاز الوضع

للمحدثين بكل طرق الوضع المعروفة من اشتقاق ومجاز ونقل ونحت وتعريب . وفي ذلك إثراء للغة وتطويع لها حتى تفي بمطالب الحياة العصرية في علومها وفنونها وشئونها اليومية ، والمجمع حين توجه هذه الوجهة لم يبتدع قواعد جديدة ، ولم يخرج بقراراته عن طبيعة اللغة ونظامها الموروث ، وكان شأنه دائمًا كما يقول الدكتور مدكور : الحرص على يستأنس بما ذهب إليه الأقدمون من يسر وتيسير ، وكان معتمده في ذلك ما قرره الأقدمون من كبار علماء العربية من أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ".

ومن القرارات الهامة الخاصة بالأصول العامة

- الأخذ بالقياس ليشتمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه .
- الاحتجاج بلفظ الحديث النبوي الشريف .
- السماع من المحدثين ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان .
- فتح باب الوضع بوسائله المعروفة.

جواز التوليد فيما جرى على أقيسة العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما.

- تكملة فروع مادة لغوية لم تذكر بقيتها المعاجم .

ومن قراراته في المسائل النحوية وبخاصة ما يتصل بتيسير التعبير في الجمع والنسب .. وغيرهما:

- جواز جمع (فَعْل) على (أفعال) بغير استثناء مثل : أبحاث وأمجاد .
- جواز جمع (فاعل) على (فواعل) مثل فارس وفوارس .
- جواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، مثل نشاطات وفراغات .
- جواز جمع اسم الفاعل واسم المفعول المبدوءين بميم زائدة جمع تكسير مثل : محاصيل ومعاجم .

وغير ذلك مما قصره النحاة على السماع .

- النسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز ونحوه فيقال : كواكبي

وأخلاقي ، والمشهور أن ماله واحد من لفظه ينسب إليه بلفظ الواحد فيقال في نحو مدارس مدرسي .

- النسب إلى (فَعلية) و (فُعيلة) بحذف الياء وإثباتها . فيقال طبيعي وطبعي .

- جواز النسب إلى جمع المؤنث السالم في الأعلام وما يجرى مجراها دون حذف الألف والتاء . فيقال : الساداتي والآلاتى .

وغير ذلك مما منعه النحاة أو قصروه على السماع

وقد رأى المجمع كذلك أن أحكام التذكير والتأنيث لا تقل تشعبًا واضطرابًا عن أحكام الجمع والنسب فرأى وضع قواعد لها ميسرة . فدعا إلى :

-جواز تأنيث كل مؤنث بإلحاق التاء به فيقال : ناهدة وكاعبة .

-كل ما لم يرد فيه نص فالأنثى بالهاء والمذكر بدون هاء من غير توقف على نص .

-كل ما ليس مؤنثًا حقيقيًا كأسماء الجماد إذا لم تكن فيه علامة التأنيث كالدلو والبئر والأرض والسماء .. يجوز تذكيره وتأنيثه .

وغير ذلك مما قصره النحاة على السماع .

٣-٢ التعريب

بعد قرار المجمع بجوار التعريب عند الضرورة ، لم يتوقف البحث فيه ، وتوالت القرارات ، فصدر قراره بتفضيل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا إذا أشتهر المعرب ، وبتفضيل المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب .. الخ ثم صدرت قراراته المفصلة برسم الألفاظ الأعجمية بحروف عربية ، ووضع لها ثلاثا وعشرين قاعدة أستوعبت أكثر صورها .

وقد خضعت هذه القواعد لتنقيحات مستمرة ، بل تعرضت لنقد المجمعين أنفسهم،لأن المجمع حين أقرها- عَّول بوجه خاص على الأعلام المأخوذة عن الإغريقية واللاتينية وتأثر بطرق تعريبها القديمة، والتعريب اليوم لا

يقتصر عليها ، بل يمتد إلى لغات أخرى غربية وشرقية ، كما أن هذه القواعد كانت كثيرة ومعقدة فلم يسهل على الدارسين الانتفاع بها .

وقد اهتدى المجمع في هذه المرحلة بمجموعة من المبادئ :

-تطبيق قواعد كتابة الأعلام الأجنبية على أسماء الأشخاص والأماكن والمصطلحات العلمية المعربة ، لأنها بمثابة الأعلام .

-يكتب العلم الأجنبي على حسب نطقه في موطنه ، ويستثنى من ذلك الأعلام التي اشتهرت بنطق خاص .

-يحسن إلى أن تستقر الصورة المعربة أن تكتب معها بين قوسين صورته الأجنبية .

-في رموز العربية ما يكفى للتعبير عن الحروف الساكنة والحركات ، ومن ثم لا داعي لرموز جديدة ما عدا p ويرمز لها بباء تحتها ثلاث نقط و V ويرمز لها بفاء فوقها ثلاث نقط . وللمقابلة بين الحروف ضوابط تقرب من العشرين .

-يتوصل إلى النطق بالساكن في أول العلم بألف وصل تشكل بحركة تناسب ما بعدها أو بتحريك الحرف الساكن الأول فيه .

٣-٤ الاشتقاق

عنى المجمع في المرحلة الأولى من إنشائه بالاستعانة ببعض الصيغ التي يمكن أن تؤدي مدلولات خاصة ، وقد أنجز المجمع آنذاك بعض ما هدف إليه ، ونظر في خلاف اللغويين في القياس على المستعمل منها ، ورأى فائدة كبيرة في قياسها ليتوافر للباحثين أداة طيعه يستخدمونها في بناء ما يحتاجون إليه من كلمات من أي جذر شاءوا دون أن يتوقفوا على سماعه من العرب ، ومن ثم فقد انتهى إلى عدد من القرارات منها :

-يصاغ قياسا من الفعل الثلاثي على وزن (مِفْعل) و (مفعال) للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء ، ثم توسع فيما بعد فأجاز أن يصاغ من الثلاثي المتعدي اسم آلة على وزن (فعَّالة) مثل : ثلاجة ، وهي صيغة

شائعة بين المحدثين وكانت نادرة الاستعمال عند العرب ، وأجاز كذلك صوغ اسم الآلة على (فِعال) مثل إراث ، و(فاعلة) مثل ساقية ، و(فاعول) مثل : ساطور .

-يصاغ للدلالة على الحرفة من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن (فِعالة) ، ثم توسع فيما بعد وأجاز عل هذا الوزن ما يشبه الحرفة من المصاحبة والملازمة نحو: العمادة والقوامة .

-صوغ (فُعال) للمرض .

-صوغ (فَعَل) من العضو للدلالة على إصابته مثل رأسه أي أصاب رأسه .

-صوغ (تَفْعال) للتكثير والمبالغة .

-صوغ (تفاعل) للمساواة والاشتراك.

-صوغ (افتعال) للالتهاب .

وغير ذلك من الصيغ التي كانت من عُدة لجانه العلمية في وضع المصطلحات .

ومن أشهر قراراته في المعاني العامة:

-قياس التعدية بالهمزة .

-قياس التعدية بالتضعيف ، وقياس (فعَّل) للتكثير والمبالغة .

-قياس المطاوعة في الأفعال:(فَعَل) الثلاثي مثل قطعته فانقطع ورميته فارتمي ، و (فعَّل) نحو فرحته ففرح ، و (فاعل) نحو : باعدته فتباعد ، و (فعلل) وشبهه نحو : دحرجته فتدحرج .

-قياس (استفعل) للضرورة والطلب نحو : استخرجته ، وللاتخاذ أو الجعل نحو : استهدفت الشيء أي جعلته هدفا.

-قياس المصدر الصناعي نحو : القابلية والمسئولية .

وغير ذلك مما يمكن الرجوع إليه في مجموعة القرارات العلمية .

وبعد أن استوفى المجمع البحث في الصبغ المشهورة ، سكت عن هذا الموضوع فترة ، ثم عاد إليه وابتعث صيغا غير معروفة ، ونظر في شيوعها بين المحدثين ، كما أحصى ما ورد منها في الفصيح وما نسب إليها

من معان .

ومن قرارات تلك المرحلة الأخيرة .

-صوغ (فَعول) لما يتعاطى من دواء ونحوه ، مثل : سفوف وذرور .

-صوغ (فُعْلة) اسما للطائفة المجتمعة من الشيء نحو حزمة وكثبة ، ولما يتوسط الشيء نحو وصلة ولحمة ، ولموضع الفعل أو الشيء القليل نحو غرفة ونزفة .

-صوغ (تفاعل) للتكرار والموالاة أو لوقوع الفعل في مهلة أو تدرج مثل : تدافع وتصاعد .

-زيادة النون في (فعلن) وما يشتق منها مثل : عقلن وعضون .

-صوغ (تمفعل) نحو : تموضع وتمفصل .

وقد كان لهذه القرارات الأخيرة أثر محمود في تيسير المصطلح العلمي ، وفي نفي الحرج من استعمال تلك الأوزان في بعض المعاني المستحدثة .

٣-٥ النحت

من أعضاء المجمع من يرى أن الاشتقاق هو أهدى سبيل وأيسره في توليد الألفاظ ، لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية أساسا ، بيد أن بعضا آخر رأى أنه وحده لا يكفي ، لأن عمله مقصور على أوزان أو قوالب معينة مهما كثرت فلن تستوعب جميع المعاني العقلية ، واقترحوا طريقة النحت لكي تعالج هذا القصور وتستوفي بها هذه المعاني ، وجزم بعضهم بأنه يوفر لنا كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واح دة ذات معنى محدد .

وقد كان هذا الموضوع من أهم ما شغل المجمع ففي الدورة الرابعة عشرة أجاز النحت للضرورة العلمية ، ثم عاد إليه مرة أخرى بعد أن استوفت لجنة الأصول بحثة، وهذا هو قراره .

" النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديما وحديثا ولم يلتزم فيها الأخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات وقد وردت من

هذا النوع كثرة تجيز قياسيتة ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي دون الزائد ، فإن كان المنحوت اسما اشترط أن يكون على وزن عربي ، والوصف منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلا كان على وزن (فعلل) إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جريا على ما ورد من الكلمات المنحوتة " .

وقد تخلص القرار السابق من قيد الضرورة ومن تخصيص النحت بالمصطلحات العلمية ، وهو ما حرص عليه قراره الأول ، ومن ثم زال الحرج من استعماله ، كما أنه أجاز القياس على المسموع منه ، وحدد قواعد صوغه ومن ثم فقد ورد استعماله في مصطلحات المجمع ، وإن كان ذلك قليلا جدا نحو : فوسطحى – above surface وبلمهة dehydration .

٣-٦تعريب اللواصق

طرحت هذه القضية على مائدة البحث في المجمع منذ إنشائه ، وتطور البحث فيها باتساع الحاجة إلى المصطلحات العلمية وباهتمام المجمع بتوفيرها ، وكان الهدف مقابلة المصطلحات الأجنبية التي تتضمن مثل هذه اللواصق بمصطلحات عربية أو معربة تؤدي معناها بصورة مطردة، وتنوعت طرق المقابلة على النحو الآتي :

أولاً : مقابلة اللاصقة (سابقة أو لاحقة) بصيغة عربية

أ–وافق المجمع على ترجمة المصطلحات التي تتضمن اللاحقة scope – مما يدل عل آلة للقياس أو للكشف بصيغة (مِفْعال) فيقال: مخيال في epidiascope والمصطلحات التي تتضمن اللاحقة meter – مما يدل على آلة للقياس بصيغة (مِفْعل) فيقال مرقب في Telemeter ... الخ

ب–تترجم المصطلحات المنتهية باللاحقة able – بالفعل المضارع المبني للمجهول ويترجم الاسم منها

بالمصدر الصناعي ، فيقال : يؤكل في mangeable ولا يؤكل في immangeable ويقال المشروبية في potability .

جـ-استعمال صيغة (افتعال) مما ورد منه فعل أو لم يرد للدلالة على الالتهاب ، وكان قد اقترحها الدكتور رمسيس جرجس في مقابل اللاحقة اليونانية it is – ومن ثم يقال : امتعاد في gastritis .

د-استعمال صيغة (تِفْعال) للمبالغة والتكثير مما ورد منه فعل أولم يرد وكان قد اقترحها الدكتور رمسيس جرجس للمصطلحات المبتدئة – بالسوابق – super – hyper - , over .

هـ-استعمال صيغة (مفاعلة) للدلالة على المشاركة وكان قد اقترحها الدكتور رمسيس جرجس لترجمة المصطلحات المصدرة بالسوابق – con – com-, sym -, syn : فيقال : معايشة في symbiosis بمعنى الرفقة الحتمية لحيين مختلفين ليس أيهما طفيليا ..الخ

و-اقترح الدكتور رمسيس جرجس استعمال صيغة (فعلم وفعلمية) للدلالة على الضخامة في مقابل السوابق – mega-, megalo , macro فيقال : كبدمية أي ضخامة الكبد في megalohepatia ..الخ

ثانيًا : تعريب اللواصق

وهو أسلوب شائع اضطر إليه المجمع وبخاصة في مصطلحات الكيمياء فعربت للاحقة ide بـ (يد) فقيل : أنهيدريد في anhydride ..الخ ومن الملحوظ أن بعض هذه اللواصق قد أضيف إلى كلمات عربية فقد قيل مثلا : ذهبوز في aurous ..الخ

ثالثًا : مقابلة اللاصقة بكلمة عربية

وكان هذا الأسلوب وما زال مفضلا في اللجان للمجمع ، فقد تقرر في مرحلة مبكرة من تاريخ المجمع اتخاذه ، فترجمت السابقة – hyper بكله فرط فقيل : فرط الحساسية في hypersensitiveness .. الخ

رابعًا : مقابلة اللاصقة الأجنبية بلاصقة عربية

ومن أمثلة ذلك ترجمة اللواصق like -, form -, oid التي تدل على التشبيه والتنظير في المصطلحات العلمية بالنسب مع الألف والنون مثل : غداني في endenoid .. الخ

خامسًا : مقابل اللاصقة بجزء من كلمة منحوتة

وكان الدكتور رمسيس جرجس من أوائل الذين دعوا إلى تلك الطريقة ودعا إلى عديد من صورها، فهناك مثلا مئات من المصطلحات تنتهي باللاصقة ectomy –ويقصد بها الاستئصال ، فننحت من استأصل حرفي (صل)وتكمل(فعلله) من الكلمة الثانية ففي tonsillecotomy نقول صلوزة استئصال اللوزتين ..الخ

وبهذه الطرق وفق المجمع إلى اقتراح حلول تشمل ما يزيد عن أربعين سابقة وثلاثين لاحقة ، ومن ثم غنمت العربية المعاصرة لأول مرة في تاريخها قواعد يمكن اعتمادها نهائيا ، ومع ذلك لم يطرد استعمال هذه الطرق على هذا النحو المقترح حتى في أعمال المجمع نفسه ، والسبب في ذلك أن المجمع ما كان يريد إلزام العلماء والمترجمين بطريقة واحدة .

وقد أعاد المجمع النظر في الموضوع برمته وقدم ما يزيد على مائتي لاصقة إلى الباحثين سنة ١٩٨٠، ومقترحاته في صوغها وقد حرص عندئذ على أن يؤكد أنه أوردها على سبيل المثال لا الحصر لتكون قياسا أو منهجا يحتذى به .

٣-٧ معايير المجمع في القياس وفي قبول الاستعمالات المحدثة

يختلف النحاة فيما يطرد وما يشذ من كلام العرب وفيما يصح أو لا يصح من كلام . وقد استخلصت من قرارات المجمع ومن احتجاجاته لها المعايير الآتية :

المعيار الأول : موقف النحاة القدامى من الظاهرة المدروسة

ومنزع المجمع إلى ذلك أن له بحكم لائحته:أن ينظر في قواعد اللغة ليتخير – إذا دعت الضرورة – من

آراء أئمتها ما يوسع دائرة أقيستها .

المعيار الثاني : شيوع الظاهرة في الفصحى المحتج بها .

يحرص المجمع في الاحتجاج لقراراته بالرجوع إلى مادة اللغة العربية في عصور الاستشهاد بل وفي غيرها أحيانا للتعرف على مدى شيوع الظاهرة ، وكأنه يعيد جمع المادة التي دونها القدماء ، وعلى سبيل المثال فقد اعتمد في قراره بجواز الاشتقاق من اسماء الأعيان على ما يزيد على مائتي فعل مشتق من اسم عين من (القاموس المحيط) فحسب ، ومن ثم قال بقياسه ، على الرغم من أن النحاة قصروه على السماع .

ومفهوم القياس عند المجمعيين قائم على الحمل على الوارد الكثير ، والكثير قد يكون بمثال واحد إذا لم يسمع غيره في بابه .

فإذا وردت أمثلة كثيرة لصيغة من الصيغ في معنى من المعاني كان ذلك دليلا على أنه يسوغ لنا أن نبني على مثال هذه الصيغة لإفادة هذا المعنى ، وان لم يسمع هذا اللفظ بعينه ، وبهذا ينفتح باب الوضع في المصطلحات العلمية بخاصة لاستعمال هذه الصيغة في هذه المعانى (أنظر ما سبق في ص ١٣-١٥)

المعيار الثالث : شيوع الظاهرة في الفصحى المعاصرة (السماع من المحدثين) لم يكن الهدف من إنشاء المجمع المحافظة على سلامة اللغة فحسب ، بل جعلها وافية بمطالب العلماء وغيرهم ، وإذا كان الهدف الأول جعله حريصا على قواعد اللغة وأقيستها لا يخرج عليها ، ولا يغير فيها ، فإن الهدف الثاني جعله حفيا بكلام المحدثين سمعيا لما يشيع منه ، ويحتاج إليه . وفيما يتصل بالمصطلح فقد أباح لأجله ما لا يتاح في غيره ، وأعطى للعلماء حرية أوسع في صوغ المصطلح ، يقول الدكتور مدكور : إن مبدأ الحرية العلمية يحملنا على أن نسلم بأن قداسة متن اللغة لا يصح أن تقف عثرة في سبيل البحث العلمي والتقدم " وعلى ما فهم معنى

الضرورة في قرارات المجمع على أنه صوغ المصطلحات العلمية ، ومع ذلك فق وضع المجمع قيودا بحيث لا تكون هذه الحرية مطلقة وهي أن يمارس صانع المصطلح حريته في إطار قواعد عامة متفق عليها .

٣-٨- القياس

تزيد الصيغ أو القوالب التي يمكن أن تصب فيها مادة العربية أو جذورها عن ألف صيغة ، وهذه الثروة العظيمة ليس لها أهمية كبيرة إلا إذ أتيح لنا أن نستخرج منها ما نحتاجه من كلمات بصورة مطردة أو قياسية .

وقد أدى الاشتقاق القياسي – من حيث هو مبدأ توليدي – دورا عظيما في توفير منظومة المصطلحات العلمية في العصر العباسي الزاهر،وفي عصر النهضة .

وفي مجمع اللغة العربية عاد هذا المبدأ إلى سابق عهده ليسهم بأعظم دور في توفير ما يحتاج إليه العلماء من مصطلحات ، وما يزال واعدا بدور أكبر إذا ما أحسن استخدامه .

وقد كانت نظرة المجمع إلى القياس من حيث هو أداة منتجة استجابة لما قضت به لائحته من النظر في قواعد اللغة ليتخير من آراء أئمتها ما يوسع دائرة أقيستها لتك ون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية .

أنعم المجمع النظر في كثير من القواعد والأقيسة التي صاغها النحاة فترخص في كثير منها ، وأباح القياس فيما أصلة السماع ، وسعى إلى إباحة بعض ما منعه لنحاة ، أو إلى توسيع ما ضيقوه ، وقد كان هدفه – كما قلت غير مرة – تطوير العربية بحيث تكون وافية – من ذاتها وبأدواتها – بمطالب العلوم والفنون وشئون الحضارة والمعاش وتيسيرها على مستعمليها بتخليصها مما شاب بعض قواعدها من اضطراب وتشعب واستثناء ، كما وضح في قراراته التي أشرنا إلى بعضها في تضاعيف هذا

البحث ، وهي تؤكد في النهاية إيثارة طرد القواعد وتعميم الأحكام .

خاتمة المطاف

لقد نجح المجمع في وضع الأسس النظرية والمنهجية التي توضح كيف تتم العملية الاصطلاحية، كما أنه نجح في تحديد طرق الوضع في العربية وترتيبها من حيث الأولوية ، ومن حيث ملاءمتها لطبيعة اللغة العربية ووفاؤها بالمقصود ، ونجح كذلك في تهيئة العربية لهذه العملية بتوسيع أقيستها ، وإحياء عدد كبير من الصيغ المهجورة لتؤدي المعاني التي يحتاج إليها العلماء والمترجمون ، وأباح القياس فيها ، كما أنه أقر كثيرا مما شاع بين العلماء والأدباء من ألفاظ وأساليب محدثة كان يعترض على استعمالها على نحو أو آخر .

ولهذا أرى أنه من العبث أن يهمل هذا العمل الذى بدأ منذ ستين عاما تتعاوره يد التدقيق والتنقيح حتى استقر في النهاية على تلك الأسس الواضحة السالفة ، وأن يبدأ كثير من الباحثين أو صناع المعجمات المتخصصة من البداية التي بدأ منه المجمع فيستغرقون في البحث في الأسس النظرية والمنهجية وفي مشكلات التطبيق .

والأجدى من ذلك كله أن يلتزموا جميعا بقرارات المجمع وأن يهتدوا بمنهجه وأن يستخدموا مصطلحاته التي بلغت ألوف الألوف في المجالات العلمية المتعددة ، وبذلك يوفروا على أنفسهم الجهد والوقت ويتجنبوا عقبات غير هينة في التطبيق.

ومع تقديري العميق لعمل المجمع في بناء منظومة مصطلحية علمية في العربية ، وفي اقتراح خطة منهجيه لتوفير مصطلحات موائمة للأغراض العملية المختلفة ، وفي وضع جمله صالحة من المعجمات المتخصصة – مع تقديري لهذا كله فإنني أرى أن خطة المجمع في وضع المصطلحات وفي مَعْجَمَتها لم تعد صالحة ، وأن ما يخرج كل عام من

مصطلحات لم يعد كافيا في هذا الوقت الذي تتسارع فيه المنجزات العلمية في كل مجال،وما ينبني على ذلـك مـن ظهور مالا ينحصر من المصطلحات الجديدة أو من المصطلحات التي أعيد تعريفها .

لم يعد يكفى – بعـد انتشـار الهيئات العالمية المعنية بالمصطلحات أن تعكف كل لجنة من لجان المجمـع العلمية على معجم مـا فـي مجالهـا تقضى معه سنوات في تعريبه وتنقيحه وفقا للأسس المجمعية ثم تعمل علـى نشـرة – كالمعتـاد – منجَّمـا فـي مجموعـة المصـطلحات الخاصـة بالمجمع ، فإذا ما تـوفر لهـا قـدر مناسب أعادت نشرة أيضا منجَّما فـي أجزاء ، وبذلك قد يستغرق هذا المعجم الذي هو في الغالب متوسـط الحجـم عشرات من السنين ، ومن ثم يكـون الزمن والعلم قد تجاوزاه ، ولا تتحقق الفائدة المرجوة منه .

إن الخطة التي أقترحها تقوم على اختيار معجم مناسب للأغـراض التي يتغاياها المجمـع فـي معاجمـه المتخصصة ثم تكلف لجنة من العلماء أهل الاختصاص لترجمته واستكماله، ومع اللجنة عضو مجمعـي يراجـع وينقح ويتحقق من اسـتيفائه لمعـايير المجمع في الاصطلاح ، وتحدد مـدة قصيرة لإنجاز هذه المرحلة . وبعـد الانتهاء منها يعـرض علـى اللجنـة المعنية لمراجعته كاملا ، ثـم يـوزع علـى أعضـاء المجمـع لتسـجيل ملاحظاتهم ، ليعرض بعد اسـتيفائها على مجلس المجمع فمؤتمره لإقراره، وبذلك يتوفر لنا معجم متخصص كامل في كل مجال علمـي أو فـرع ، ثـم تتكرر تلك المحاولة في معجـم آخـر يواكب التقدم العلمي ، ويسـتوفى مـا غاب عن المعجم السابق .

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علـى بصيرة أنا ومن اتبعني)

أ.د.محمد حسن عبد العزيز

الخبير بالمجمع

المراجع

حسين (د . محمد كامل) :

اللغة والعلوم – مجلة المجمع ج ١٢ .

القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية ، مجلة المجمع ج ١١ .

عبد العزيز (د . محمد حسن) :

القياس في اللغة العربية – دار الفكر العربي بمصر .

الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة – دار الفكر العربي بمصر.

التعريب بين القديم والحديث – دار الفكر العربي بمصر .

النحت في اللغة العربية – دار الفكر العربي بمصر .

عمار (د . أحمد عمار) :

المصطلحات الطبية ونهضة العرب في صوغها – مجلة المجمع ص ٨ .

دعوة إلى التزام خطة منهجية في صوغ المصطلحات الطبية –البحوث والمحاضرات دورة ٢٧ .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما د إبراهيم مدكور .

مجمع اللغة العربية في خمسين عاما د. شوقي ضيف .

مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما . شوقي أمين .

مختار (د . محمود) :

السوابق واللواحق – مجلة المجمع ج ٤٦ .

المحاذاة في اللغة العربية

للأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم

المدخل

المحاذاة ظاهرة صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، ولعلَّ أول مَنْ استعمل هذا المصطلح في العربية هو اللغوي أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) عندما عقد لها بابًا في كتابه الصاحبي سمَّاه : باب المحاذاة[١]، وعرَّفها بقوله:معنى المحاذاة أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلامٍ ، فيُؤتى به على وزنه لفظًا وإن كانا مختلفين ، ومثَّل لها بقولهم: "الغدايا والعشايا" ، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا ، والغَدَاة لا تُجمع على الغدايا، وإنما تُجمع على غَدَوات لا غير ، ولكنهم كسَّروه على ذلك؛ ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، فإذا أفردوه لم يكسِّروه، ومثَّل لها أيضًا بقوله عليه الصلاة والسلام يُعوِّذ الحسن والحسين: " أعيذكما بكلمة الله التامَّة، من شرِّ كلِّ سامَّة ، ومن كل عين لامَّة"، فالسامَّة مِنَ الفعل الثلاثي سَمَّتْ، واللاَّمة من الفعل الرُّباعي : ألمَّتْ، وكان القياس يقتضي أن يقول: مُلِمَّة، ولكن لما قُرِنَتْ بالسَّامَّة جُعلت على وزنها[٢] .

وقد سمَّاها بعض اللغويين : المزاوجة أو الازدواج، فأحمد بن فارس نفسه وضع كتابًا سمَّاه : الإتباع والمزاوجة[٣] ، ساق فيه كثيرًا من الكلمات التي تُدرج تحت المحاذاة أيضًا ، كما عقد ابن قتيبة (ت٢٦٧هـ) في كتابه: أدب الكاتب بابًا سمَّاه : باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام، ومن أمثلته : له الطِّمُّ والرِّمّ، لا يعرف هِرًّا من بِرٍّ، القومُ في هِيَاط ومِيَاط، ما به حبَضٌ ولا نَبَض، وهو لكَ حِلٌّ وبِلٌّ، هو لا يُدالِسُ ولا يُؤالِسُ[٤] يُدْرج تحت المحاذاة أيضًا.

(١)الصاحبي بتحقيق عمر فاروق الطَّباع ص٢٣١ وما بعدها.

(٢)اللسان : غدو، لمم ، مسند ابن حنبل ٢٢٦، ٢٧٠، الجامع الصحيح للترمذي ١٨ .

(٣)الإتباع والمزاوجة بتحقيق د. كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٤٧.

(٤)أدب الكاتب بتحقيق على فاعور ص ٤١ – ٤٤ .

كما سمَّاها أصحاب المعاجم العربية في مواضع متناثرة : الازدواج ، والتزاوج، والمزاوجة، ففي ديوان الأدب للفارابي (ت٣٥٠هـ) : "يقال: أخذني من ذلك ما قَدُم وما حَدُث ، لا يُضمُّ حَدَث في شيْءٍ من الكلام إلا في هذا الموضع، وذلك لمكان الازدواج[١].

وفي صحاح الجوهري (ت٣٩٣هـ): يُقال : تَعْسًا له ونَكْسًا، وإنما هو نُكْس بالضم، وإنما فُتح هنا للازدواج . وفيه أيضًا : ويقال : هَنَأني الطعام ومَرَأني، إذا أتبعوها هنأني قالوها بغير ألف، فإذا أفردوها قالوا : أمرأني [٢].

وفي لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ): قال ابن مقبل:

هتَّاكِ أخبيةٍ ولاَّجِ أبوبةٍ
يَخْلطُ بالبِرِّ منه الجِدَّ واللِّينا

فإنما قال: أبوبة للازدواج لمكان أخبية، ولو أفرده لم يَجُزْ . وفيه أيضًا: له عندي ما سَاءه ونَاءه ، وإنما قال: ناءه، وهو لا يتعدَّى؛ لأجل سَاءه ، فهم إذا أفردوا قالوا : أنَاءه، لأنهم إنما قالوا : ناءه، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام[٣] .

وفي تاج العروس للزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ): وأمَّا قوله ﷺ لزائرات القبور: "ارجعنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجورات"؛ أي آثِمات، والقياس: موزورات فإنه للازدواج؛ أي لما قابل الموزور بالمأجور قلب الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا[٤].

وقد سمَّى الثعالبي(ت ٤٢٩هـ) هذه الظاهرة بالمجاورة؛وعقد في كتابه: فقه اللغة وسر العربية فصلاً سمَّاه:في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة ، وساق أمثلة منها: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ ، بكسر كلمة "خرب" رغم أنها نعت للجُحْر لا نعتٌ للضبِّ ، وقول

(١)ديوان الأدب بتحقيق د. أحمد مختار عمر، باب فَعُل .

(٢)الصحاح بتحقيق د. أحمد عبد الغفور عطار: نكس، هنأ.

(٣)اللسان ط دار المعارف : بوب ، نوأ .

(٤)التاج ٦٠١/٣ : وزر، سنن ابن ماجه، باب الجنائز ٥٠ .

امرئ القيس:
كأنَّ ثَبيرًا في عرانين وَبْلِهِ
كبيرُ أناسٍ في بَجَادٍ مُزَمَّلِ
بخفض كلمة " مُزَمَّل " رغم أنها نعت للشيخ لا نعتٌ للبجاد[١] .

وسمَّاها في موضع آخر من كتابه:حفظ التوازن ، وعقد فصلاً لها بقوله: العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارًا له ، أما الزيادة فكما قال الله تعالى:﴿ وتظنون بالله الظنونا﴾، وكما قال :﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ ، أما الحذف فكما قال جلَّ اسمه ﴿والليل إذا يَسْرِ ﴾ وقال :﴿ الكبير المتعال ﴾ ، و﴿يوم التناد﴾، ﴿يوم التلاق﴾ [٢] .

أما ابن جنِّي(ت٣٩٢هـ)فقد سمَّى هذه الظاهرة: الجوار، وعقد لها بابًا في الخصائص؛ سمَّاه: باب الجوار، وجعله على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربيْن: أحدهما في المتصل ، والآخر في المنفصل[٣].

وقد تبعه في ذلك ابن هشام (ت٧٦١هـ) في : مغني اللبيب بقوله: إن الشيء يُعطي حكمَ الشيء إذا جاوره؛ كقول بعضهم: "هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ" بالجر، والأكثر الرفع، وقول امرئ القيس :
كأنَّ أبَانًا في عرانين وَبْلِه
كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ[٤]

وتبعهما أيضًا السيوطي (ت٩١١هـ) ؛ ففي كتابه: الأشباه والنظائر في النحو لخَّص ما قاله ابن جِنِّي في الخصائص وما قاله ابن هشام في مغني اللبيب ، وساق للجوار أمثلة متعددة[٥].

أما علماء البلاغة والدراسات القرآنية فقد سموا هذه الظاهرة : المناسبة؛ ففي تحرير التحبير لابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ) عقد بابًا للمناسبة وجعلها على ضربين : مناسبة في المعاني ، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلِّم بمعنى ثم

(١)فقه اللغة وسر العربية بتحقيق سليمان سليم البواب ٣٤٧.
(٢)فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ . (٣)الخصائص ، لابن جني ٢٢٢/٣ وما بعدها .
(٤)مغني اللبيب بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٧٨٨.
(٥)الأشباه والنظائر ١٧٧/١ – ١٨٠ .

يُتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ؛ كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير﴾،فإنه – سبحانه – لما قدَّم نفي إدراك الأبصار له،عطف على ذلك قوله: ﴿ وهو اللطيف﴾، خطابا للسامع بما يفهم، ولما قال: ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾، عطف على ذلك قوله : ﴿الخبير﴾، تخصيصًا لذاته سبحانه بصفات الكمال، لأن كل من أدرك شيئًا كان خبيرًا بذلك الشيء .

وأما المناسبة اللفظية فهي توخِّي الإتيان بكلمات متَّزنات ، وهي على ضربين: تامة وغير تامة ، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتِّزان مقفَّاة ، وأخرى ليست بمقفَّاة، فالتقفية غير لازمة للمناسبة، ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة الشعرية قول أبي تمام (طويل):

مَهَا الوَحشِ إلاَّ أنَّ هَاتَا أوانِسُ
قنا الخطِّ إلا أنَّ تلكَ ذَوابِلُ[1]

فقد ناسب أبو تمام بين: مها وقنا مناسبة تامة، وبين الوحش والخط، وأوانس وذوابل، مناسبة غير تامة، وهذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضمّ إليها فيه من المحاسن، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة، والمساواة ، والاستثناء، والطباق اللفظي، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين [2] .

وقد عقد السيوطي في الإتقان بابًا لائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، أي أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضًا، بأن يقرب الغريب بمثله والمتداول بمثله؛ رعايةً لحسن الجوار والمناسبة[3].

كما ذكر السيوطي عن ابن الصائغ أنه وضع كتابًا سمَّاه : إحكام الراي في أحكام الآي قال فيه: اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ، يُرتكبُ لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد تتبعت الأحكام التي

(١) تحرير التحبير ٣٦٣– ٣٧١ ، وانظر بحث المناسبة في : خزانة الأدب لابن حجة الحموي ، ونهاية الأرب للنويري ١٥٨/٧.

(٢) تحرير التحبير ٣٦٨– ٣٦٩ .

(٣)الإتقان بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٦٢/٣ وما بعدها.

وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة، فعثرت منها علـى نيِّـفٍ وأربعـين حكمًا[1].

ومن خلال استقرائي لكتب اللغة والنحو والمعاجم العربية وجـدت أن المحاذاة موجودة في هذه المسـتويات الأربعة، وهذا البحث سـيدرس هـذه الظاهرة في ثلاثة مستويات في اللغـة العربية: فـي المسـتوى الصـوتي، والصرفي ، والنحوي، وبذلك قسَّـمت البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول : المحاذاة الصوتية، وقسَّمت المحـاذاة الصوتية قسمين: محاذاة في الحركات، ومحاذاة في الحروف أو الأصـوات، والقسم الثاني: المحـاذاة الصـرفية، وجاءت في عدة صور: إيثار بعـض صيغ المشتقات ، والجمع على غيـر قياس، وتحويل المجـرد إلـى مزيـد والعكس، والاسـتغناء بـالمفرد عـن المثنى أو الجمع والعكس ، والإتباع . أما القسم الثالث فهو المحاذاة النحوية، وهي على أربعة أنواع : محـاذاة في علامات الإعراب، ومُحاذاة عن طريق الحذف ، ومحاذاة عن طريق التقـديم والتأخير، ومحاذاة عن طريق الإتباع في الضمائر.

أما المحاذاة الدلالية فهي متناثرة في كتب البلاغة وعلوم القرآن ، وهي عندهم نوعان: محاذاة في الألفاظ ؛ أو ما يُسمَّى في البلاغـة بالمماثلـة ، أو المزاوجة، أو الترصيع، أو المناسـبة اللفظية، ومحاذاة في المعاني؛ وهـي المناسبة المعنوية[2].

القسم الأول: المحاذاة الصوتية

وهـي نوعـان: محـاذاة فـي الحركات؛الضم أو الفتح أو الكسـر أو السـكون،ومحاذاة في الأصوات عـن طريق القلب،أو الحذف، أو الزيـادة ، أو الإمالة ، أو فك الإدغام .

أولاً : المحاذاة في الحركات :

قد تتغير بنية الكلمة مـن حيـث الفتح أو الكسر أو الضم أو السكون لتتفق مع كلمـة أخـرى وتحاكيهـا؛ ويتحقق بهما معًا المحاذاة الصوتيـة ؛

(١) الإتقان ٢٩٦/٣ وما بعدها

(٢) حول المناسبة اللفظية والمعنوية انظر: تحرير التحبير، والإتقان في علوم القرآن وغيرهما .

ومنه قول العرب: أشدُّ العطش حِـرَّة على قِرَّة،ويعنون به: أشد العطش مـا كان في يوم بارد،والقياس فتح الحاء: حَرَّة،ولكنهم كسـروا الحِـرَّة لمكـان القِرَّة[١].

وقال ابن دريد: الحَرَّة – بالفتح – حرارة العطش والتهابه، ومن دعائهم: رماه الله بالحِرَّةِ والقِرَّةِ ؛ أي بالعطش والبرد، كُسر للازدواج، وهو شائع[٢].

وفي التاج:والجَبَرية – بالتحريك– خلاف القَدَرية،وهو كلام مولّد،وتسكين الباء في الجَبَرية هو الأصـل؛ لأنـه نسبة إلى الجَبْـر – بالتسـكين – ، وقالوا في التحريك إنه لـلازدواج؛أي لمناسبة ذكره مع القَدَرية[٣].

ومن ذلك أيضًا ما رواه اللسـان: كانت امرأة من العرب يُقال لهـا : أم خارجة يُضرب بها المثـل فيُقـال : أسرع من نِكاح أم خارجـة، وكـان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول: خِطْب ! فتقـول: نِكْـح !، ويقـول: خُطْب! فتقول : نُكْح[٤]

وقـد تحققـت بـذلك المحـاذاة الصوتية بين الكلمتين فـي حـالتي : كسر الفاء وضمها.

ومنه أيضًا قول الرسول ﷺ عند دخول الخلاء : اللهم إني أعوذ بك من النِّجْس الرِّجْس الخبيث المُخْبِث"، قال الفرَّاء: إذا قالوا: النِّجْس مع الـرِّجْس أتبعوه إياه، فقـالوا: رِجْـس نِجْـس بالكسر، وإذا أفـردوه قـالوا: نَجَـس بالفتح؛ كما في قوله تعـالى: ﴿ إنمـا المشـركون نَجَس﴾ للواحد والاثنـين والجمع، وإنما كسروا: نِجْس لمكـان رِجْس؛ التي هي مكسورة علـى كـل حال[٥].

ومنه أيضًا قول العرب: "تَعْسًا له ونَكْسًا " بفتح النون في نَكْسًا،وقياسه: نُكْسًـا بالضـم، وإنمـا فُـتح هنـا للازدواج[٦].

(١)اللسان (حرر) ٨٢٧/٢ .

(٢)التاج ١٣٦/٣ : حرر.

(٣)التاج (جبر) ٨٢/٣ .

(٤)اللسان (خطب) ١١٩٤/٢ .

(٥)اللسان (نجس) ٤٣٥٢/٦، المزهر ٣٤٢/١.

(٦) اللسان (نكس) ٤٥٤١/٦، المزهر ٣٤٢/١ .

وكذلك قول العرب : جاء بـالطِّمِّ والرِّمِّ، والطِّمُّ: البحر ، والرِّمُّ : الثرى، أي جاء بالرَّطب واليابس، والطَّـمُّ – بالفتح– هو البحـر فكُسـرت الطـاء ليزدوج مع الرِّمّ؛ فإذا أفـردوا الطَّـمّ فتحوه[1].

وأيضًا قول العرب:جاء بالضِّيحِ والرِّيح، والضِّـيح : الشمس ، وجاء بالضِّيح والـريح؛ أي جـاء بالمـال الكثير، والضِّيح أصله : الضِّـحُّ،وإنما أُشبعت الضاد بالكسرة الطويلة لتحاذى الكلمة التي بعدها: الرِّيح[2].

وفي حديث ابن مسعود: أنَّه سلَّم على رسول الله ﷺ وهو يصلِّي ، فلـم يرُدَّ عليه السلام، قال : فأخذني ما قَدُم وما حَدُث"؛ أي همومه وأفكاره القديمة والحديثة، ولا يُقال: حَـدُث – بضـم الدال – إلا مع قَدُم كأنه إتباع ، وقال الجوهري: لا يُضمُّ حَدُث في شيء من الكلام إلا في هذا الموضـع ، وذلـك لمكان قَدُم على الازدواج[3].

وفي ديوان الأدب: ومن أمثالهم : السَّراح من النَّجاح، والسَّراح – بفـتح السين – الاسم من التسريح، وضَبْطُه: السِّراح – بكسر السـين – ، ولكـن فُتحت السين لتحاذي كلمة النَّجـاح[4]. وفيـه أيضًـا : المِنْخِـر لغـة فـي المَنْخِـر ،والمِنْتِن لغـة فـي المُنْـتِن، والأصل فيهما: مَنْخِر ومُنْتِن، فكُسـر أوائلهما إتباعًا للعين وشبهًا بِفِعْلِل[5] ، وفي ذلك يقول ابن يعيش: منهم مـن يقول مُنْتُن بضم التاء إتباعًـا لضـمة الميم، ومنهم من يقول: مِنْـتِن بكسـر الميم إتباعًا لكسرة التـاء؛ إذ النـون لخفائها وكونها غُنَّة في الخيشوم حاجز غير حصين[6]. ومن المحاذاة الصوتية في الحركات ما جاء على لغة تميم من كسر فاء صيغة فَعِيل إذا كانت العـين أحد الحروف الستة الحلقية : أ. هـ . ع. غ. ح. خ، وكذلك صيغة فَعِـل إذا كانت صفةً أو فعلاً أو اسـمًا ، ومـا كَسْر الفاء إلا لتحاذي العين وتتبعها ،

(١) اللسان (طمم) ٢٧٠٦/٤

(٢)اللسان (ضحح) ٢٥٥٦/٤ – ٢٥٥٧ .

(٣) اللسان (حدث) ٧٩٦/٢، المزهر ٣٣٩/١ .

(٤)ديوان الأدب للفارابي ٣٧٦/١ (فَعَال).

(٥)ديوان الأدب ٣٠٣/١ : باب مِفْعِل .

(٦)الأشباه والنظائر ١٤/١ .

فيقولون : لِئِيم، وشِهِيد، وسِعِيد، ونِحِيف، ورِغِيف، وبِخِيل، وبِئِيس، ويقولون أيضًا: شِهِدٌ ، ولِعِبٌ ، وضِحِكٌ، نِغِلٌ، ووِخِمٌ، وفِخِذٌ. وهناك من غير التميميين من قال: مِغِيرة ومِعِين ، أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا : مِنْتِن، وأُنْبُؤُك وأَجُوءُك، يريد أُنْبِئك وأَجِيئك ، وقالوا في حرف شاذ: إِحِبُّ ونِحِبُّ ويِحِبُّ ، شبَّهوه بقولهم: مِنْتِن[1]. وأنشد سيبويه للأَخْطَل:

إذا غَاب عنَّا غاب عنَّا فُراتُنا

وإن شِهْدَ أَجْدَى فَضْلُه وجَدَاوِلُه

والشاهد فيه تحريك الشين بالكسر إتباعًا لحركة عينها قبل الإسكان ، وهذا الإتباع مُطَّرِد فيما كان ثانيه أحد حروف الحلق ، وكان مبنيًا على فَعِل، فعلاً كان أو اسمًا في لغة بني تميم[2].

ويقرِّر اللغويون أن كل فِعْل جاء على فَعِل بكسر العين، وعينه حرف حلقي يجوز فيه كسر الفاء إتباعًا لكسر العين؛ نحو : نِعِمَ وبِئِسَ[3].

ويؤكد سيبويه أن الألف الموصولة في الأفعال مكسورة دائمًا، إلا إن كان الحرف الثالث مضمومًا فتضمُّها ، وذلك قولك: اُقْتُل ، اُسْتُضْعِفَ، اُحْتُقِرَ، اُحْرُنْجِم، وذلك أنك قرَّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، ولا يقصد سيبويه من قوله: "يكون العمل على وجه واحد"، إلا تحقيق المحاذاة بين الحركات، كما فعلوا ذلك في : مُذُ اليومُ يا فتى ، كما ساق سيبويه من الشعر ما يؤكد هذه المحاذاة في الحركات كقوله: وقالوا: اضْرِبِ الساقَيْنِ إِمُّكَ هابِلُ. فالشاهد فيه : إتباع همزة إِمُّك لكسرة نون " الساقين" كما روى أيضًا: "إِمِّك هابل" بإتباع ميم "إمِّك" لكسرة الهمزة، فيكون في هذا الشطر إتباعان، ومنهم من يرويه: "الساقينُ أُمُّك" بإتباع نون "الساقين" لهمزة "أمك"،ويُروى للنعمان

(١) الكتاب ٤/١٠٧ – ١٠٩ .

(٢) الكتاب ٤/١٦٦، الدرر اللوامع الشاهد رقم ١٤٠٧ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/١٤ .

بن بشير الأنصاري،ومنهم من نسبه لامرئ القيس:

وَيْلُمُّها في هواءِ الجوِّ طالبةً

ولا كهذا الذي في الأرض مَطلوبُ

أراد : "ويلُ أمها" فحذف الهمزة استخفافًا ، ثم أتبع حركة اللام حركة الميم[1]. ويروى لنا ابن جني في المحتسب أنَّ أهل البادية قرأوا: "الحمدُ لُله" مضمومة الدال واللام ، كما قرأ إبراهيم بن أبي عبلة وزيد بن عليٍّ والحسن البصري: "الحمدِ لِله" مكسورتين، ثم يؤكد أن المحاذاة أو الإتباع كثر في كلامهم وشاع، ولذا أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت "الحمدُ لُله" كعُنُق وطُنُب، و" الحمدِ لِله" كإبِل وإطِل. وفي قوله تعالى: ﴿ وإياك نستعين﴾ قرأها الفضل الرُّقاشي " وَأَيَّاك" بفتح الهمزة ، إتباعًا لما قبلها "الواو" وما بعدها "الياء" . وأمَّا قوله تعالى : ﴿أنعمتَ عليهم﴾فقد ساق لها ابن جني عشر قراءات، منها ما لا يُفسَّر إلا بالإتباع في الضم : عليْهُمُ، عليْهُمُو ، أو بالإتباع في الكسر: عليهِمِ ، عليهِمِي[2]. وما قول سيبويه إن الهاء تُكْسَر إذا كان قبلها ياء أو كسرة، إلا بسبب المحاذاة؛ فالهاء خفية كما أن الياء خفية، وهما من حروف الزيادة ، فكما أمالوا الألف كسروا الهاء، وقلبوا الواو ياء؛ لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها ، وذلك قولك:مررت بِهِي قبل، ولديْهِي، ومررت بدارِهِى قبل[3]. وأما قوله تعالى :﴿ ولا الضالِّين﴾ فقد قرَأَ أيوب السختياني: " ولا الضَأَلِّين" بالهمز المفتوح، ويفسِّر ابن جنِّي ذلك بقوله: ووجه ذلك أن الألف ساكنة وهي مجاورة لفتحة الحرف قبلها، والحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تنزله العرب منزلة المتحرك بها؛ من ذلك

(١)الكتاب ٢٩٤/٢، ١٤٦/٤ – ١٤٧، وانظر الخصائص ١٤٥/٢، ١٤١/٣، وشرح الشافية ١٧٨/٤ –١٧٩.

(٢)المحتسب ٣٧/١ – ٤٦ .

(٣)الكتاب ١٩٥/٤ .

قولهم في الوقف على بَكْر: هذا بَكُرُ، ومررت ببكِرِ، ألا ترى حركتي الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها. ومنه قول جرير :

لَحَبَّ المُؤقدانِ إلىَّ مُؤْسى
وجَعْدَةُ إذ أضاءهُما الوَقُودُ

فهمز الواو في الموضعين: المؤقدان، مؤسى، لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة كأنها فيهما، والواو إذا انضمت ضمًّا لازما فهمزها جائز، نحو: أُقِّتت في "وُقِّتت" وكذلك الفتحة قبل الألف لما جاورتها صارت كأنها فيها، وقد قرأ عمرو بن عبيد" فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إنسٌ وَلا جَأَنٌّ" الرحمن٣٩ ، مع ملاحظة تحريك الهمز في الكلمتين : الضَأَلِّين ، جَأَنٌّ؛ لتحدث المحاذاة في الفتح، كما حدثت في قول كُثيِّر في مدح عمر بن عبد العزيز :

وأنتَ ابنُ ليلى خيرُ قومِك مَشْهدًا
إذا ما العوالي بالعبيط احْمَأَرَّتِ

وقوله في مدح عبد العزيز بن مروان:

وللأرضِ سُودُها فتجلَّلتْ
بياضًا وأَمَّا بِيضُها فادْهَأَمَّتِ[1]

ويذهب الفرَّاء إلى أن كلمة : مُنْذُ أصلها مركبة من كلمتين: مِنْ ، وذو التي بمعنى الذي في لغة طيِّئ، ثم قُلبت كسرة الميم ضمة لتحاذي ضمة الذال بعدها[2].

ومن المحاذاة أيضًا في الأفعال أن الأصل في الفعل المضارع أن تختلف حركة عينه عنها في الماضي؛ ولذا يُقال: ضَرَب يضْرِبُ، ونَصَر يَنْصُر، فما كان ماضيه على فَعَل، مفتوح العين، فإن مستقبله يأتي بالضم أو بالكسر ، ولكن لا يأتي مستقبله بالفتح إلا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق الستة؛ وذلك لتتحقق فيه المحاذاة؛ لأنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق؛ لما كان موضعًا منه مخرج الألف التي منها الفتحة[3].

(١)المحتسب ٤٧/١، الخصائص ١٢٦/٣ .
(٢)اللسان ٤٢٧٦/٦: منذ ، شرح المفصل ٤٥/٨ .
(٣)إصلاح المنطق ٢١٧، الخصائص ١٤٣/٢ .

وفي قوله تعالى: ﴿ والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ﴾ (الذاريات ٧) ، يقول أبو حيان الأندلسي، فيمن قرأ "الحِبُك" بكسر الحاء وضم الباء: إن هذا مما اتّبَع فيه حركة الحاء لحركة تاء "ذات" في الكسر، ولا يُعتدُّ بالساكن لأنه حاجز غير حصين[1].

وأمَّا قراءة كسر الباء مع كسر الحاء "الحِبِك" فقرأ بها أبو مالك الغفاري والحسن ووجهها أن يكون الأصل حِبْكًا بكسر الحاء وسكون الباء ثم حُرِّكت الباء بالكسر إتباعًا لحركة الحاء، ومنه قول الشاعر :

أرتْنِيَ حِجْلاً على ساقِها
فهشَّ الفؤادُ لذاكَ الحِجِلْ

وقال الآخر :

علَّمنا إخوانُنا بنو عِجِلْ
شُربَ النبيذِ واعتقالا بالرِجِلْ

ففي البيت الأول حُرِّكت الجيم لمحاذاة حركة الحاء في الكسر وفي الثاني حُرِّكت الجيم أيضًا لمحاذاة العين والراء[2].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلا أن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء ٢٥) قرأ يزيد بن قطيب "المُحْصُنَات" بضم الصاد ، ووجه ذلك في اللغة هو تحقيق المحاذاة بين الميم والصاد؛ وفي ذلك يقول أبو حيان: "وضم الصاد إتباع لضم الميم، كما قالوا "مِنْتِن" ولم يعتدوا بالحاجز؛ لأنه ساكن ، فهو حاجز غير حصين[3]. وفي قوله تعالى:﴿ وصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾(الرعد ٣٣) ، قرأ ابن وثَّاب " وصِدُّوا " بكسر الصاد، ووجهها أن أصله " صُدِدُوا " بضم الصاد وكسر الدال، ثم كُسرت الصاد إتباعًا ومحاذاة للدال ، ثم أدغما فقالوا: صِدُّوا، وهي لغة بني ضبَّة، وكذلك قرأ ابن وثَّاب والحسن وغيره ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ (يوسف ٦٥) بكسر الراء : رِدَّتْ، وأصلها أيضًا : "رُدِدَتْ " ثم كُسرت الراء لتحاذي

---

(١)البحر المحيط ١٣٤/٨، تحفة الأقران ٥٢ .

(٢)الحجة لابن خالويه ٢١٩، تحفة الأقران ٥٣، البحر المحيط ١٣٤/٨، شرح المفصَّل ٧١/٩، اللسان:حجل.

(٣)البحر المحيط ٢١٤/٣، تحفة الأقران ١٢١ .

الدال، ثم أُدغم المثلان[1]. وفي قوله تعالى : ﴿ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (سبأ ٤٨) قرأ حمزة وأبو بكر "الغِيوبِ " بكسر الغين، ووجهها أنه لما اجتمع ضمَّتان وياء وواو استثقلوا ذلك، فحولوا ضمة الغين كسرة للتناسب مع الياء بعدها، ونظيره: شِيوخ، وبِيوت، وجِيوب، وعِيون، بكسر الشين والباء والجيم والعين[2].

وأمّا قوله تعالى : ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء ٢٣) فقد قرأ هارون وأبو السمَّال بالضمِّ والتنوين " أُفٌّ" وبالضم وغير التنوين " أُفُّ" ، للمحاذاة والإتباع، بين الهمزة والفاء ، كما كسروا الميم في "مِنْتِن" إتباعًا لكسرة التاء مع كون الحاجز ظاهرًا، فالمحاذاة هنا أولى لأن الحاجز مدغم[3]. وأما قوله تعالى:﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة٦) فقد قرأ بجر اللام من "أرجُلِكم" ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة، وأبو بكر، وأنس، وعكرمة وغيرهم، وللغويين في ذلك تأويلات منها: أن الجرَّ جاء للجوار؛ أي لمجاورة اللام في "أرجلكم" السين في "رؤوسكم" ، وبذلك تحققت المحاذاة بينهما بالجر، وقد ضعَّف الرعيني وأبو حيَّان ذلك ، فقال الرعيني : الخفض على الجوار تأويل ضعيف؛ لأن الصحيح من الخفض على الجوار مع قلته ألا يكون إلا في النعت لا في العطف ، كما أنه مختص بالشعر، لكنه مردود عليه بأمرين : ورود الحمل على الجوار في النثر؛ كالقول المشهور: هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ ، كما أن الزمخشري أيَّد ذلك[4]. وقال ابن هشام : "وأرجِلكم" بالخفض إنه عطف على أيديكم لا على رؤوسكم؛ إذ الأرجل مغسولة لا ممسوحة ، ولكنه خفض لمجاورة : رؤوسكم[5]. وأما

(١)الكشاف ٣٦٢/٢، البحر المحيط ٣٩٥/٥، تحفة الأقران ١٢٤ .

(٢)البحر المحيط ٢٩٢/٧، تحفة الأقران ١٣٥ .

(٣)المحتسب ١٨/٢ ، الكشاف ٤٤٤/٢، البحر المحيط ٢٧/٦، تحفة الأقران ١٣٩ .

(٤)الكشاف ٦١١/١، البحر المحيط ٤٣٧/٣ ، تحفة الأقران ١٥٨-١٥٩ .

(٥)الأشباه والنظائر ١٧٧/١ .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُم ﴾ (الكهف٢٩) ، فقد قرأ أبو السمال بضم اللام "وقُلُ" إتباعًا لحركة القاف قبلها ، ولكي تحدث المحاذاة بينهما[١]. وقوله تعالى: ﴿ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾(البقرة١٦) قرأ أبو السمال بفتح الواو في "اشتَرَوَا"ووجهها أنها فُتحت إتباعًا لحركة الفتح على التاء والراء قبلها[٢]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة٩٤) فقد قرأ أبو عمرو بفتح الواو في "فتمنَّوَا " لمحاذاة فتحة النون قبلها[٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾(التوبة ٤٢) فقد قرأ الحسن البصري بفتح الواو في "لو" إتباعًا لحركة اللام قبلها[٤]وقوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم٩٦)، فقد قرأ أبو الحارث الحنفي بفتح الواو في " وَدًّا" إتباعًا لحركة الدال بعدها، وأمَّا السبعة فقد قرأوا بضم الواو إتباعًا لحركة النون قبلها [٥].وفي قوله تعالى :﴿ وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي ﴾(مريم٤) قرأ السبعة بفتح الهاء في "وهن" لمحاذاة الواو قبلها[٦]. ومن مظاهر المحاذاة الصوتية في الحركات قول العرب: "اللهمَّ اجعلنا من المُنْسيِّين في قلوب المُؤْذِيِّين " فقد حاذوا بين " المُنْسِيِّين والمؤذيِّين، وكان القياس يقتضي أن يُقال: المَنْسِيِّين – بفتح الميم – لكنهم ضموها لتحاذى الميم في المؤذيِّين التي كان قياسها أن تكون بياء واحدة: المؤذين ، ولكن زادت فيها الياء لتحاذي ما قبلها[٧]. ومن ذلك قول بعض الأعراب :

لَئِنْ بعثَتْ أمُّ الحُمَيدين مائرًا
لقدْ غَنِيَتْ في غيرِ بُؤْسٍ ولا جُحْدِ

والجُحْد قياسه : الجَحْد بفتح الحاء، وإنما ضُمَّت لمحاذاة الكلمة السابقة عليها وهي : بُؤْس ، كما قالوا :رِجْسٌ

(١)تحفة الأقران ١٦١
(٢)تحفة الأقران ١٨٩ .
(٣)البحر المحيط ٣١٠/١، تحفة الأقران . ١٩٠.
(٤)المحتسب ٢٩٢/١، تحفة الأقران ١٩١ .
(٥)البحر المحيط ٢٢١/٦، تحفة الأقران ١٩١.
(٦)تحفة الأقران ١٩٤.
(٧)تثقيف اللسان ١٣٤ .

نِجْسٌ، إذا أتبعوا ، فإذا أفردوا قالوا: نَجِس بفتح فكسر[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿ إنها ترمي بشَرَرٍ كالقَصَر﴾(المرسلات٣٢) بتحريك الصاد،لمحاذاة الكلمة السابقة عليها : شَرَر[2]، ومن ذلك أيضًا ما يحدث لكلمتي : ابنم ، وامرؤ في الرفع والنصب والجر، ففي الرفع : ابنُمٌ ، وامْرُؤٌ،وفي النصب: ابنَمًا وامْرَأ، وفي الجر: ابنِم، وامْرِئٍ، وما ذلك إلا بسبب قانون المحاذاة في اللغة[3].

وفي هذا يقول السيوطي: "وإتباع حركة الحرف الذي قبل آخر الاسم المعرب لحركة الإعراب في الآخر، وذلك في امْرِئٍ وابنم، فإن الراء والنون يتبعان الهمزة والميم في حركتهما ؛ نحو : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ (النساء١٧٦) ، و ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾(مريم٢٨)، و﴿ لِكُلِ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ﴾(النور١١)، وكذا ابنم ولا ثالث لهما في إتباع العين اللام. وكذلك إتباع حركة الفاء اللام؛ وذلك في مِرْئ وفمٍ خاصة؛ فإن الميم والفاء يتبعان حركة الهمزة والميم في بعض اللغات؛ فيقال : هذا مَرْؤٌ وفَمٌ، ورأيت مَرْأ وفَمًا ، ونظرتُ إلى مَرْءٍ وفَمٍ، ولا ثالث لهما[4].

وفي الكشاف قرأ أبو جعفر من رواية ابن جماز: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ (البقرة٣٤) قرأ بضم التاء "الملائكةُ" إتباعًا لضم الجيم ، ولم يعتد بالساكن فاصلاً ، ووافقه الشنبوذي[5].

ومن المُحاذاة الصوتية في الحركات أنَّ مِنَ العرب مَنْ يُحرِّك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحًا فتحوه، وإن كان مضمومًا ضَمُّوه ، وإن كان مكسورًا كسروه، وذلك قولك : رُدُّ ، وعَضَّ ، وفِرِّ يا فتى ، واقْشَعِرِّ، واطْمَئِنِّ ، واسْتَعِدِّ ،

(١)ديوان الأدب ١٥١/١ باب فُعْل ، ١٨٦/١: فِعْل ، اللسان ٥٤٧/١: جحد .
(٢)ديوان الأدب ٢١٣/١ : فَعَل . (٣)الكتاب ٢٠٣/٢ .
(٤)الأشباه والنظائر للسيوطي ١٣/١.
(٥)الأشباه والنظائر ١٧/١، إتحاف فضلاء البشر ١٧٥ .

واجْتَرَّ، واحْمَرَّ وضَارَّ؛ لأن قبلها فتحة وألفًا، فهي أجدر أن تُفتح، وردُّنا، ولا يُشلِّكم الله، وعَضَّنا ومُدُّنى إليك ولا يُشلِّك الله وليَعَضَّكم . ومن ذلك قول جرير: غُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ[1] بإتباع الضاد المشددة للطاء المشدَّدة أيضًا. ومن المحاذاة الصوتية في الحركات أيضًا إتباع حركة العين للفاء في الجمع بالألف والتاء؛ نحو : تَمْرة تَمَرَات، بالفتح، وسِدْرة سِدِرَات؛ بالكسر ، وغُرْفة غُرُفات؛ بالضم[2] . ومن ذلك إتباع حركة اللام للفاء في البناء على الضم في كلمة : مُنْذُ؛ فإن الذال ضُمَّت إتباعًا لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزًا، ونظيرها في ذلك بناء : بَلْهَ على الفتح إتباعًا لفتحة الباء، ولم يعتد باللام حاجزًا لسكونها[3]، ومن ذلك ما أنشده سيبويه ونسبه لرجل من أزد السراة :

أَلاَرُبَّ مولودٍ وليسَ له أبٌ
وذي وَلَدٍ لمْ يَلْدَهُ أبوانِ

أراد بالمولود الذي ليس له أب عيسى عليه السلام ، وأراد بالذي لم يلده أبوان آدم عليه السلام، والشاهد في : يَلْدَه، فقد التقى ساكنان:اللام والدال،ثم حُرِّك الدال بحركة أقرب المتحركات إليها على الياء ، وهي الفتحة ؛ لأن الساكن حاجز غير حصين، جعلوا حركته كحركة أقرب المتحركات منه، وعاملوه كما في كلمة: أَيْنَ ، وكَيْفَ[4].

ومن المحاذاة الصوتية في الحركات إتباع حركة الفاء للعين في لغة من قال في: لَدُنْ: لُدُ، قال ابن يعيش: من قال لُدُ بضم الفاء والعين فإنه أتبع الضمَّ الضمّ بعد حذف اللام[5].

ومنها إتباع حركة فاء كلمة لحركة

(١)الكتاب ٣/٥٣٢ – ٥٣٣ ، شرح المفصل لابن يعيش ٤/٥٩٤.
(٢)الأشباه والنظائر ١/١٤ .
(٣)شرح المفصل ٤/٤٧، الأشباه والنظائر ١/١٤.
(٤)الكتاب ٢/٢٦٦، شرح المفصل ٤/٨٤، الأشباه والنظائر ١/١٤.
(٥)الأشباه والنظائر ١/١٤ .

فاء أخرى لكونها قُرنت معها، وسكون عين كلمة لسكون عين أخرى أو حركتها لحركتها كذلك، قال ابن دريد في الجمهرة: تقول ما سمعت له جَرْسًا إذا أفردت ، فإذا قُلْتَ :ما سمعتُ له حِسًّا ولا جِرْسًا، كسرت الجيم للإتباع؛ أي كسروا فأتبعوا اللفظَ اللفظَ(١).

ثانيًا: المحاذاة في الحروف(الأصوات):

ونعني بها : تغيير يطرأ على الكلمة في أحد أصواتها من أجل أن تحاذي كلمة قبلها أو بعدها، ولها خمس صور؛ هي : القلب، والحذف، والزيادة، والإمالة، وفكُّ ما استحقَّ الإدغام.

١- **القلب:** ويكون ذلك بقلب أحد الأصوات إلى صوت آخر لتصبح الكلمة في مجموع أصواتها محاذية لكلمة بعدها أو قبلها، ففي حديث الرسول ﷺ "ارجعْنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ" حاذت كلمة: مأزورات بالواو، لأنها مأخوذة من الوِزْر، وهو الذنب، ولكنه أتبع: مأجورات، ويقال: رجلٌ موزور غير مأجور، ولما قابلوا الموزور بالمأجور قلبوا الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا(٢).

وقد يكون الجوار سببًا هامًا من أسباب تحقيق المحاذاة ، وقد عقد ابن جني بابًا في الخصائص سمَّاه: باب الجوار، وجعله على ضربين:أحدهما تجاور الألفاظ ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربيْن :أحدهما في المتصل،والآخر في المنفصل، فأما المتصل، فمنه مجاورة العين للام بحملها على حكمها،وذلك قولهم في: صُوَّم:صُيَّم ، فقد شبَّهوا باب صُوَّم بباب عِصِيّ فقلبه بعضهم ، ومثله قولهم في جُوَّع: جُيَّع ؛ قال الشاعر:

ومعرَّضٍ تغلى المراجلُ تحتَه
بادرْتُ طبختَها لرهط جُيَّع

وأنشدوا : لولا الإله ما سكنَّا خَضَّما
ولا ظَلِلْنا بالمَشَاء قُيَّما

وأصلها : قُوَّما من قام يقوم .

وعليه ما أنشده محمد بن حبيب من

(١)جمهرة اللغة : جرس ، اللسان ٥٩٧/١: جرس، الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٢)اللسان ٤٨٢٤/٦: وزر، التاج ٦٠١/٣ : وزر .

قول النابغة الجعدي :

بُرَيْذينةٌ بلَّ البراذينُ ثَفْرَها

وقد شربَتْ من آخر الصيفِ أيَّلا

وقد أجازوا فيه أن يكون أراد: جمع آئل؛ أي خاثر، من قولهم : لبن آئل؛ أي خاثر، وآل اللبن يئول إذا خثر، فقُلبت العين حملاً على قلب اللام[١].

ومن الجوار في المتصل قول جرير بن عطية من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك:

كَحَبِّ المؤقدانِ إليَّ مُؤسى

وجعدةُ إذا أضاءهما الوقودُ

وأثر الجوار في البيت إبدال الواو في "الموقدان" و "موسى" همزة لمجاورتها للضمة قبلها، فكأنها مضمومة ، والهمز يجوز في الواو المضمومة ؛ نحو: أُجوه في: وجوه، وأُقِّتت في وقِّتت[٢] . ومن ذلك قراءة أبي حيوة : ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُؤقِنُونَ﴾ (البقرة٣) بالهمز .

ومن الجوار في المنفصل قول العرب للرجل إذا قدم من السفر:أوبةً وطوْبةً؛ أي أُبْتَ إلى عيش طيِّب ومآب طيِّب،والأصل في طوْبة: طيْبة، من طاب يطيب، فقالوه بالواو لمحاذاة أوْبة، وقال ابن خالويه: إنما قالوا : طَوْبة، لأنهم أزوجوا به أوْبة[٣].

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق القلب قول العرب"أنكحْنا الفَرَا فسنرى" والفَرَا أصلها : الفَرَأ ؛ وهو الحمار الوحشي ؛ وقد أبدلوا من الهمزة ألفًا ليحاذي: فسنرى،أو كما قال ثعلب: فإنما هو على التخفيف البدلي موافقةً لسنرى، لأنه مَثَلٌ ، والأمثال موضوعة على الوقف، فلمَّا سُكِّنت الهمزة أُبْدِلت ألفًا لانفتاح ما قبلها ، ومعناه : قد طلبنا عالى الأمور فسنرى أعمالنا بعد[٤].

ومن ذلك أيضًا قول خالد بن زهير الهُذَلي:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب

كنتُ إذا أتوْتُه من غيب

(١)الخصائص، لابن جني، بتحقيق محمد علي النجار ٢٢٢/٣.

(٢)الخصائص ١٧٧/٢ . (٣)المزهر للسيوطي ٣٤٠/١ .

(٤)الصحاح ، ٦٣/١ : فرأ ، اللسان ٣٣٦٨/٥ : فرأ .

يَشُمُّ عِطْفي ويبُزُّ ثوْبي

كأنــــَّما أريْــــتُه بريْــب

ففي البيت الأول قــال: أتوْتُــه، وأصله: أتيته بالياء من الفعل أتــى ، وإنما قلب الياء واوًا لتحــاذي التــاء المضمومة بعدها، ومنه قول العرب : رجــل أســوانٌ أتــوانٌ؛ أي حــزين؛ وقياسه: أتيان من أتى، ولكنه حــاذى بين أسوان وأتوان[1]. وقول السليك بن السلكة السعدي:

سيكفيكَ صَرْبَ القومِ لحْمٌ مُعرَّضٌ

وماءُ قُدُورٍ في القصاع مَشِيبُ

مشيب أصــلها: مشــوب، مــن الفعل: شاب يشوب ولكنه قلب الــواو ياء ليحاذي بين فاء الكلمة وعينها[2] .

ومن المحــاذاة الصــوتية عــن طريق القلب ما قاله أبو النجم :

فلستُ بالجافي ولا المجفيِّ،

والمجفيّ أصلها: المجفوّ، من الفعــل جفا يجفو،ولكنه أراد أن يُحدث المحاذاة بيــن الجافــي والمجفي، ولذا قلــب الواو ياء. قال الفرَّاء : بناه على جُفى، فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسمِّ فاعله بنى المفعول عليه، ومعنى الرجز: إنه حسن الخلــق كــريم يحــب النــاس ويحبونه[3]. ومن ذلك أيضًا قول عبــد يغوث بن وقّاص الحارثي :

وقد عَلِمَتْ عِرْسى مُلَيْكةُ أنني

أنا الليْثُ مَعْديًّا عليه وعادِيَا

وأصل : معديًّا: معدوًّا، من الفعل عدا يعدو، وقد قلب الواو ياء لتحــدث المحاذاة بين : معديًّا ، وعاديًا[4].

وقال منظور بن مرثد الأسدي:

أزْمَانَ عيْنَاءُ سرُورُ المَسْرُورْ

عيْناءُ حَوْرَاءُ من العِيْنِ الحِيْرِ

فقال : الحِيْــر وكــان قياســه : الحُوْر بالواو، ولكنها لما جاءت بعــد كلمة : العِيْن أراد أن يحاذي بينهما[5].

وقال منظور أيضًا :

---

(١)الأمالي للقالي ٢٠٨/٢ ، تهذيب إصلاح المنطق ٣٦٣/١.

(٢)المخصص ١٨٠/١٠ تهذيب إصلاح المنطق ٣٦٥/١ .

(٣)إصلاح المنطق ١٨٥، أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٨٠ تهذيب إصلاح المنطق ٣٦٦/١ .

(٤)الكتاب ٣٨٥/٤، أدب الكاتب ٣٨٠ .   (٥)أدب الكاتب ٤٠٢ .

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذي القُوْر

قد دَرَسَتْ غَيْرَ رمادٍ مكْفُورْ

مُكْتَئبِ اللونِ مَرِيحٍ مَمْطُورْ

قال : مَرِيح ، وأصلها، مَرُوح، من الفعل راح يروح، وقد قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها[1] .

وقال حُميد بن ثور الهلالي :

ويَأْوِي إلى زُغْبٍ مساكينَ دونَهُمْ

فَلاً لا تخطَّاهُ الرِّفاقُ مَهُوبُ

فكلمة : مَهُوبُ ، أصلها : مَهيب، من الفعل هاب يهيب، بناه على قول من قال: قد هُوبَ الرجلُ ، وقلب الياء واوًا للمناسبة بين لام الكلمة وعينها[2].

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق القلب كتابة المصحف؛ مثلا إنهم كتبوا : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ (الضُّحى٢). بالياء وهو من ذوات الواو، لمَّا قُرن بغيره مما يُكتب بالياء؛ والضحى، وقد نظم في ذلك أبو البقاء الكفوي قوله:

قَدْ يُقْرنُ بي امرؤٌ فيُعْطَى شأني

كالليلِ إذا سَجَى ليأتيني[3]

وفي الحديث الشريف: إن المنافق إذا وُضع في قبره سُئل عن محمد ﷺ وما جاء به ، فيقول لا أدري، فيُقال: "لا دَرَيْت ولا تَلَيْتَ ولا اهتديت" ومعنى: ولا تليت: ولا تلوت؛ أي لا قرأت ولا درست، من الفعل تلا يتلو، فقالوا : تليت بالياء ليعاقب بهاء الياء في دَرَيْت؛ وليزدوج الكلام مع : دَرَيْتَ واهتديت.[4] وفي الصِّحاح: يُقال: لا دَرَيْتَ ولا تليْتَ ؛ تزويجًا للكلام، والأصل: ولا ائتليت، وهو افتعلت من قولك: ما ألوتُ هذا؛ أي ما استطعته؛ أي ولا استطعت[5].

وفي الأساس : "تقول العرب:"الموت طريق ميتاء، وهو لكل حيٍّ ميداء" والقياس: مِئْتَاء بالهمز، على وزن مِفْعَال من أتيت؛ أي طريق

(١)أدب الكاتب ٤٠٤ . (٢)أدب الكاتب ٤٠٥ .

(٣)الكليات لأبي البقاء ٨٥٦ .

(٤)اللسان : تلا ٤٤٥/١ ، الأشباه والنظائر في النحو ١٥/١ .

(٥)الصِّحاح : تلو ، المزهر للسيوطي ٣٤٢/١ .

يأتيه الناس، والدليل على أن الكلمة بالهمز قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر : "لولا أنه وعد حق وقول صدق وطريق مئتاء لحزنّا عليك يا إبراهيم" ، وإنما قلبت العرب الهمزة ياء في:"ميتاء" لتحاذي كلمة: ميداء(١).

ومن المحاذاة أيضًا قول العرب: فلان كريم المواتاة ، جميل المواساة" بقلب الهمزة واوًا في الكلمتين : المواتاة ، والمواساة، وأصلها : المؤاتاة من آتى ، والمؤاساة من آسى، وإنما قُلبت الهمزة واوًا لتحقيق المحاذاة رغم أن الجوهري نسب ذلك إلى لغة العامة ، والأصل تحقيق الهمز(٢). وقد يحدث عكس ما سبق؛ أي تتحول الواو إلى همزة لتتحقق المحاذاة؛ في قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم إني أعوذ بك من الألْس والألْق"، فالألْس: الخداع والخيانة ، والألْق : الجنون ، وأصل الألْق : الوَلْق وإنما قلبت الواو همزة لتزدوج مع الكلمة السابقة عليها، وهي الألس ، وتتحقق بهما معًا المحاذاة الصوتية(٣).

ومن ذلك قول العرب : "إنه لأَمورٌ بالمعروف نَهُوٌّ عن المنكر " ،قال ابن بَرِّي: كان قياسه أن يُقال : نهيٌّ ؛ لأن الواو والياء إذا اجتمعتا وسبق الأول بالسكون قُلبت الواو ياء، ومثل هذا في الشذوذ : قولهم في جمع فتىّ فتوٌّ ، وإنما قلبت الياء واوًا لتتحقق المحاذاة بين : أَمُورٌ ، ونَهُوٌّ(٤)

ومنه أيضًا قول العرب : "أثقلُ من البِرْذَوْن ، وأضرُّ من الجِرْذَوْنِ" ، والبِرْذَوْن: الدابة ، وقيل: ضرب من الخيل من غير نتاج العِراب، والجِرْذَوْن أصلها: الجِرْذَان، بالألف؛ وهي نوع من الأحناش، وقيل من السِّباع ، وقيل الذكر الكبير من الفأر ، وإنما قُلبت الألف واوًا في : الجِرْذَوْن

---

(١)الأساس ٣/١ : أتى ، التاج ١٠/٨-٩ : أتى .

(٢)صحاح الجوهري: أتى ، الأساس ١ /٤:أتي، التاج ١٠/ ١٠ أتى .

(٣)اللسان ١/ ١١٠ : ألق .

(٤)الأساس ١/ ١٩ : أمر، التاج ١٠/ ٣٨١ : نهى .

لتحاذي كلمة: البِرْذَوْن قبلها[1].

ويقول العرب أيضًا:"في أُذُنِه طَرَشٌ، وفي جلده بَـرَشٌ" والبَـرَش أصـله: البَرَص، ولكـن العـرب كرهـوا أن يقولوا : البَرَص –بالصـاد– فقلبـوا الصاد شيناً،وأطلقوا على جذيمة بـن مالك: الأبرش، وكان به بَرَص، فكنوا به عنه،ومن هنا دخلت مادة (بـرش) في المعاجم العربية لتدل على كل مـا فيه نُقَطٌ بيض، إلـى جانـب تحقـق المحاذاة بين كلمتـي:طَرَش،وبَـرش، ويبدو أنَّ المحاذاة هي التـي جعلـت العرب يستعملون الكلمـة بعـد ذلـك بالشين إلى جانب السبب النفسي الذي أشار إليه أصحاب المعاجم[2]. وجـاء في تثقيف اللسان لابن مكـي : فأمَّـا قولهم: جعله الله فالا لا يفيل" ؛ أي لا يخيب ، فعلى تسهيل الهمزة ليتجـانس الكلام، والأصل : الفأل ضد الطيرة ، مهموز ، كما قالوا : جئته بالغدايا والعشايا ، و"ارجعن مأزورات غيـر مأجورات"[3].

٢- **الحذف** : قد تزيد العرب صـوتًا أوتحذف صوتًا لتحقيق التوازن بـين الكلمات؛ ومما حذفته العرب لتحقيـق المحاذاة بين الكلمات قول لبيـد بـن ربيعة:

إنَّ تَقْوَى ربِّنا خيرُ نَفَلْ

وبإذن الله ريثى وعَجَلْ

فكلمة عَجْـلْ أصـلها : عَجْلـى بإلحاق ياء المتكلم، ولكنه حذفها وسَكَّن عين الكلمة ولامها لتحاذي كلمة: نَفَلْ. ومنه قول الأعشى :

ومن شانئٍ كاسفٍ وجهه

إذا ما انتسبْتُ له أنكَرَنْ

فكلمة : أنكرن أصلها : أنكرنـي بإلحاق ياء المـتكلم ، ولكنـه حـذفها واكتفى بنون الوقاية سـاكنة لتحـاذي قافية الأبيات[4].

وقد ورد في القرآن الكريم كثير

---

(١)الأساس ٤١/١: برذ، اللسان٢٥٢/١، ٥٩١: برذ ، جرذ.

(٢)الأساس ٤٢/١: برش، اللسان ٢٥٧/١ : برش .

(٣)تثقيف اللسان ، ابن مكي الصقلي ، تحقيق د. عبد العزيز مطر، ص ١٥٩.

(٤)فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ .

من الحروف المحذوفة لحفظ التـوازن بين الكلمات ولتحقيق المحـاذاة بـين الفواصل القرآنية ؛ كمـا فـي قولـه تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(الفجـر٤)، ويسْرِ أصلها :يسرى بالياء، وحُـذفت الياء لتحقيق المحاذاة مع ما قبلها وما بعدها من آيات،وقوله تعالى: ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾(الرَّعد ٩)،وأصلها المتعـالى، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ الـتَّلاقِ ﴾ و ﴿يَـوْمَ التَّنَادِ ﴾ (غافر ١٥، ٣٢)، بحذف يـاء المنقوص مع أن الاسم معرَّفٌ بـأل، وكلام العرب لا يحذف ياء المنقوص المعرَّف بأل ، وإنما حُذف هنا لتحقيق المحاذاة الصوتية.ومنه قوله تعـالى: ﴿ فكيف كان عـذابي ونُـذُر﴾ وقولـه تعالى: ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ بحـذف ياء الإضافة في الآيتين ؛ وأصـلها : ونذري ، عقابي ، كل ذلك من أجـل تحقيق الجانب الجمالي فـي الكـلام المتمثل في المحاذاة أو المناسبة بـين الكلمات ، كما في قوله تعالى أيضًا: ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مـريم ٢٨)، فحذف منها تاء التأنيـث، وأصـلها: بغيَّة، فلما حُوِّلت عن فاعل نقص منها حرف [١]. وكقوله تعالى:﴿ إنَّ هَـؤلاءِ ضيفي فلا تفضـحون ﴾(الحِجْـر٦٨) وأصلها فلا تفضحوني ، وفي أسـاس البلاغة: تقول العرب: "لم يزل يقـرِّظ أحياكم ، ويؤبِّن موتاكم " [٢] فقد حُذفت الهمزة من"أحياءكم" لإحداث المحـاذاة مع كلمة : موتاكم . ويقول الفقهـاء : "إذا استقا فقا في رمضان "والقيـاس : استقاءَ فقاءَ – بالهمز والمـد فيهمـا جميعًا – وإنما سُهِّل الهمـز لتتحقـق المحاذاة بين الكلمتين : استقا، فقا [٣] . ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (المؤمنون ٩٩)، والقياس ارجعوني – بياء المتكلم – ولكن حُذفت للفاصـلة القرآنية والمحاذاة الصوتية[٤].

وفي التـاج : والحِـرّ بالكسـر وتشديد الراء : فرْج المرأة لغـة فـي المخففة ؛ لأن العـرب استثقلت حاءً

(١)الإتقان للسيوطي ١٧١/٣ .

(٢) الأساس ١/ ٢ : أبن . (٣) تثقيف اللسان ٢٦١ .

(٤)انظر باب ياءات الإضافة فى : تقريب النشر ٨٢ – ٨٩ .

قبلها حرف ساكن فحذفوها وشددوا الراء ، وهو في حديث أشراط الساعة: يستحل الحِرّ والحرير ، قال ابن الأثير: هكذا ذكر أبو موسى في حرف الحاء والراء، وقال : الحِرُ بتخفيف الراء: الفرْج، وأصله: حِرْح بكسر الحاء وسكون الراء ومنهم من يشدِّد الراء وليس بجيد ، فعلى التخفيف يكون في ح ر ح ، وإنما حذف رسول الله ﷺ الحاء من الكلمة الثلاثية لتحدث المحاذاة بين : الحر والحرير[١] .

٣- **الزيادة** : وأما ما زادته العرب من أصوات في الكلمة لتحقيق المحاذاة، قولهم:"لكل ساقطة لاقطة" ويعنون به : لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها بين الناس، وكان ينبغي أن يُقال : لكل ساقطة لاقطٌ ، ولكنهم أدخلوا الهاء في كلمة اللاقطة ليزدوج الكلام وتتحقق المحاذاة [٢] .

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة بقاء حرف العلة مع وجود أداة جازمة تقتضي الحذف؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى ﴾ (طه٧٧) ، وقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى ﴾ (الأعلى٦) ، على القول بأنه نهى[٣] . ويقول العرب في أمثالهم: بفيه الْبَرَى، وحُمَّى خيبري ، وشرٌّ ما يُرى ، فإنه خيسرى" ، والْبَرَى هو التراب، وخيبرى هي خيبر ، وخيسرى : الخُسران والهلاك، ونلاحظ زيادة الألف في : خيبر، وخيسر ، لتحدث المحاذاة بين الكلمات الأربع : البرى ، خيبرى، ما يُرى، خيْسرى، ولا يُقال: خَيْبَرى وخيسرى بالألف إلا في هذا الإتباع فقط، أما في غير هذا فيقال : خيبر وخيسر بدون الألف [٤] .

وفي القرآن الكريم زادت بعض الحروف لتتحقق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ كما في قوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾(الأحزاب١٠)،

(١) انظر:تاج العروس: حرر ١٣٤/٣.

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة ٥١ . (٣)الإتقان للسيوطي ٢٩٧/٣ .

(٤)مجمع الأمثال ١٣٠/١، ديوان الأدب للفارابي ٨٠/٢ باب فيْعلى، اللسان:برى ٢٧٢/١: خسر ١١٥٦/٢

فقد زادت الألف لتحاذي الفاصلة التي قبلها: بصيرًا، والتي بعدها : شديدًا،وقوله تعالى: ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الأحزاب٦٧) فقد زاد حرف الألف ، وأصلها: السبيلَ ، لتحاذي الفاصلة التي قبلها والتي بعدها ، وقوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا الله وأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾ (الأحزاب ٦٦) بزيادة الألف لتحاذي بقية فواصل السورة[١].

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة في القرآن الكريم إثبات هاء السكت في قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ،هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه﴾ (الحاقة ٢٨، ٢٩) فأصل ماليه: مالي، وأصل سلطانيه: سلطاني ، ثم زادت هاء السكت لتحدث المحاذاة مع الفاصلة التي قبلها والتي بعدها؛ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ›(الحاقة ١٨ ،١٩، ٢٠).

وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه ﴾ وأصلها : ما هيَ، وزادت الهاء لتحاذي ما قبلها : فأمه هاوية ، وما بعدها: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ›(القارعة ٩، ١٠ ،١١).

ومن ذلك قوله – ﷺ – : "ليس في حَجْرة ولا بَغْلة زكاة"؛ والحَجْر: الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء؛ لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر ، والجمع : أحجار، وحُجُورة،وحُجُور، وإلحاق الهاء هنا لمشاكلة كلمة : بَغْلة، وهو باب واسع[٢].

وجاء في التاج: سأل الرشيد اليزيدي والكسائي عن قصر الشراء ومده، فقال الكسائي : مقصور لا غير، وقال اليزيدي: يُمدُّ ويُقصر، فقال له الكسائي: من أيْن لك ؟ فقال اليزيدي: من المثل السائر: لا يُغترُّ بالحُرَّة عام هدائها، ولا بالأَمَة عام شرائها ، قال المناوي : ولقائل أن

(١)حول فواصل الآي في القرآن الكريم انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٢٩٠-٣٠١ .

(٢)اللسان : حجر ٢/٧٨٤، التاج : حجر ٣/١٢٥.

يقول إنما مدّ الشراء لازدواجه مع ما قبله فيحتاج لشاهد غيره[1].

ومن أمثال العرب التي تحققت فيها المحاذاة بالزيادة قولهم : "لا يُنْبِتُ البَقْلَة إلا الحَقْلَة" [2]؛ أي لا يلد الوالد إلا مثله، وقال الأزهري : يُضرب مثلاً للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس، وقال ابن سيده: وأراهم أنَّثوا الحقلة في هذا المثل لتأنيث البَقْلة، وبذلك تتحقق المحاذاة بينهما عن طريق زيادة تاء التأنيث .

وفي حديثه ﷺ : "يا أبا عُمَيْر، ما فَعَل النُّغَيْر؟" والنُّغَر طائر صغير مثل العصفور، وبتصغيره جاء الحديث [3]، وإنما صغَّره الرسول ﷺ رغم أن الكلمة تدل على الطائر الصغير لكي تحاذي كلمة: "عُمَيْر" قبلها . ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلَّطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ (النساء ٩٠) فقد زادت اللام في "فلقاتلوكم" لمحاذاة اللام في "لسلطهم" وهي جواب "لو" ، فالقياس: لسلَّطهم عليكم فقاتلوكم، وإنما زادت اللام للمحاذاة، ومثله قوله تعالى: ﴿لأُعذِّبَنَّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنَّه أو ليأتينِّي بسلطان مبين ﴾ (النَّمل ٢١)، فاللام في "لأعذبنَّه ، لأذبحنّه " لام القسم، أمَّا اللام في "ليأتينِّي" فإنما جاءت للمحاذاة، فليس هذا موضع قسم ، لكنه لما جاء على إثر ما يجوز فيه القسم أُجرى مجراه[4] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أنفُسَهُمْ﴾(البقرة٩) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: "وما يخادعون" بزيادة الألف لمحاذاة اللفظ الأول، وبذلك تكون المفاعلة من الجانبين[5].

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة إدخال (ال)التعريف

---

(١)التاج ١٠/١٩٦: شرى .

(٢)ديوان الأدب ١/ ١٤٤ باب فَعْلة، مجمع الأمثال ٢/٢٣٣، اللسان ٢/٩٤٥ : حقل .

(٣)ديوان الأدب ١/٢٥٣ : فُعَل . (٤)الكليات لأبي البقاء ٨٥٦ .

(٥)السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٤١، تقريب النشر لابن الجزري ٩٠ .

على العلم؛ وذلك في قول الشاعر:
رأيْتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركًا

والأصل : الوليد بن يزيد؛ ولكنه أدخل (ال) عليها لتحاذي كلمة: الوليد قبلها، قال ابن جرير: حسَّن دخول اللام في اليزيد الإتباع للوليد[1].

٤- **الإمالة** : مصدر الفعل : أملته وأميله إمالة ، والميل: الانحراف عن القصد؛ يقال: مال الشيء، ومال الحاكم: إذا عدل عن الاستواء. والإمالة في الاصطلاح عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخَّمة وبين مخرج الياء[2].

وقد تُتَّخذ الإمالة وسيلة من وسائل تحقيق المحاذاة الصوتية بين الكلمات؛ ففي القرآن الكريم قُرِئ بالإمالة ﴿ والشَّمْسِ وضُحَاهَا ﴾ (الشمس١) ، والضحى اسم مقصور وهو جمع ضحوة كقرية وقُرى، والقياس يأبى الإمالة؛ لأنه من الواو وليس فيه كسرة، وإنما أمالوه حين قُرن بـ : جلاَّها ، ويغشاها وكلاهما مما يُمال لأن الألف فيهما من الياء، لقولك: جلَّيته، وكذلك ألف يغشى، لقولك في التثنية : يغشيان، فأرادوا المشاكلة ، ولو انفردت كلمة الضحى وحدها لم تمل، وإنما أُميْلَتْ لازدواج الكلام حين اجتمع مع ما يُمال[3].

وكما أمالوا في "الشمس وضحاها" أمالوا أيضًا في : "والضحى، والليل إذا سجى" وذلك لتحقيق المحاذاة بين الكلمات.

وقد أمالوا الفتحة في قوله تعالى:﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولى الضرر ﴾ (النِّساء ٩٥) في كلمة الضَرَر وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾(آل عمران ٤٠)،وفي قولهم: من الضرر، ومن الكبر، ومن الصغر ، ومن المحاذر، والفتحة تُمال كما تُمال الألف، لأن الغرض من الإمالة هو

(١)الأشباه والنظائر ١/١٥ – ١٦ .
(٢)شرح المفصل لابن يعيش ٩/٥٤ .
(٣)السابق ٩/٦٤.

مشاكلة الأصوات وتقريب بعضها من بعض، وذلك موجود في الحركة كما هو موجود في الحرف؛ لأن الفتحة من الألف، وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، لأن الحركات والحروف أصوات، وإنما رأى النحويون صوتًا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفًا والضعيف حركة، وإن كانا في الحقيقة شيئًا واحدًا، فلذلك دخلت الإمالة في الحركة كما دخلت الألف؛ إذ الغرض إنما هو تجانس الأصوات وتقريب بعضها من بعض، فكل ما يوجب إمالة الألف يوجب إمالة الحركة التي هي الفتحة، وما يمنع إمالة الألف يمنع إمالة الفتحة، وأكثر ما جاء ذلك مع الراء المكسورة، تقول: من الكبر، ومن الصغر... إلخ فأمالوا الفتحة بأن أجنحوها إلى الكسرة فصارت بين الفتحة وبين الكسرة[1].

٥- فكُّ ما استحقَّ الإدغام :

كما في قول النبي ﷺ في حديثه لنسائه: "ليت شِعْري أيتكُنَّ صاحبةُ الجملِ الأَدْبَبِ، تخرج فتنبحها كلابُ الحوْأَب" ؟ أراد : الأَدَبّ ، وهو الكثير الوبر؛ وإنَّما فكَّ التضعيف ليوازن ويحاذي به كلمة: الحوْأب[2].

القسم الثاني : المُحاذاة الصرفية

نعني بها: تغيير يطرأ على بنية الكلمة وصيغتها لكي تتفق مع كلمة سابقة عليها أو لاحقة بها في الوزن الصرفي، ومن خلال حصر الألفاظ التي تحققت فيها المحاذاة الصرفية يمكن تصنيفها في عدة صور: مجيء المشتق على غير قياس، والجمع على غير قياس، وتحويل المجرد إلى مزيد والعكس، والاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس، وإيثار بعض صيغ المشتقات ، والإتباع.

أولا: مجيء المشتق على غير قياس:

كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "أعيذه من كلِّ عامَّة ولامَّة ومن شرِّ كلِّ سامَّة "قال أبو عبيد:ولم يقل مُلِمَّة،

(١)شرح المفصل لابن يعيش ٩/٦٤ – ٦٥ .

(٢)اللسان ٢/١٣١٦: دبب ، الأشباه والنظائر ١/١٥ .

وأصلها من أَلْمَمْتَ بالشيء تأتيه وتلمُّ به؛ ليزاوج قوله:"ومن شرِّ كلِّ سامّة"[١]، وقال ابن فارس: ومثله قولهم: "أعوذ بك من السامّة واللامَّة ، فالسامة من قولك: سَمَّتْ إذا خصَّتْ، واللامّة أصلها من ألمّت، وكان حقُّه أن يقول: من السامّة والمُلِمَّة، لكن لما قُرنَتْ بالسامة جُعلت في وزنها[٢].

وجاء في الخبر: "خير المال سِكَّة مأبورة،أو مُهْرة مأمورة" والسّكة : السطر من النخل، والمأبورة: الملقَّحة، والمهرة المأمورة:كثيرة الولد، أراد: خير المال ما كان زرعًا أو نتاجًا، والفعل من: مأمورة آمر ، وكان القياس يقتضي أن يقول: مُؤْمَرة، وإنما أتى بها :مأمورة، فلما ازدوج اللفظان جاءوا بمأمورة على وزن مأبورة، كما قال ﷺ : ارجعن مأزورات غير مأجورات ، وإنما هو موزورات من الوِزْر[٣].

ومن المحاذاة الصرفية عن طريق مجيء المشتق على غير قياس قول النابغة الذبياني:

كِليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ
وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

فالفعل من :ناصب: أنصب، وكان القياس أن يُشتق اسم الفاعل منه على: مُنْصِب، ولكنه أراد تحقيق المحاذاة مع: الكواكب، بدليل قول أبي طالب: ألا مَنْ لِهَمٍّ آخر الليل مُنْصِبِ[٤]. وناصب : مُتْعِب، وفعله : أنصب ، فهو من الوصف الذي لم يجر على فعله، وجاء على معنى: ذي نصب[٥]. ومن ذلك أيضًا : هو البشير النذير ، وكان القياس يقتضي أن يُقال : المُبشِّر؛ لأنها من الفعل : بَشَّر، والمُنْذِر؛ لأنها من الفعل أنذر ، ولكن حدثت المحاذاة بين الكلمتين عن طريق مجيئهما على غير قياس .

ويقول الثعالبي : ومن سنن العرب أنها قد تحذف من الكلام بعضه لتتحقق المحاذاة ؛ كما في قولهم : ليلٌ

---

(١)تاج العروس ٦٣/٩ : لمم . (٢)الصاحبي ٢٣١ ، المزهر ٣٣٩/١ .
(٣)اللسان : أمر ١٢٦/١ –١٢٧، المزهر ٣٤٠/١.
(٤)اللسان : نصب ٤٤٣٥/٦ . (٥)الكتاب ٣٠٧/٢ " هامش " .

نائمٌ ؛ أي يُنام فيه، وليلٌ ساهرٌ ؛ أي يُسهر فيه، وفي القرآن الكريم: ﴿ في يوم عاصفٍ ﴾؛ أي يومٌ عاصفُ الرِّيح، وقد حدث الحذف لتتحقق المحاذاة [1] .

ثانيًا : الجمع على غير قياس :

قد يجمع العرب الكلمة على غير قياس لتحاذي كلمة قبلها أو بعدها، يقول ابن فارس: ومن سنن العرب المحاذاة، وذلك أن تجعل كلامًا ما بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظًا وإن كانا مختلفين؛ فيقولون : الغدايا والعشايا، فقالوا: الغدايا، لانضمامها إلى العشايا[2].

وفي اللسان : وقالوا : إني لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تُجمع على الغدايا ، ولكنهم كسَّروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، فإذا أفردوه لم يكسِّروه.

وقال ابن السّكِّيت في قولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا ، قال : أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج، وإذا أفرد لم يجز، ولكن يُقال : غداة والجمع غدوات لا غير [3] .

ومن ذلك أيضًا قول القُلاخ بن حُبابة، وقيل ابن مُقْبل :

هَتَّاكِ أخبيةٍ ولاَّجِ أبوبةٍ

يخلطُ بالبرِّ منه الجِدَّ واللِّينا

فكلمة : باب تُجمع قياسًا على أبواب وبيبان؛ وإنما قال أبوبة للازدواج لمكان أخبية، ولو أفرده لم يَجُزْ ، وكان الوزير ابنُ المَغْرَبِيِّ يسألُ عن هذه اللفظة على سبيل الامتحان، فيقول: هل تعرفُ لفظة تُجمع على أَفْعِلة على غير قياس جمعها المشهور طلبًا للازدواج، يعني هذه اللفظة ؛ وهي أبوبة [4].

ثالثًا:تحويل المجرد إلى مزيد والعكس:

قد يتحوَّل الفعل المجرد إلى فعل مزيد، وقد يتحول المزيد إلى مجرد لتحقيق المحاذاة بين كلمتين ، ومن

---

(١)فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨ .

(٢)الصاحبي في فقه اللغة ٢٣١ ، وانظر فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨ .

(٣)اللسان (غدو) ٣٢٢٠/٥ . (٤) اللسان (بوب) ٣٨٢/١ – ٣٨٣ .

ذلك ما جاء في الصِّحاح:قال الفـرَّاء: يُقال : هنأني الطعام ومَرَأني، والفعل مرأ تحـوَّل إلـى مجـرد، وأصـله: أمرأني، فإذا أتبعوهـا كلمـة هنـأني قالوها بغير الألف ، فـإذا أفردوهـا قالوا:أمرأني بزيادة الهمزة في أوله(١).

وفي اللسان : قالت العرب: أكلتُ طعامًا فهنأني ومرأنـي ، معنـاه إذا أُفْرِد: أمرأني ، فحذف منه الألف لمـا أُتبع ما ليس فيه الألف (٢) .

ومن ذلك أيضًا قول العرب: لـه عندي ما ساءه وناءه، والفعل : ناء لا يتعدى،والقياس أن يقال: أناءه ، وإنما حذف الهمزة ليحاذي الفعـل: سـاءه، وفي اللسان: أراد ساءه وناءه، وإنمـا قال : ناءه وهو لا يتعـدى ، لأجـل: ساءه ، فهم إذا أفردوا قـالوا: أنـاءه، لأنهم إنما قالوا : ناءه، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام(٣) .

وأما تحويل المجرد إلى مزيد من أجل تحقيق المحاذاة ما قاله الكُميت :

أَبْرِقْ وأَرْعِدْ يا يزيـــ
ـــد فما وعيدُك لي بضائِرْ

فالفعلان:أبرق،وأرعد مجردان:بَرَق، ورَعَد، ففي حديث أبي مُلَيْكة:" إنَّ أمَّنا ماتت حين رَعَد الإسلام وبَرَق" بغيـر همزة، والأمر منهما:ابْرُق،وارْعُد،كما يقول ابن أحمر :

يا جُلَّ ما بَعُدَتْ عليكَ بلادُنا
فابْرُقْ بأرضِكَ ما بدا لَكَ وارْعُدِ

ولم يكن الأصـمعي يـرى بيـت الكُميت حُجَّة؛ لأنه عنده مولّد ، وإنما قال : أَبْـرِقْ، وأَرْعِـدْ لـلازدواج ، ولتحقيق المحاذاة بين الفعلين (٤) .

ومثله قوله عليه الصَّلاة والسلام: "مَنْ حفَّنا أو رفَّنا فليقتصد"؛ أي مَـنْ خدمنا أو أطعمنا ، وكـان الأصـل: أتحفنا، فأتبع حفَّنا رفَّنا(٥). وتحقق بهما معًا المحاذاة.

رابعًا:الاستغناء بالمفرد عن المثنـى أو الجمع والعكس :

قد تتحقق المحاذاة بين الكلمات عن طريق

---

(١)الصحاح (مرأ) ٧٢/١ . (٢)اللسان (نوأ) ٤٥٦٧/٦ ، المزهر ٣٣٩/١ – ٣٤٢ .
(٣)اللسان (نوأ)٤٥٦٧/٦ ، المزهر ٣٣٩/١ – ٣٤٢ .
(٤)إصلاح المنطق ٢٢٦، أدب الكاتب ٢٤٥، اللسان : رعد . (٥)دُرَّة الغوَّاص، رقم ٤٣ .

الإتيان بالمفرد في موضع التثنية أو الجمع، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [١](طه ١١٧)،وكان القياس يقتضي: فتشقيا إلا أن الحس الجمالي في القرآن الكريم أبى إلا أن يحقق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ في الآية السابقة عليها: إلا إبليس أبى ، والآية التالية: ألا تجوع فيها ولا تعرى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٢](القمر ٥٤) كان القياس يقتضي أن تُجمع على : أنهار ، لجمع جنَّات، ولكن الفاصلة في السورة من أولها إلى آخرها تنتهي بالراء وقبلها حرفٌ متحرِّك،حتى عنوان السورة:القَمَر، فجاءت الآيات منسجمة في نهاية بديعة، وقد تحققت المحاذاة بين الكلمات التي انتهت بها كل آية ، وكقوله تعالى:﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٣](النِّساء ٦٩)،والقياس رُفقاء . وإنما استغنى بالمفرد : رفيقًا عن الجمع : رُفَقَاء لتحقيق المحاذاة الصرفية، والتزام الفاصلة قبلها وبعدها، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤] (التحريم ٤)، وكان القياس يقتضي جمع كلمة: ظهير جمعًا سالمًا أو مُكسَّرًا على: ظهيرون، أو ظُهَراء، ولكنه استغنى بالمفرد عن الجمع لتحقيق المحاذاة [٥].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [٦](الفرقان ٧٤) قال أبو عبيدة: إمامًا هو واحد يدل على الجمع كقول المسيب بن زيد الغنوى: في حلقكم عظمًا وقد شُجينا ، حيث وضع الحلْق موضع الحلوق، و "إن المتقين في جنات ونهر" ، وكان القياس يقتضي جمع إمام على أئمة، واجعلنا للمتقين أئمة، ولكن المحاذاة بين نهايات الآيات هي التي جعلت المفرد في موضع الجمع أو المناسبة .

والمناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة

---

(١)طه ١١٧ . (٢) القمر ٥٤ (٣)النساء ٦٩ .

(٤) التحريم ٤ (٥)تأويل مشكل القرآن ٢٨٤، ٢٨٥

(٦)الفرقان ٧٤ .

الأصول؛ يقول ابن الصائغ: وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيِّفٍ وأربعين حكمًا [1]

ومن ذلك أيضًا قول العرب: أقبل الحاجُّ والداجُّ ، والحاجُّ الذين يحجُّون، والداجّ الذين معهم من الأُجراء والمكارين والأعوان ونحوهم،وهذان اللفظان وإن كانا مفردين فالمراد بهما الجمع، كقوله تعالى: ﴿ مستكبرين به سامرًا تهجرون﴾(المؤمنون ٦٧)، وإنما وُضع المفرد موضع الجمع لتحقيق المحاذاة بين الكلمتين: الحاجُّ والداجّ ، ولا تتحقق لهما لو جُمعا [2].

ومن مظاهر الاستغناء بالمفرد عن المثنى في القرآن الكريم من أجل الفاصلة قوله تعالى:﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[3] (الشمس ١٢) فإنهما رجلان:قُدار وآخر معه،ولم يقل:أشقياها، للفاصلة، ولتحقيق المحاذاة بين الآيات .

أما من مظاهر الاستغناء بالمثنى عن المفرد قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [4](الرحمن ٤٦)قال الفرَّاء : أراد جنَّة ، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [5] ، فثنى لأجل الفاصلة، والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام [6] . ومنه قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [7]، فاللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من الماء المالح لا من العذب ، ولكنه استغنى بضمير المثنى: "منهما" عن الإفراد والتفصيل؛ لتظل الفاصلة القرآنية وتتحقق المحاذاة [8] . ومن مظاهر الاستغناء بالجمع عن المفرد لتحقيق المحاذاة قوله تعالى : ﴿ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ [9]، والقياس :ولا خُلَّة، كما في الآية الأخرى: ﴿لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعةٌ﴾ (البقرة ٢٥٤) ، وإنما جاء بالجمع للفاصلة والمحاذاة.

---

(١)الإتقان فى علوم القرآن ٢٩٦/٣. (٢)اللسان (دجج) ١٣٢٧/٢ . (٣)الشمس ١٢ .
(٤)الرحمن ٤٦ . (٥) النازعات ٤١ . (٦) الإتقان في علوم القرآن ٢٩٩/٣ .
(٧) الرحمن ٢٢ . (٨)تأويل مشكل القرآن ٢٨٧ . (٩)إبراهيم ٣١.

خامسًا : إيثار بعض الصيغ :

قد تؤثر اللغة بعض الصيغ دون بعض؛ لأنه من خلالها تتحقق المحاذاة بين الكلمات ؛ ففي القرآن الكريم : ﴿ وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِـينِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ﴾ (١) ،فقد آثر القرآن: سينين على الأصل : سـيناء، وذلـك لتحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية: التين، سينين ، الأمين . ومـن ذلـك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَـانَ رَبُّـكَ نَسيًّا﴾ (٢)، فقد آثر صيغة فعيل علـى فاعل من أجـل الفاصـلة . وقولـه تعالى:﴿إنَّ هَـذَا لَشَـيءٌ عُجَـابٌ﴾ (٣) باستعمال صيغة فُعال وإيثارها علـى فعيل .

وقد يؤثر القرآن الكـريم وضـع "فاعل" موضع "مفعول" والعكس؛ ففي قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (٤) وُضع "مفعول" موضع "فاعل" والمعنى حجابًا ساترًا، وفي قوله تعالى : ﴿ إنَّهُ كَـانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (٥) وُضع أيضًا "مفعول" موضع "فاعل"؛ والمعنى : إنـه كـان وعده آتيًا.

وقد يقع "فاعل" موقع "مفعول" في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٦) والمعنى في عيشة: مرضـيَّة، وفـي قوله تعالى: ﴿مِـن مَّـاءٍ دَافِـقٍ﴾ (٧) والتقدير: مدفوق .

وإيثار بعض هذه الصيغ جاء لتحقيـق الفاصلة، وكذلك لتحقيق المحاذاة بـين نهايات الآيات، ومنه قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًـا آمِنًـا﴾ (٨) ، والتقدير: مأمونًا فيه ، فجعل الفاعـل مكان المفعول، وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (٩) ، والتقـدير : مُبْصَرًا بها، فقد جعل اسم الفاعل فـي موضع اسم المفعول (١٠) .

وقد تتحقق المحاذاة بإيثار صيغة الجمع للعاقل على صيغة الجمع لغير العاقل ، أي بـإجراء غيـر العاقـل مجرى العاقل ، كما في قوله تعالى:

(١) التين ١، ٢، ٣.
(٢) مريم ٦٤ .
(٣) سورة ص ٥ .
(٤) الإسراء ٤٥ .
(٥) مريم ٦١ .
(٦) الحاقة ٢١ .
(٧) الطارق ٦ .
(٨) العنكبوت ٦٧ .
(٩) الإسراء ١٢ .
(١٠) تأويل مشكل القرآن ٢٩٦ .

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1]؛فقد أجرى الشمس والقمر والكواكب مجرى العاقل،وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]. فأسند للفعل واو الجماعة، وعامل الليل والنهار معاملة العاقل ، كل ذلك من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفواصل[3].ومن مظاهر المحاذاة أيضًا العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال من أجل الفاصلة والمحاذاة ؛ كما في قوله تعالى :
﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [4] ، والقياس كان يقتضي : وفريقًا قتلتم[5].

ومن ذلك تذكير اسم الجنس أو تأنيثه حسب ما تقتضيه المحاذاة ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[6]، وقوله تعالى:﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [7]، فاستعمل في الأولى : منقعِر لتحاذي ما قبلها وما بعدها من آيات ، واستعمل في الثانية : خاوية للسبب نفسه، فسورة القمر فواصلها: الراء، وسورة الحاقة: فواصلها التاء المربوطة ، وبذلك تحققت المحاذاة في اللفظ والمعنى أيضًا [8] .

سادسًا : الإتباع :يُعدُّ الإتباع صورة من صور المحاذاة الصرفية وهو من سنن كلام العرب،وقد عرَّفه أحمد بن فارس بقوله: هو أن تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعًا وتأكيدًا ، وقد سُئل بعض العرب عن ذلك فقال : هو شيء نَتِدُ به كلامنا ، وذلك قولهم: ساغبٌ لاغبٌ ، وهو خَبٌّ ضبٌّ ، وخرابٌ يبابٌ ، وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب[9] . وفي كتاب الإتباع والمزاوجة يقول ابن فارس : هذا كتاب الإتباع والمزاوجة ؛ وكلاهما على وجهين : أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويٍّ واحد ، والوجه الآخر : أن يختلف الرويَّان ، ثم تكون بعد ذلك على وجهين أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف ، إلا أنها

(١) يوسف ٤ . (٢)الأنبياء ٣٣ . (٣) الإتقان ٣/٣٠٠ . (٤) البقرة ٨٧ .
(٥) الإتقان ٣/٣٠١ . (٦) القمر ٢٠ . (٧) الحاقة ٧ . (٨) الإتقان ٣/٢٩٧.
(٩)الصاحبي٢٦٣،وانظر النص أيضًا في: فقه اللغة وسر العربية ٤١٣ .

كالإتباع لما قبلها ، والآخر : أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق [١].

وقد عقد أبو علي القالي للإتباع بابًا هامًا في أماليه ، وجعله على ضربين : ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيدًا ؛ لأن لفظه مخالف للفظ الأول؛ وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول[٢].

ولن نتحدَّث عن الإتباع الذي تمَّ دون تغيير صرفي للكلمة التابعة للسابقة عليها، وإنما يهمنا الكلمة التي خالفت القاعدة أو القياس الصرفي من أجل أن تحقق المحاذاة مع الكلمة السابقة عليها[٣].

ومن المحاذاة الصرفية التي تحققت عن طريق الإتباع بمخالفة القياس قول العرب:هو أسوانٌ أتوانٌ، فأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى: إذا حزن ، وأسوان؛ أي حزين، وأتوان من قولهم : أتيته، ومعنى قولهم : أسوان أتوان: حزين متردد يذهب ويجيء من شدة الحزن؛ وكان القياس يقتضي أن يُقال : أسوان أتيان؛ ولكن قلبت الياء واوًا على لغة هذيل التي تقلب الواو ياءً ؛ ودليلنا قول خالد بن زهير الهذلي :

يا قومِ ما بالُ أبي ذؤيب
كنتُ إذا أتوتُه من غَيْبِ

ويقول العرب : شيطانٌ ليطانٌ ، وليطان مأخوذ من قولهم: لاط يلوط؛ أي لصق، ويُقال : للولد في القلب لوطة، أي حب لازق ، ومعنى قولهم: شيطان ليطان؛ شيطان لصوق، وكان القياس يقتضي أن يُقال : شيطان لوطان، ولكن قلبت الواو ياء لتحقيق المحاذاة بين الكلمتين . ويقول العرب: عييٌّ شييٌّ ، وشَيِيٌّ أصله: شوىٌّ ، ولكنه أُجْرِيَ على لفظ الأول ليكون مثله في البناء .

ويقول العرب: خبيثٌ نبيثٌ ، النبيث هو الذي ينبث شرَّه ؛ أي

(١)الإتباع والمزاوجة ٢٨ . (٢) الأمالي ، للقالي ٢٠٨/٢ – ٢١٨ .

(٣) حول ظاهرة الإتباع انظر : الإتباع لأبي الطيب اللغوي ، والإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس ، والأمالي لأبي على القالي ٢٠٨/٢ – ٢١٨ ، والمزهر للسيوطي ٣٤٠/١ وما بعدها .

يُظهره، وكان قياسه أن يقول: خبيث نابثٌ ، فقيل: نبيث لمجاورته لخبيث .

ويقول العرب : فَدْمٌ لدْمٌ ، والفدْم: العيي البليد ، واللَّدْم ، أصلها : اللَّطْم ، بالطاء، وهو الملطوم، كما قالوا : ماء سَكْب؛ أي مسكوب ، ودرهم ضَرْب أي مضروب ، وقد أُبدلت الطاء دالاً لتشاكل الكلام وتحقق المحاذاة .

ويقول العرب: حَسَنٌ بَسَنٌ، وبَسَنٌ أصلها : بسٌّ ، وبسَّ السويق بسًّا إذا لتَّه بسمن أو زيتٍ ليكمل طيبه، وقد حُذِفت إحدى السينين وزيدت فيه النون، وبُنى على مثال : حَسَنٌ ، ومعناه: حسن كامل الحسن، إذ مذهبهم في الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد ، مثل القوافي والسجع ، ولتكون مثل : حَسَن.

ويقول العرب: حَسَنٌ قسَنٌ ، وقَسَنٌ أصلها : قَسٌّ ، والقَسُّ : تتبع الشيء وطلبُه ، فكأنه حَسَنٌ مقسوس ؛ أي متبوع مطلوب، ثم عُمل بقسّ ما عُمل ببسّ ، فحذفت إحدى السينين وزادت فيه النون وبنى على مثال : حَسَنُ [١].

ويُقال : "لبَّيْك وسعديك" ، أي إسعادًا لك بعد إسعاد ، وقد أُضيف إليها الياء والكاف لتحاذي : لبَّيْكَ وإذا أُفردت لا تأتي على هذه الصيغة ، قال سيبويه : كلام العرب على المساعدة والإسعاد ، غير أنَّ هذا الحرف جاء مُثنَّى على سَعْدَيْك ولا فِعْل له على سَعِد [٢] . ويُقال : "اللهمَّ سَمْعًا لا بَلْغًا" يُضرب هذا المثل في الخبر لا يُعجب؛ أي نسمع به ولا يتم، وكلا الكلمتين جاء على غير قياس ؛ فالسَّمْع مصدر وُضع موضع المفعول؛ أي : مَسْموع، والبَلْغ مصدر كذلك وُضع موضع الفاعل؛ أي : بالغ، ونُصبت الكلمتان على تقدير : اجعله؛ أي الخبر مسموعًا لا بالغًا ، ورُوي المثل بالرفع كذلك : "سَمْعٌ لا بَلْغٌ " على حذف المبتدأ [٣] .

ويقولون : هَنِيءٌ مَرِيءٌ،وهو من قولهم: هَنَأَني الطعام ومَرَأَني فإذا

(١)الأمالي للقالي ٢٠٨/٢ – ٢١٨ . (٢)ديوان الأدب ١٠٣/١ باب فَعْل ، اللسان ٢٠١٢/٣ : سعد .

(٣)مجمع الأمثال للميداني بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٨٣/١ .

أفردوا لم يقولوا إلا أمرأنـــي ، ولــم يقولوا : مرأني [١].

ويُقال تفرَّقت إبله شِذَر بِــذَر؛ أي تفرقت فـــي كــل وجــه ، ويُقــال : شَذَربَذَر، بفتح الشين والبـــاء، وفـــي حديث عائشة رضي الله عنها أن عمر ﷺ شَرَّد الشِّرْكَ شَذَرٌ مَذَرٌ – بفــتح الشين والميم وكسرهما–، وأصـــلهما في اللغة: الشَّذْر ، والبَذْر [٢] ، ولكــن لما كُسرت الشين كُسرت معها البـــاء، ولما تحركت الذال في الأولى تحركت في الثانية .

ومن المحـــاذاة الصَّــرفية عــن طريق الإتباع قولـــه عليـــه الصـــلاة والسلام "عَقْرَى حَلْقَى" أي عقرها الله، وأصابها بوجع في حلقها، وأصـــحاب الحديث يقولون: عَقْرَى حَلْقى بــوزن غضبى، حيث هو جارٍ علىالمؤنث ، والمعروف في اللغة التنوين على أنـــه مصدر فعل متروك اللفــظ تقــديره: عقرها الله عَقْرًا وحَلَقَها اللـــه حَلْقـــا ، وإنما جاء على فَعْلى للمحاذاة[٣] .

القسم الثالث : المُحاذاة النحوية:

وهي على أربعة أنواع: محـــاذاة فـــي علامـــات الإعـــراب؛ الرفـــع ، والنصب والجر، على نحو:هذا جُحْـــرُ ضبٍّ خَرِبٍ، ومحاذاة عـــن طريـــق التقديم والتأخير، على نحو تقديم شـــبه الجملة على المفعول بـــه فـــي قولـــه تعالى: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ بِهِ عَلَيْنا تَبِيعًا﴾ [الإسراء ٦٩] من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفاصلة القرآنيـــة ، وهنـــاك محاذاة عن طريق الحذف ، على نحو حذف المفعول به في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل ٥] ، وقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَـــا قَلَـــى﴾ [الضحى ٣] ، وأخيرًا هناك المحاذاة عن طريق إتبـــاع ضـــمير المـــذكَّر لضمير المؤنَّث .

أولا: المحاذاة في علامات الإعراب :

ونعني بهذا أن الكلمة قد تُكسر أو تُفتح أو تُضم لا حَسَب موقعها الإعرابي

(١)الأمالي ٢٠٨/٢ وما بعدها .

(٢)ديوان الأدب ٢٦٤/١ : فِعَل ، اللسان ٢٣٧/١ : بذر ، ٢٢٢٠/٤ : شذر .

(٣)تأويل مشكل القرآن ٢٧٦ ، اللسان ٣٠٣٥/٤ – ٣٠٣٦ : عقر .

من الكلام ، وإنما يحدث ذلك تبعًا للكلمة التي قبلها، ليحدث بهما معًا المحاذاة أو الموازاة ؛ وقد عقد لها الثعالبي فصلاً في كتابه فقه اللغة وسر العربية؛ وسمَّاه : فصل في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة ، والعرب تفعل ذلك فتقول : هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ ، والخرب نعت الجُحْر لا نعت الضب ، ولكنَّ الجوار حُمِل عليه،كما قال امرؤ القيس :

كأنَّ ثبيرًا في عرانين وَبْلِهِ
كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ

فالمُزَمَّل نعت للشيخ لا نَعْت للبجاد، وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار، وكما قال آخر:

يا ليْت شيخك قدْ غدا
متقلِّدًا سيفًا ورُمْحَا

والرُّمح لا يُتقلَّد ، وإنما قال ذلك لمجاورته السيف، وفي القرآن الكريم : ﴿ فأجْمِعوا أمركم وشركاءَكم﴾ (يونس٧١)، لا يُقال : أجمعتُ الشركاء،وإنما يُقال : جمعتُ شركائي وأجمعت أمري،وإنما قال ذلك للمجاورة.

وعامة العرب تقول : جاء البردُ والأكسيةُ ، بضم الأكسية على أنها معطوفة على البرد، أو بنصبها على أنها مفعول معه؛ والتقدير : جاء البرد مع الأكسية ، والأكسية لا تجيء؛ ولكنْ للجوار حقٌّ في كلام العرب [١].

ومن المحاذاة النحوية قول الأخطل:

جزى الله عنِّي الأعورَيْن ملامةً
وفروةَ ثَفْرَ الثورةِ المتضاجمِ

والمتضاجم من صفة الثَّفْر إلا أنه خفضه على الجوار كما قال امرؤ القيس: كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ[٢] .

ومن المحاذاة النحوية نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها في الوقف؛ نحو: هذا بكْر، ومررت ببكْر، وفي ذلك يقول ابن جني: وأجازوا النقل لحركة الإعراب إلى ما قبلها في الوقف؛نحو:هذا بكْرْ ، ومررت ببكْر ألا تراها لما جاورت اللام بكونها في العين، صارت لذلك كأنها في اللام لم

(١) فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، ٣٤٧- ٣٤٨ .

(٢) ديوان الأدب ١٠٦/١، باب فَعْل .

تفارقها [1].

ومن مظاهر المحاذاة النحوية قول الحطيئة:

فإياكم وحيَّةَ بطن واد

هَمُوزِ الناب ليس لكم بسى

فيمن جرّ : (هموز الناب) على أنها نعت لـ: بطن، أو وادٍ؛ على الرَّغم من أنها نعت لـ: حيَّة ، وقول العجاج :

كأنَّ نسْج العنكبوت المُرْمَلِ .

وإنما صوابه: المُرْمَلا لأنه نعت لكلمة: نَسْج لا نعت لكلمة: العنكبوت ، وأما قوله: كبيرُ أناس في بجاد مزمَّل

فقد يكون أيضًا على هذا النحو من الجوار [2]. ومن المحاذاة النحوية: ما أنشده أبو زيد:

من أيِّ يومَيَّ من الموتِ أفِرُّ

أيومَ لم يُقْدَرَ أم يومَ قُدِرْ .

بفتح الراء في :يُقْدَرَ ، أراد أيَوْمَ لم يُقْدَرْ أم يومَ قُدِر، ثم خفف همزة "أم" فحذفها وألقى حركتها على راء (يقدر) فصار تقديره: أيوم لم يُقْدَرَمْ ، ثم أشبع فتحة الراء فصار تقديره: أيوم لم يُقْدَرَ امْ، فحرَّك الألف لالتقاء الساكنين ، فانقلبت همزة ، فصار تقديره: يُقْدَرَ أم ، واختار الفتحة إتباعًا لفتحة الراء [3] .

ومن المحاذاة النحوية : قول العرب: أَشْرِقْ ثبيرْ، كيما نغيرْ [4] ، أي نُدْفَع للنحر؛ فلما سُكِّنت كلمة : ثبيرْ ، كان لابد من تسكين الفعل المضارع المنصوب: نغيرْ، لكي تحدث المحاذاة بين الكلمتين : ثبيرْ، نُغيرْ. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ (النِّساء١) فقد قرأ حمزة " والأرحامِ " بكسر الميم محاذاة للهاء في "به"[5].

ومن ذلك قول الشاعر :

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ

وعَيْنَيْه إنْ مَوْلاهُ ثابَ لَهُ وَفْرُ[6]

فقد عطف " عينيه " على " أنفه" لتحقيق المحاذاة،والقياس : يجدع أنفه،

---

(١)الخصائص ، لابن جني ٢٢٣/٣ . (٢)الخصائص، لابن جني٢٢٤/٣،وانظر الكتاب٤٣٦/١-٤٣٧.

(٣)الخصائص ، لابن جني ٩٧/٣ ، ٢٢٤ . (٤)ديوان الأدب ٤٠٤/١، فعيل ، مجمع الأمثال ٥٠٧/١.

(٥)السبعة لابن مجاهد ٢٢٦ . (٦)تأويل مشكل القرآن٢١٣،كتاب الصناعتين١٣٦،اللسان :وفر.

ويفقأ عينيه،ومثل ذلك ما أنشده الفرَّاء:

عَلَفْتُها تبنًا وماءً باردًا

حتَّى شَتَتْ هَمَّالةً عَيْنَاهَا [1]

فقد حاذى بين كلمتي : تبنًا وماءً، وأصلها : علفتها تبنًا ، وسقيتها ماءً ، وقال آخر :

إذا ما الغانياتُ برزْنَ يومًا

وَزَجَّجْنَ الحواجبَ والعيونَا

حاذى بين: الحواجب والعيونا في النصب، فالعيون لا تُـزَجَّجُ ، وإنمـا أراد: وزجَّجْنَ الحواجـبَ ، وكحَّلْـنَ العيونا[2]

وما إتباع صفة المنادى للمنـادى في الإعراب إلا صورة مـن صـور المحاذاة النحوية؛ لأنه من باب جعـل الاسم والصفة فيه بمنـزلة اسم واحد؛ وفي هذا يقول سيبويه : هذا باب مـا يكون الاسم والصفة فيه بمنـزلة اسم واحد ينضم فيه قبل الحرف المرفـوع حرف وينكسـر فيـه قبـل الحـرف المجرور الذي ينضم قبل المرفوع ، وينفتح فيـه قبـل المنصـوب ذلـك الحرف، وهو : ابنم ، وامرؤ ، ومثل ذلك قولك: يا زيدَ بنَ عمروٍ ، وقـال الراجز: يا حَكَـمَ بـنَ المُنْـذِرِ بـنِ الجارُودْ. وقال العجَّاج: يا عُمَرَ بـنَ مَعْمَرٍ لا مُنْتَظَرْ [3] .

وقال ابـن يعـيش فـي شـرح المفصَّل : لما كثر إجراء (ابن) صفة على ما قبله مـن الأعـلام إذا كـان مضافًا إلى علم أو ما يجري مجـرى الأعلام من الكنى والألقاب، فلما كان (ابن) لا ينفك من أن يكون مضافًا إلى أب وأم وكثر استعماله ، استجازوا فيه من التخفيف ما لـم يسـتجيزوه مـع غيره، فحذفوا ألف الوصل من (ابـن) لأنه لا ينوي فصله مما قبله إذ كانـت الصفة والموصوف عندهم مضـارعة للصلة والموصول من وجوه ، وحذفوا تنوين الموصوف أيضًا ، كأنهم جعلوا الاسمين اسمًا واحدًا لكثرة الاستعمال، وأتبعوا حركة الاسم الأول حـركـة

(١)تأويل مشكل القرآن ٢١٣ ، خزانة الأدب ٤٩٩/١ .

(٢)تأويل مشكل القرآن ٢١٣، كتاب الصناعتين ١٣٦ ، اللسان : حجب.

(٣)الكتاب٢ / ٢٠٣ – ٢٠٤ ، شرح المفصل ٥/٢ .

الاسم الثاني ، لأنك عقدت الصفة والموصوف وجعلتهما اسمًا واحدًا، وصارت المعاملة مع الصفة والموصوف كالصدر له، ولذلك لا يجوز السكوت على الأول[١].

ومن المحاذاة النحوية قول الفرزدق:

ولكِنَّ نِصفًا لو سَبَبْتُ وسَبَّني

بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ من مَنافٍ وهَاشِمِ

فهاشم في البيت معطوف على:بنو عبد شمس لا على مناف،وإنما كُسِر للجوار[٢].

وما الإبدال في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بنَصْب صراط على أنها بدل من الصراط ما هي إلا صورة من صور المحاذاة النحوية؛ لأنه يجوز فيها الرفع على الابتداء، ولكن المحاذاة جاءت أفضل، ومثله قوله تعالى:﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ،نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بإتباع " ناصية " الثانية للأولى "الناصية" ،ومنهم من قرأ قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئةٍ تقاتل في سبيل الله ﴾ (آل عمران ١٣)بجرِّ كلمة "فئة" وهي قراءة مجاهد والحسن البصري والزهري وحميد ، والجر على وجهين: على الصفة ، وعلى البدل [٣] ، ومن ذلك قول كُثيِّر عزة :

وكُنْتُ كذِيْ رِجْلين : رِجْلٍ صحيحةٍ

ورِجْلٍ رمى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ

فحاذى بين كلمة : رِجْلَيْن ، وكلمتي : رِجْل في الجر، وكان يمكنه أن يرفع على الابتداء ، ولكنه آثر المحاذاة[٤].

ومما ورد مجرورًا على الجوار في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان٢١]، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بخفض : خُضْر، وإستبرق على الجوار لكلمة : سندس، ومن توجيهات النحاة لجر كلمة :

(١) شرح المفصل ٥/٢ ، الأشباه والنظائر ١٦/١.
(٢)الكتاب ٧٧/١، ديوان الفرزدق ٨٤٤ .
(٣) البحر المحيط ٣٩٣/٢ .
(٤) الكتاب ٤٣٣/١ .

خضر : أنها نعت لسندس، وأما إستبرق فهي عطف نسق على سندس[1] . ومن مظاهر المحاذاة النحوية في علامات الإعراب صرف ما لا ينصرف ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان ٤]، فقد قرأ نافع والكسائي وأبوجعفر وهشام بالتنوين، وذلك للتناسب وتحقيق المحاذاة : سلاسلاً،أغلالاً، سعيرًا ، وقوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ، قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان ١٥ ،١٦]، قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر بتنوينهما معًا: قواريرًا. قواريرًا، وبذلك تحققت المحاذاة بينهما [2] ومن ذلك قراءة عاصم وغيره : ﴿وَجِئْتُك مِن سَبَأٍ بِنَبَأ يَقِينٍ﴾ [النمل٢٢]،بتنوين كلمة: سبأ لتحاذي ما بعدها: نبأ.[3] ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبلال بن رباح: "أنفِقْ بلالاً ، ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالا" فقد صرف كلمة: بلالا لتحاذي كلمة: إقلالا، كما استعملها على الأصل: مفعول به، وليس: منادى مبنى على الضم؛ لأنه علم؛ والأصل في المنادى أنه في محل نصب مفعول به [4] ،ومن المحاذاة النحوية في باب التوكيد قول الشاعر:

يا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزوجاتِ كلِّهِمُ
أنْ لَيْس وَصْلٌ إذْا انحلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ.

فقد جرَّ كلمة: كلِّهم، وكان القياس يقتضي النصب، لسببين : لأن الكلمة توكيد لذوي وليست توكيدًا للزوجات ، ولأنها لو كانت توكيدًا للزوجات لقال: كلهنّ ، وإنما الذي حمله على الجر هو المحاذاة؛ أي لكي تحاذي كلمة : الزوجات في الجر [5] . وفي باب الجزم ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط جُزم لمجاورته المجزوم؛ وهو فعل الشرط؛ كما في قوله تعالى: ﴿ومن يفعلْ ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾

(١)المستنير لمحمد سالم محيسن ٢٩٦/٣. (٢)السبعة لابن مجاهد ٦٣٣ – ٦٦٤ ، المستنير ٢٩٣/٣ .

(٣)كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٨٠ ، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢٧٠ .

(٤)الأشباه والنظائر في النحو ١٥/١. (٥)اللسان ١٨٨٥/٣ : زوج، الأشباه والنظائر ١٧٨/١.

(الفرقان ٦٨) ؛ فقد جُزم : يفعل لاسم الشرط مَنْ ، وجُزم : يلق لمجاورته: يفعلْ ، وجُزم الفعل: يضاعفْ على البدل لمجاورته الفعلين: يفعلْ ، يلق، وقد كان أبو علي الفارسي ينشد في مثل ذلك: "قد يؤخذ الجار بجرم الجار"[(١)] .

ومن المحاذاة النحوية بسبب الجوار في باب التأنيث قولهم: "الشمس طلعت" فإنه لا يجوز حذف تاء التأنيث؛ لأن الفعل جاور الضمير المستتر، وكذلك قولهم: قامت هند؛ لا يجوز حذف التاء؛ لمجاورتها للاسم الظاهر الحقيقي التأنيث، فلو فصلت بينهما جاز حذفها ، وما كان ذلك إلا لأجل المجاورة [(٢)] .

ومن الدليل على تحقيق المحاذاة مراعاة للقرب والمجاورة قولهم: خَشَّنْتُ بصدرِه وصدرِ زيدٍ،فقد أجازوا في المعطوف:صدر وجهين ، الخفض والنصب ، الخفض على أنه معطوف على المجرور بالباء : بصدره ، والنصب على أنه مفعول به للفعل خشَّن، ولكنهم اختاروا الخفض هنا؛ لأن الباء أقرب إلى الاسم المعطوف من الفعل ؛ فكان الإعمال للثاني أولى للقرب والمجاورة؛ وفي ذلك يقول ابن يعيش : اختار البصريون في باب التنازع إعمال الثاني؛ لأنه أقرب إلى المعمول، فرُوعِيَ فيه جانب القرب وحرمة المجاورة. ومما يدل على رعايتهم جانب القرب والمجاورة أنهم قالوا : هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ ، وماءُ شنٍّ باردٍ، فأتبعوا الأوصاف إعراب ما قبلها وإن لم يكن المعنى عليها؛ لأن الضب لا يوصف بالخراب والشن لا يوصف بالبرودة ، وإنما هما من وصف الجُحْر والماء [(٣)] .

ثانيًا:المحاذاة النحوية عن طريق الحذف:

مثل حذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل٥] ، فالفعلان:أعطى ، واتقى متعديان يحتاجان إلى مفعول به، ولكن حُذف

---

(١)الأشباه والنظائر ١/١٧٨ – ١٨٠ .

(٢)الأشباه والنظائر ١/١٨٠ .   (٣)الكتاب ١/٧٤ ، شرح المفصل ١/٧٩ ، الأشباه والنظائر ١/١٧٩ .

هذا المفعول لتتحقق المحاذاة بين الآيات السابقة عليها واللاحقة لها، وقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[الضحى٣] فالفعل: قلا من الأفعال المتعدية ، والقياس: وما قلاك. ولكن حُذف المفعول به لتتحقق المحاذاة ، وتتسق الفاصلة . ومن ذلك حذف مُتعلِّق " أفعل التفضيل " نحو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه٧]، والتقدير : وأخفى من السرِّ،وقوله تعالى: ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[الأعلى١٧]، والتقدير : خير وأبقى من الدنيا [١] .

ومن ذلك حذف الفاعل ونيابة المفعول،نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾[الليل ١٩]، فالفعل: تُجزَى استتر فيه المفعول؛ الذي ناب عن الفاعل، والتقدير : يَجْزِى اللهُ النعمة [٢] .

ثالثًا : التقديم والتأخير : تتحقق المحاذاة النحوية عن طريق تقديم المعمول على العامل ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ ٤٠] ، والتقدير كانوا يعبدون إياكم، وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة٥]، والتقدير : نعبدك ونستعينك، وفي قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [القمر٤١]، والتقدير : ولقد جاء النُّذُر آل فرعون ، ومن ذلك تقديم خبر كان على اسمها ، نحو: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص٤] ، والتقدير:ولم يكن أحدٌ كفوًا له ، ومنه تقديم ما هو متأخِّر في الزمان،كما في قوله تعالى:﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم٢٥] ، ولولا مراعاة الفواصل والمحاذاة لقُدِّمت كلمة "الأولى" كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ [القصص٧٠]، ومن ذلك تقديم الفاضل عل الأفضل، كما في قوله تعالى: ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه ٧٠]، ومن ذلك تقديم الضمير على ما يفسِّره نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾[طه ٦٧] [٣] ، ومن

(١)الإتقان ٢٩٨/٣ – ٢٩٩ .

(٢)الإتقان ٣/ ٣٠١ .

(٣)الإتقان ٢٩٦/٣ .

ذلك تقديم النعت الجملة على النعت المفرد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾[الإسراء ١٣]، فكلمة : كتابًا نُعتت أولاً بالجملة الفعلية:يلقاه ، ثم نُعتت بالمفرد: منشورًا مراعاة للفاصلة، وتحقيقًا للمحاذاة [١] . ومن ذلك أيضًا تأخير الوصف غير الأبلغ عن الوصف الأبلغ، كما في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾وقوله تعالى: ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]؛لأن الرأفة أبلغ من الرحمة[٢] . ومن ذلك تقديم شبه الجملة على المفعول به؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[الإسراء ٦٩]، فقد جمع بين المجرورات: لكم ، به، علينا، لأن الفاصلة اقتضت تأخير المفعول به: تبيعًا[٣].

رابعًا:إتباع ضمير المُذكَّر لضمير المؤنث:

من الوسائل النحوية التي تحققت بها المحاذاة إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث في قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم رَبَّ السموات السبع وما أظلْلن ، وربَّ الأرضين وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أَضْلَلْنَ" والقياس يقتضي : وما أضلّوا بضمير الذكور؛ لأن الشياطين من مذكر مَنْ يعقل، وإنما أتت بنون النسوة إتباعًا لكلمتي : أظللن ، أقللن [٤]،وكذا ما جاء في حديث المواقيت : "أنَّ النبيﷺ وقَّت لأهل المدينة ذَا الحُلَيْفة ولأهل الشام الجُحْفَة، ولأهل نجد قَرْن المنازل ، ولأهل اليمن يَلَمْلَم هُنَّ لَهُنَّ ولِمَنْ أتى عليهنَّ من غيرهنَّ ممن أراد الحج والعمرة " ، والقياس: هنَّ لهم؛ أي لأهل ذي الحُلَيفة وما ذُكِرَ معها ، وإنما قيل: لهنَّ إتباعًا لقوله: هنَّ[٥] .

رجب عبد الجواد إبراهيم

كلية الآداب – جامعة حلوان

---

(١)الإتقان ٣ /٢٩٦ .
(٢)السابق ٣/٣٠١
(٣)الإتقان ٣/٣٠١
(٤)الأشباه والنظائر ١/١٥
(٥)صحيح البخارى حديث رقم ١٥٢٤، الأشباه والنظائر ١/١٥

أهم المصادر والمراجع :

١-ابن أبي الإصبع المصري : بديع القرآن ، تحقيق د. حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى،١٩٥٧.

- تحرير التحبير ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٥,

٢-ابن الجزري: تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .

٣-ابن السكِّيت: إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف ،القاهرة ، ١٩٨٧م.

٤-ابن جنِّي : - الخصائص ، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦م.

-المحتسب ، تحقيق على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٤م .

-المنصف، تحقيق محمود مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.

٥-ابن خالويه : - الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة،١٩٨٧م.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مكتبة المتنبي ، القاهرة ،د.ت.

٦-ابن دريد: جمهرة اللغة، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٥هـ.

٧-ابن سيده: المخصص، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت.

٨-ابن فارس : - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة دار المعارف، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.

-الإتباع والمزاوجة ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٧م.

٩-ابن قتيبة : - تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث ،

القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م.
- أدب الكاتب، تحقيق على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م.
١٠-ابن مجاهد : - كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق د. شوقي ضيف،دار المعارف ، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ .
١١-ابن مكي الصقلي : - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥م.
١٢-ابن منظور: - لسان العرب، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
١٣-ابن هشام الأنصاري : - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١٤-ابن يعيش : - شرح المفصل ، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
١٥-أبو البقاء الكفوي: - الكليات ، تحقيق محمد المصري وعدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م.
١٦-أبو جعفر الرعيني : - تحفة الأقران فيما قُرئ بالتثليث من القرآن، تحقيق على حسين البواب ، دار المنارة،جدّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٧-أبو حيان الأندلسي: - البحر المحيط ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.
١٨-أبو الطيب اللغوي : الإتباع ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٦١م.
١٩-أبو علي الفارسي : - الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي ، ومراجعة محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
٢٠-أبو علي القالي : - الأمالي، والذيل عليها ، والتنبيه للبكري، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت ،

الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م.
٢١-أبو هلال العسكري : - كتاب الصناعتين ،تحقيق على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.
٢٢-البخاري: - الجامع الصحيح، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الحرم للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
٢٣-الثعالبي : - فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق سليمان سليم البواب، دار الحكمة ، دمشق، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م.
٢٤-الجوهري: - تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.
٢٥-الحريري:دُرَّة الغوَّاص، شرحها وحواشيها وتكملتها ، تحقيق وتعليق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٦-الدمياطي البنَّاء: - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
٢٧-رضي الدين الأستراباذي: - شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٨-الزَّبيدي: - تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر مصورة عن المطبعة الخيرية، القاهرة ، ١٣٠٧هـ.
٢٩-الزمخشري:- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث؛ الطبعة الثالثة،١٩٨٧م.
- أساس البلاغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
٣٠-سيبويه: - الكتاب، تحقيق عبد

السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة،١٩٨٨م.
٣١-السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.
-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي ، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
الشنقيطي : - الدرر اللوامع على همع الهوامع، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.
٣٢-عبد القادر البغدادي:- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٢٩٩ هـ.
٣٣-الفارابي: - ديوان الأدب، تحقيق د.أحمد مختار عمر، ومراجعة د.إبراهيم أنيس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ١٩٧٤م.
٣٤-الميداني : - مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٩م.


من أنباء المجمع

ثانيًا: تأبين الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
عضو المجمع

فى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الاثنين ٢٨ من شوال سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٩٩ م أقام المجمع حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب عضو المجمع

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى هذا الحفل :

أولاً - افتتاح الجلسة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

نحتفل اليوم بتأبين مجمعي عظيم هو الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب ، إذ سبقنا إلى الدار الآخرة ، ولكل منا زمن محتوم وأجل معلوم، كما قال تعالى:" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون". وقد عمل الأستاذ الدكتور محمد غلاب فى جامعة القاهرة سنوات طويلة ، وكذلك فى المجمع ، فقد ظل به خبيرًا نحو ثلاثين سنة ، ثم أصبح عضوًا عامًلا فى المجمع ، حيث عمل فى لجنة الجغرافيا ، وله بحوث عظيمة تشهد له ، وكان أستاذًا مستنيرًا مثقفًا ثقافة واسعة ، وكما ألَّف فى الجغرافيا فقد ألَّف فى الأدب الهلينى ، والرمانتيكية الفرنسية ، وكتب عن الفارابى وابن سينا، وكتب أيضًا عن الفلسفة الشرقية ، والمذاهب الفلسفية المعاصرة ، فهو حقيقة عاش للعلم وللبحث وللدراسة ، وأنتج كثيرًا من الأعمال ، بجانب ما خَرَّج فى جامعة القاهرة من الطلاب ، والمؤلفات الجغرافية القيمة ، ولاشك أن فجيعة الجامعة فيه ، وفجيعتنا جسيمة ، ولكن هذا قدر الله .. ونحن جميعًا مستسلمون له . ويتفضل الأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقى بإلقاء كلمة المجمع نيابة عن أعضائه فى تأبين الراحل الكريم.